لقد أحببتُ بلوتو

ليل

من أجل ليالي الشتاء، لكل الفتيات الوحيدات، أشعر بكُنّ، يمكن لكل فتاة أن تكتب وتعيش روايتها في خيالها، الحياة التي تتمناها بكل لحظات التمرد الهاربة منها، سواء كانت تجوز أو لا.

لا يهم من أكون أو ما هو جنسي، ما يهم أنّ الخوف قيد أضلعي؛ لقد غرقتُ في الوحدة لوقت طويل، لذلك انسالت منّي كلماتي وتحرّرَت خيالاتي، وكتبتُ رواياتنا التي تجمعنا معًا كي لا نشعر بالوحدة في وحدتنا.

كل وحيدة وكل وحيد يقرأ الرواية يدرك أنّ هناك غيره يقرأها؛ فأصبحنا نتشارك وحدتنا جميعًا معًا، لعل يومًا ما تستريح الروح وتُضمَّد الجروح.

لقد أحببتُ بلوتو!

إنها ليست علاقة آثمة، ولكنها علاقة مدمرة!

جميع القصص التي نشاهدها نسمعها أو حتى نقرأها في كتاب.. فيلم.. وأغنية يكون موضوعها عشق رجل مافيا لفتاة بريئة، والذي يفعل من أجلها المستحيل لتشعر بالحب العظيم الكامن داخله؛ حتى تقع له وتستسلم لحبه.

لكن هنا قصتي تدور بالعكس مثل هذا الكوكب الذي يدور عكس رغباتي.

عندما أحببتُ رجل المافيا لم أرَ ذلك الحب العظيم حتى أقع له، بل حتى يقع هو لي أنهيتُ إنسانيتي.. تجردتُّ من مبادئي، لم أجد في حبه غير الألم والمعاناة والوحدة.

لكن حبه استحق كل تلك المشاعر المؤلمة، وإذا خيّروني أن أعيش تلك الأحاسيس مرة أخرى لأكون معه سأختارها مرارًا وتكرارًا، فلم أشعر بنبض قلبي إلّا في أحضانه، ولم تخرج أنفاسي بحرية إلا عندما لمس جسدُه جسدي، هذا الجزء مني لن يتخلَّى أبدًا عن تلك المشاعر مهما مرَّت عصور.

لكن في النهاية يجب أن نعلم أن الرجل ما هو إلا افعال حتى نقع له، تكون نتيجتها محاولة ناجحة لخدش قلبك سواء

بقصد أو لا.

وهذا كلامي أنا.. فريدة الممتلئة بحب رجل المافيا.

لأخبركم عن نفسي قليلاً.. أنا فريدة، ٣٢ عامًا، أعمل صحفية لكن بطريقة مختلفة، وسأشرح لكم بوضوح أكثر، عمل الصحفيّ يكون عبارة عن إجراء مقابلات قراءة المقالات والتقارير، كتابة وتحرير النصوص، حضور الفعاليات والأنشطة بمختلف أنواعها، وهذا بالضبط ما أقوم به، ولكن إذا تحدَّثنا عن المهمات السرية الإضافية فسنجد الاختلاف، مثل تقمص شخصية ما للمساعدة في إيقاع عصابة يكون عملها قائم على السلاح أو المخدرات أو أي تجارة غير شرعية؛ فنحن جريدة سرية تابعة للشرطة، نتقمص أدوارنا التي تختلف من عملية لأخرى، ثم يأتي رجال الشرطة لإنهاء المهمة، وأثناء ذلك نقوم بدورنا الطبيعيّ كصحفيِّين بالتقاط الصور وتحرير المقالة وهكذا، وباستخدامي لصيغة الجمع فهذا يدل على أنّنا مجموعة كبيرة من الصحفيِّين نعمل في تلك الجريدة، لكن بما أنني امراة صغيرة السن وحيدة ليس لديها عائلة أو أسرة تعتني بها فكان لدي النصيب الأكبر من تلك المهمات دائمًا.

أنا أعيش بمفردي منذ أكثر من عشرة سنوات، حيث أن جدتي التي كنتُ أعيش معها ماتت وأنا في السادسة عشر، وعلى

ما يبدو هذا كل شيء خاص بي في حياتي، لا تحتوي على الكثير لأتحدث عنه قبل مقابلته.

فريدة، فتاة طويلة القامة ذات شعر بُنِّي داكن طويل يصل إلى نهاية خصرها، عيناها زرقاوان (زرقة البحر)، لون البشرة فاتح، ملامح وجهها كانت دقيقة ومتناسقة.

في الجريدة الساعة الخامسة مساء..

مجموعة من الصحفيِّين يجلسون في غرفة مظلمة، شاشتها الكبيرة مُعلَّقة على الحائط ينبعث منها نور يضيء كل الوجوه الجالسة، الطاولة الطويلة في منتصف الغرفة تحمل أكوامًا من الأوراق وأجهزة الكمبيوتر المحمولة، رجل في بداية الخمسينات يتصدر الشاشة (رئيس التحرير)، تُعرَض على الشاشة مقاطع صور لعملية يتبادل فيها رجال حقائب من المال والسلاح.

رئيس التحرير: لعلها ليست المرة الأولى التي ترون فيها صورًا من هذا النوع، وأيضًا ليست المرة الأولى التي تُنفّذون عملية من ذلك النوع، ولكن هذه المرة مختلفة عن جميع المرات، أولاً المطلوب فيها القبض على رئيسها زعيم...

قاطعه أحد الصحفيين في القاعة بسخرية: كيف تكون مختلفة؟ أليس هذا غرض كل عملية؟ القبض على رئيس العصابة وفضحها؟

وينظر إلى زملائه في استفهام، ليؤيده مجموعة من الصحفيِّين الجالسين يتهامسون بصحة كلامه.

رئيس التحرير بنبرة صارمة: لا أريد أي أحاديث جانبية.

ينظر إلى الصحفى بحدة ويكمل: أنا لم أُنهي كلماتي بعد كي تقاطعني، والذي يكون زعيم مافيا وليست مافيا عادية، إنها من أكبر وأشرس المافيا الموجودة حول العالم، عملها قائم على كل شيء ممنوع، لكن تجارتها وعملها ليس موضوعنا، بل اغتيال شخصية هامة من الرؤساء، وستكون مهمتنا مساعدتهم لجمع المعلومات الكافية لوقف تلك العملية، والجدير بالذكر إخبارُكم أنها ربما قد تستغرق على الأقل ثلاثة أشهر، والفريق المُنفّذ لن يغادر البلد فقط، بل سيغادر القارة بأكملها.

نظر جميع الجالسين لبعضهم البعض نظرات تعجب وفضول، ليكسر رئيس التحرير ذلك الفضول: ستذهبون إلى صقلّية المقر الرئيسى للمافيا والمتواجد فيه الزعيم.

أصوات الجالسين بدأت تعلو، أصوات نسائية مخلوطة بذكورية، لكن جميعهم متشابهون في نبرة الاعتراض التي ظهرت.

يصمت الجميع عندما يبدأ رئيس التحرير في التحدث بنبرة جادة: فلتهدؤوا جميعًا، إن هذا النقاش منتهي، لقد تم اختيار أعضاء الفريق من قِبَل الشرطة، ومن ذكر اسمه سوف يذهب

حتي لو كان يوم ذهابه هو يوم زفافه

ظهرت على وجه الجميع علامات التذمر

رئيس التحرير: حازم ستكون قائد الفريق، يوسف مسئول عن التصوير، أمير محرر المقالات وإعدادها حتى تكون جاهزة للنشر الحصري عند عودتكم، فريدة نائب قائد فريق الشرطة وتنسيق المعلومات مع فريقك، ليلى تدوين كل المعلومات التي يجمعها فريقك.

أومأ الجميع بالموافقة.

رئيس التحرير: ستبدأ رحلتكم بعد أسبوع من الآن، فليكن ذلك الأسبوع إجازة من العمل لتودّعوا عائلاتكم بشكل لائق وتُحضّروا أنفسكم.

صمت قليلاً، ثم ألقى نظرة سريعة على الحاضرين: ألديكم أية أسئلة؟

لكن لا أحد يعلق، وكل فرد بدا كأنه غارق في تفكيره.

رئيس التحرير بنبرة هادئة: حسنًا، يبدو أنه ليس هناك أسئلة، هيا إذًا لينصرف الجميع إلى مكانه.

ينتهي الأسبوع دون أحداث، كل أفراد الفريق منشغلون في تحضير أنفسهم بطريقته الخاصة، حتى يوم السفر يجتمع أعضاء الفريق في المطار (حازم، يوسف، أمير، فريدة، ليلى).

حازم طويل القامة ذو بشرة داكنة وشعر أسود، يبلغ من العمر أربعِين عامًا، متزوج ويعيش مع أسرته.

يوسف متوسط القامة ذو بشرة فاتحة وشعر أسود، يبلغ من العمر الخمسة والثلاثين عامًا، مرتبط وزفافه في نهاية العام.

أمير طويل القامة ذو بشرة فاتحة وشعر بُنيّ فاتح، يبلغ من العمر الأربعة وعشرين عامًا يعيش مع عائلته.

ليلى متوسطة القامة ذو بشرة داكنة وشعر أشقر، تبلغ من العمر الاثنين والثلاثين عامًا، متزوجة وتعيش مع أسرتها.

بعد انتهاء أعضاء الفريق من إجراءات السفر في المطار يصعدون إلى الطائرة ويجلسون في صفَّين متتاليين.

أمير بنبرة سعادة: أنا متحمس كثيرًا لتلك الرحلة، بل حتى كثيرًا قليلٌ على ما أشعر به.

يوسف في سخرية: هذا بسبب صغر سنك، وبالتالي هذه أول مهمة لك، وطبيعي أن تشعر بهذا النوع من الحماس، ولكن صدّقني.. في رحلة العودة ستندم أشدّ ندم على ذلك الحماس.

تظهر علامات الذعر على وجه أمير: لماذا؟! ما الذي سيحدث؟

يوسف: ما سيحدث هو ندمك المستمر على قبولك تلك الوظيفة، لن تستطيع النوم أو تناول الطعام أو حتى قضاء وقت مع نفسك، كل ما ستشعر به طوال الوقت الإرهاق والجوع

والتوتر، وأكثرهم تأثيرًا الخوف.

تشتد علامات الذعر على وجه أمير.

ليلى بنرة غضب: أنت، كيف طاوعَكَ ضميرك على التحدث معه هكذا عن أول مهمة له، فلتكن رحيمًا حبًّا بالله.

تتغير نبرتها إلى نبرة لطيفة، وأخذت تداعب أطراف شعر أمير بأناملها: لا تقلق أمير، نحن كلنا معك، لا تستمع إلى هذا المزعج.

يوسف يلوي شفته بتهكم: كأن ما أقوله غير صحيح.

حازم بنبرة جادة: فلتصمتوا أيها الأشقياء، أمامنا رحلة طويلة، كيف يمكنني الاستماع إلى كل هذا الهراء، طول الوقت؟!

فريدة لم تكن مشاركة معهم في حديثهم، تضع سماعات الأذن وتستمع إلى الموسيقى الخاصة بها.

كانت رحلة الفريق درجة اقتصادية، تُفتَح الستائر الموجودة بنهاية ممر الطائرة، يعبر منها رجل في نهاية الثلاثينات ذو بشرة فاتحة وشعر أسود وعين خضراء، يستقر أمام فريدة ويمد يده يعطي لها ورقة.

فريدة تغلق الموسيقى وبتعجّب: العقيد شريف.

مدَّت يديها تأخذ الورقة.

العقيد شريف يضع أصبعه على فمه يحذرهم من الصوت

المرتفع، ينظر حوله يمينًا وشمالاً يراقب بحذر ليتأكد من عدم انتباه أحد غير أعضاء الفريق ويختفي من الأرجاء.

ينظر أعضاء الفريق إلى فريدة في تعجب وفضول، تفتح فريدة الورقة وتقرأ محتواها، يظهر على وجهها علامات التذمر والإزعاج: لا ليس مجدّدًا.

حازم: ماذا كتب؟

فريدة تعكس الورقة اتجاه أعضاء الفريدة حتى يتمكنَّ من قراءتها، كُتِبَ على الورقة بخط كبير وحروف بارزة (الجوكر).

أمير في تعجب: ماذا يعني الجوكر؟!

حازم: يعني أنها مَن ستجمع المعلومات المطلوبة من خلال تواجدها حول الهدف من دون العلم بوجودها.

أمير في دهشة: يا إلهي! هل ستتنكرين في شخصية مختلفة فريدة؟

فريدة في برود: ليس بالشيء الضروري.

حازم في تذمر: هذا يعني أن مهمات الفريق ستتغير كلها الآن، ولن تنفَّذ الخطة التي وضعناها.

فريدة بوجه متجهّم يعبر عن الضيق والإزعاج: لماذا أنا دائمًا؟!

يوسف: هذا لأنكِ امرأة ولن يشك في أمركِ أبدًا.

فريدة في سخرية: حقًّا لن يشك في أمري أبدًا، مثل ما

حدث آخر مرة كنت معي فيها، أتتذكر؟ علم الهدف هويتي منذ الدقيقة الأولى وكنت على وشك الموت، أيضًا لستُ المرأة الوحيدة في الفريق هنا.

ليلى في تأفّف: ماذا؟! لديّ أسرة، اصمتي فربما يسمعُكِ أحد، أتريدين أن يكبر أطفالي بدون أم!

فريدة تبتسم في مجاملة وتهمهم: هكذا إذًا.. بسبب عدم وجود عائلة لي تظنّون أنه لا يوجد من سيهتم بخساراتي.

حازم في نبرة تعاطف: فريدة توقفي، ليس هذا سبب اختيارك كجوكر، أنتِ تعلمين جيّدًا أنكِ أبرع شخص لهذا العمل ولا يستطيع أحد أداءَه مثلك، انظري إلى نفسك كيف أنتِ جميلة وذكية ملائمة لكل مهمة ببراعتك وجمالك، مثل ما قال يوسف بسبب جمالك لن يشك بك أحد، آخر مرة نعلم إن هناك من وشَى بكم، لهذا أنتِ دائمًا الأنسب لهذا العمل.

ليلى أومأت برأسها تؤيد كلام حازم، وتمسك يد فريدة: أعتذر صديقتي، لم أكن أقصد هذا المعنى أبدًا.

فريدة تبتسم للجميع وتضغط على زر تشغيل الأغاني، وتحرك رقبتها الجهة الأخرى من الطائرة شاردة في السحب وشكلها.

نام الجميع حتى هبطت الطائرة في مطار روما، نزل أعضاء الفريق من الطائرة منتظرين الحقائب، العقيد شريف يظهر مرة

أخرى، يقترب من حازم وبنبرة هامسة: اتبعوني.

يتحرك الفريق خلف العقيد شريف في هدوء تام حتى وصلوا إلى منطقة معزولة في المطار خالية من الناس.

العقيد شريف: سعيد بلقائنا مرة أخرى (F 70)، أعتقد أنّه تم شرح المهمة لكم بشكل مفصل؛ لذا سأضيف بعض التفاصيل، لدينا اجتماع كل نهاية أسبوع على الجميع حضوره، وسأكون أنا العضو المتحدث عن فريقي، أيضًا لن يتم الكشف عن أعضاء الفريق لسرية العملية وخطورتها، فريدة يجب أن تتواجدي في كل حدث سأخبركِ به دون أن يتم ملاحظتك، جمع أكبر عدد من المعلومات والصور هي مهمتكم (F70)، أهناك من يريد أن يسأل؟

يرفع أمير يده، العقيد شريف أومأ بالموافقة.

أمير في توتر: ماذا تعني(F 70)؟

العقيد شريف في سخرية: ماذا؟!

حازم: أعتذر عقيد شريف، ما زال عضوًا جديدًا في الفريق.

ثم نظر إلى أمير في توبيخ: اصمت، ما الذي تقوله؟!

عقيد شريف في لا مبالاة لا يعلق.

فريدة: عقيد شريف، هل علي أن أخفي مظهري بالتنكر في مظهر آخر حتى لا يتم ملاحظتي؟

عقيد شريف يهز رأسه بالنفي: لا، في مظهرك الطبيعي بدون

تنكر سيُبعِد عنك الشك، فقط تصرفي كأنكِ قادمة للسياحة أو شيء من هذا القبيل.

فريدة أومأت رأسها بالموافقة دون تعليق.

عقيد شريف: أهناك أسئلة أخرى؟

يهز الجميع رأسه بالنفي.

عقيد شريف: حسنًا، ستكون وجهتكم الآن صقلية، ها هي تذاكر القطار.

يلتقطها حازم قائد الفريق.

عقيد شريف: (F 70) إن هذه المهمة شديدة الخطورة وشديدة الأهمية، فلتحذروا ولتهتموا بكل تفصيلة سواء كانت صغيرة أو كبيرة.

تتغير ملامح عقيد شريف لغضب مكبوت: للأسف حركاتنا محدودة بسبب الإنتربول، أنتم فريقنا الحر، هيا فلتذهبوا، سنتقابل نهاية الأسبوع.

يذهب أعضاء الفريق لاستلام الحقائب، ويتوجهوا إلى محطة القطار، بعد إحدى عشر ساعة ونصف يصلون إلى باليرمو العاصمة.

يفتح حازم هاتفه ليُخرج عنوان المكان الذي سيقيمون فيه، يُقسّمون أنفسهم إلى فريقين.

حازم: سأذهب مع الفتاتين، أمير ويوسف ستذهبان معًا.

يصلون جيمعًا إلى المكان، كان عبارة عن مبنى بسيط يتكون من عدة أدوار بغرف متوسطة الحجم.

ليلى في تذمر: ما هذا المكان؟! ليس بفندق أربعة نجوم حتى.

يوسف في سخرية: الميزانية عزيزتي.

يستقر الجميع في غرفهم، يمضي يومان بدون أية أحداث.

في اليوم الثالث..

فريدة تستلقي على السرير شاردة في بقعة سوداء بالسقف، يُخرجها من شرودها صوت هاتفها حيث تصلها رسالة، تفتح الرسالة، حازم: (المجموعة(F 70) فلنلتقي في ردهة استقبال الفندق بعد نصف ساعة.

فريدة تتنهد بعمق وبسخرية: عن أي فندق تتحدث؟!

تنهض من مكانها تبدأ في الاستعداد وترتدي ملابسها، تنزل إلى الردهة في الوقت المطلوب، تجد أعضاء الفريق جميعا مجتمعون في انتظارها.

يوسف: على ما يبدو أن اليوم هو أول مهمة؛ لذلك نحن مجتمعون.

حازم: إنك على حق؛ فاليوم ستكون أول مهمة، سنذهب إلى مسرح ماسيمو حيث سيقام أمامه حدث ثقافيّ، أثناء

ذلك الوقت سيكون هناك اجتماع وعقد صفقة ما للمافيا، مهمتنا تصوير أكبر عدد من الصور ومعرفة عدد أعضاء المافيا الموجودين، وإذا استطعنا معرفة نوع الصفقة ستكون خطوة جيدة.

أمير: من سيذهب؟

حازم: الجميع سيذهب، فريدة أنت وأمير ستشاركان معًا من داخل الحدث متخفِّين وسط الحضور لمتابعة التفاصيل بدقة، يوسف ستكون في الخارج تراقب أي حركة مشبوهة قد تحدث في الداخل أو محيط المكان، ليلى تركيزُكِ سيكون على فريدة ومن يوجه نظره نحوها مع التقاط الصور لأي شخص يبدو مريبًا، أنا سأجوب المنطقة خلال الحدث أراقب الوضع وأتأكد من تغطية أي ثغرة، هيا أمامكم ساعتان للاستعداد، الكل سيذهب بشكل منفصل، دقة التنفيذ أهم من كل شيء.

ينهض الجميع من مكانه والتوجه إلى غرفهم للاستعداد.

دخلت فريدة غرفتها وأغلقت الباب خلفها ببطء، ثم وقفت للحظة وكأنها تحاول استجماع شتات نفسها، مدَّت شفتيها للأمام في تذمر تهمس لنفسها: لقد أتى الوقت غير المنتظر، ألا يمكن لروحي أن تستريح قليلاً، الموت قادم لأجلكِ فريدة، لن تستطيعي الهرب ولن تُتاح لك فرصة لحياة سعيدة بعيدًا عن

كل هذه المآسي التي أرهقَت قلبك، المحزن أنها وِحدَة تبدو أبدية سأعيشها كغبار وسأنهيها كغبار.

تضع سماعات الأذن تستمع إلى الموسيقى، حيث أنها كانت من الأشياء التي تهدأ من توترها، غيَّرَت ملابسها لترتدي فستانًا أبيض حمالاته رفيعة يصل إلى الركبة تزينه ورود التوليب الوردية، ترفع شعرها الطويل إلى الأعلى وربطته بشكل ذيل حصان تاركة خصلات خفيفة تنسدل على جانبي وجهها.

تنظر إلى انعكاسها أمام المرآة، وارتسمت على شفتيها ابتسامة ساخرة: لماذا أزهار التوليب الزهرية؟ هل عليّ أن أخبر الجميع في صقلية أنني الشخص الأقل عاطفة وحُبًّا؟!

أنهت فريدة استعداداتها، نزلت من غرفتها واستقلَّت سيارة أجرة إلى المكان المطلوب (مسرح ماسيمو)، وصلت لتجد أمير في انتظارها.

أمير في ذهول: فريدة! يا لكِ من امرأة جميلة حقًّا، لقد لائمك هذا الفستان كثيرًا.

فريدة ابتسمت برقة: حقًّا؟! أمير كم أنت لطيف، شكرًا لك، شكرًا كثيرًا على هذه المجاملة.

رد أمير بنفس الابتسامة.

فريدة: هل أحضرتَ الكاميرا يا أمير؟

فتح أمير حقيبته ثم أخرج منها كاميرتين، نظر إلى فريدة باحترافية، مد يده ليمد إليها الكاميرا: هذه الكاميرا خاصة بكِ، أما هذه فهى كاميرتي.

أخذت فريدة الكاميرا منه بحذر، ثم بدأت في تشغيلها بتركيز وقامت بتوجيه العدسة نحو أمير الذي كان يقف أمامها، التقطت صورة له ثم نظرت إلى الشاشة الصغيرة لتعرض الصورة، وابتسمت بخفة: جيد، لذلك أنتِ كاميرتي المفضلة، هيا أمير لنتجه للداخل، علينا الاستعداد.

توجه الاثنان إلى الداخل.

فريدة ارتدت سماعة بيضاء في أذنها وضعتها برفق في أذن واحدة فقط، راقبَت أمير وهو يرتدي سماعته أيضًا، كان جميع أعضاء الفريق يرتدون نفس السماعة؛ حيث كانت تمنحهم القدرة على التواصل المستمر طوال المهمة.

حازم: هل الجميع في مكانه؟

يوسف: نعم، أنا أراقب من الخارج.

فريدة: أنا في الداخل.

أمير: أنا بجانب فريدة.

ليلى: أنا أيضًا بالداخل أراقب فريدة.

حازم: حسنًا، فلنبدأ المهمة(F 70).

أمير: فريدة، أيمكنني أن أسالكِ عن شيء؟

فريدة أومأت برأسها بالموافقة.

أمير: لماذا غضبتِ عندما أخبركِ العقيد شريف بأنك الجوكر ؟

فريدة في لا مبالاة: أكره أن يتم استغلالي، ربما لأنني بلا عائلة ولأن الوحدة رفيقتي الدائمة، دائمًا يتم استخدامي كطُعْم.

أمير: وأين هي عائلتك فريدة؟

فريدة تبتسم بمجاملة: هيا أمير، لتشغّل كاميرتك، إن الحدث على وشك البدء.

أمير بعد لحظة من الصمت أومأ برأسه: حسنًا، فهمت، إنكِ لا تحبين الحديث في هذا الموضوع، أعتذر فريدة إذا أزعجتك.

فريدة تداعب شعر أمير بيدها: لا عليك أمير، أنا بخير.

فريدة لاحظت رجلين في الزواية البعيدة يبدوان مختلفين عن الحضور، جسداهما الضخمان وبدلات رسمية سوداء مع نظارات داكنة تخفي جزءا من ملامحهما ينظران بدقة في أوجه الحاضرين كأنهما يبحثان عن شخص معين، فريدة رفعت الكاميرا وبدأت تلتقط الصور بخفة محاكية أنّها تصور تفاصيل القاعة كشخص عاديّ يصور معالم المكان.

بعد فترة قصيرة من بدء الحدث عمّ المكان صوت طلقات

نارية متتالية أحدَثَ موجة من الذعر بين الحاضرين، بدأ الجميع في الركض بعشوائية نحو المخارج، فريدة تجذب أمير من يديه وبنبرة ذعر: أمير، لا تترك يدي.

ركض الاثنان ناحية المخرج، وسط الفوضى والذعر اندفع أحد الحاضرين بسرعة فاصطدم بقوة بين أمير وفريدة مما أجبرهما على ترك يدي بعضهما فجأة وسط الحشود المتدافعة والفوضى العارمة، اختفى أمير عن مرمى بصر فريدة، كانت تركض بين الجموع أنفاسها متقطعة لكنها لم تتوقف عن الركض، وبصوت متقطع نتيجة الإرهاق: هل الجميع بخير؟

لكن لا يوجد رد، فريدة تضع يدها تتحسّس السماعة تجدها اختفت.

زفرت بقلة صبر وبنبرة إحباط: لقد أسقطتُّها.

توقفت للحظة، قلبها ينبض بعنف، تسمع طلق النار مرة أخرى لتدفع نفسها للركض من جديد.

وبنبرة سخرية: ما هذا؟! هل سيقضون اليوم كله في إطلاق النار؟!

واصلت طريقها بخطوات سريعة لتجد نفسها في شارع خالٍ من الناس، قديم الطراز، تتجول فيه وعلامات الدهشة تسيطر على وجهها: ما هذه التحفة الفنية؟! أيجب أن تكون الشوارع

خالية من الناس حتى نرى جمالها؟

تسير في الشارع ببطء، تتوقف أحيانا لتلتقط صورًا للشارع.

بينما كانت فريدة منغمسة بشدة تمامًا في عدسة الكاميرا، تلتقط التفاصيل الدقيقة للشارع، ودون أن تنتبه اصطدمت بشدة بشيء صلب وثابت، سقطت الكاميرا من يديها إلى الأرض وارتطمت بقوة لتسمع صوتًا ينذر بالسوء، انحنَت فريدة لتلتقط الكاميرا لتجد أنّ عدستها قد تحطمت وأجزاء منها قد تناثرت على الأرض لتشتعل غضبًا، بصوت متجهم: يبدو أن لدينا شخصًا أعمى هنا وأيضًا غبي.

رفعت فريدة رأسها ببطء واعتدلت في وقفتها تمسك بقايا الكاميرا المحطمة بين يديها.

صرخت فريدة بصوت يملؤه الغضب:

you broke my camera، you wish to die، why don't you watch where you're going?!

أنت، لقد كسرت كاميرتى، هل تتمنى الموت؟ لماذا لا تنظر أمامك؟

ولكن قبل أن تكمل حديثها الغاضب توقفت فجأة ونظرتُها تلتقي بالشخص الذي كان يقف أمامها، للحظة بدا وكأنّ الوقت قد تجمد، كان رجلاً ذا هيبة طويل القامة ذا ملامح صارمة لكنها

جذابة، وجهُه منحوت، وما زاد ربكتها سوداويته العميقتين التي تأثر القلوب، شعرُه الأسود الداكن، وبشرته القمحية المتناسقة مع بنيته الرياضية أضافت المزيد من الغموض إلى هيئته.

شعرت فريدة بقشعريرة تسري في جسدها واضطراب يجتاح كيانها، أنفاسها أصبحت سريعة وغير منتظمة، صدرها يعلو ويهبط بشكل واضح، قلبها يخفق بجنون بينما الحرارة تتصاعد في وجهها وكأنّ دمها كله تدفَّقَ إلى رأسها دفعة واحدة.

الرجل ذو الهيبة: يبدو أن لدينا لسانًا وقحًا هنا يحتاج إلى تأديب.

فريدة تصمت للحظة، وبصوت هامس تحاول استجماع أنفاسها: كيف ستؤدبه؟!

الرجل ذو الهيبة: طرق كثيرة لن تعجبك.

فريدة تبتسم بلطف: هل أرسلَت لي السماء ملاكًا لينقذني؟

الرجل ذو الهيبة يلتفت قليلاً نحوها وابتسم بخبث، ترتفع شفته من الناحية اليمنى تدلّ على تزييف الابتسامة، وبصوت عميق مليء بالتهكم: أيتها الفتاة، السماء لا ترسل الملائكة، ولكن الجحيم يرسل شياطينه، ربما مَن يقف أمامكِ الآن شيطان من الجحيم.

فريدة تتسع ابتسامتها: لا أظن أن نحتَك كملاك هكذا قد جاء من الجحيم.

أخذت تمد يدها ببطء نحو وجهه تحاول لمسه.

الرجل ذو الهيبة يقطع يدها بحركة سريعة وعنيفة يمسك بمعصمها بقوة ويبعد وجهه بعيدًا، وبصوت منخفض مليء بالتهديد: ماذا تظنين نفسك فاعلة؟

فريدة في ارتباك مصحوب بإحراج: اهدأ، لا تقلق فأنا لا أحاول أذيتك.

الرجل ذو الهيبة ما زال ضاغطًا على معصمها بقوة، وبنبرة سخرية: ألا تظنين أن الشخص الوحيد الذي يجب عليه القلق هو أنتِ؟ فهناك طلق ناريّ في الأنحاء، ويظهر لك رجل من الفراغ، أليس من الأفضل لك أن تهربي الآن وتركضى بأقصى مجهودك؟

فريدة تحاول تخليص معصمها من يديه، فيترك معصمها ويبتعد قليلاً.

فريدة في ثقة: هل أنا مجنونة حتى أهرب!

الرجل ذو الهيبة بنبرة حادة: ماذا؟ ألست مخيفًا لك؟!

فريدة تهز رأسها بالنفي، وبنبرة هادئة: كيف لملاكٍ مثلكَ أن يكون مخيفًا؟

يقترب منها الرجل ذو الهيبة بخطوات ثابتة لتقل المسافة بينهما، وبصوت غليظ: أنا لست ملاكًا أيتها الفتاة، والآن اركضي، هيا ابتعدي.

فريدة تغمض عينيها للحظة محاولة إيقاف أفكارها، ولكن عندما تفتحها تلتقي نظراتها بنظراته القوية، تتنهد بعمق وتهمس: حقًّا لا أستطيع، تعتقد أنني أمزح أعلم، لكن أستصدّقني القول عندما أخبرك أنها المرة الأولى في حياتي كلها التي يمكنني فيها سماع قلبي؟ أنا تائهة تمامًا الآن، أسأل عن المساعدة حقًّا، لكن هذا فقط بسب وجودك قربي، أعلم جيدًا أنني عليّ الهرب الآن والركض بكل ما أوتيت من قوة ومغادرة هذه المنطقة بأكلمها، لكن لا تعتقد أن هذا شيء سهل، أشعر بوجود جبل يجب أن أتسلقه كي أترك تلك اللحظة وأغادر، أعلم أن ما أقوله يبدو متهورًا وغير ناضج، ولكن هناك ملايين الأفكار التي تدور في رأسي الآن حولك، فلقد أصبحتُ أسيرة لك، تلك السوادوية في عينيكَ أفقدتني صوابي.

الرجل ذو الهيبة ارتفع حاجباه بشكل حاد، وبنظرة ساخرة: اللعنة، هل أرسلوا لي مراهقة مجنونة حقًّا، إن هذا أشعرني بالإهانة.

يستعد الرجل ذو الهيبة للرحيل وتحرك بعض خطوات،

بحركة مفاجئة سحبَتْه فريدة إليها ممسكة بمعصمه بقوة، زفر بقلة صبر ورفع حاجبيه في استنكار، ثم لفّ رأسه ببطء ليحدق إليها بنظرة مكهربة، وبنبرة تهديد: المسيني مرة أخرى وسأنهي حياتك.

فريدة: حسنًا، انتظر.. أخبرني اسمك حتى أو كيف يمكنني أن أراكَ ثانية؟

الرجل ذو الهيبة يجزّ على فكه لتبرز عروق وجهه: أنا شيطانُكِ يا فتاة، ومن الأفضل لكِ إذا رأيتِني صدفة اهربي.

مضى في طريقه وفريدة ما زالت تقف في مكانها تتأمل ظهره المشدود بإعجاب.

فريدة: رجل منحوت بحجرٍ من النعيم.

تمسك يدها التي تكون عالقة بها رائحته تستنشق عطره بعمق، بنبرة هامسة: رائحتُكَ الرجولية وحدها جعلتني أفقد السيطرة على نفسي

تتابع سيرها في الشارع محاولة الخروج منه، فتحَت حقيبتها وأخرجت هاتفها المحمول، ثم بدأت في الاتصال بأمير.

أمير في قلق: فريدة أين أنت؟ إني أبحث عنكِ ولا أستطيع إيجادك.

فريدة: أنا أيضًا لا أستطيع إيجادك، هل أنت بخير؟

أمير: أنا بخير، ماذا عنكِ؟

فريدة: بخير لا تقلق، أرسل لي موقعك سآتي إليك.

أمير: لا، إن المكان الذي أتواجد فيه الآن مزدحم للغاية وسيارات الشرطة تحيط به من كل الاتجاهات، لذا اذهبي إلى مكان آمن وهادئ وأرسلي لي موقعكِ، سآتي على الفور لاصطحابك.

فريدة: حسنًا، سأرسله الآن.

بعد فترة قصيرة يصل أمير إلى فريدة، يمسك يدها في قلق:

فريدة أحدثَ لكِ شيء؟ هل أنت بخير؟

فريدة أومأت برأسها في موافقة، وابتسمت برقة: لقد أخبرتك.. أنا بخير لا تقلق، لم يحدث شيء، هيا لنغادر هذه المنطقة؛ فيبدو الوضع فيها غير آمن الآن.

أمير: هيا لنذهب.

فريدة: هل تحدّثتَ مع أحد من (F70)؟

أمير: أجل، جميعهم بخير، ينتظروننا في مطعم قريب من الفندق لتناول الغداء والتحدث عما حدث.

فريدة تهمهم كجواب.

أمير لاحظ الكاميرا المُحطّمة التي تحملها فريدة، وفي دهشة:

فريدة، ما هذا؟ هل كُسِرَت كاميرتك؟!

فريدة تنظر إلى الكاميرا في حزن وتتذكر ما حدث لها: يا إلهي! لقد نسيت أنّ كاميرتي كُسِرَت، لقد سقطت من يدي على الأرض عندما كنتُ أركض وكُسِرت.

أمير في مواساة: لا يهم، المهم أنكِ بخير.

وصلا إلى المطعم واتجها إلى الطاولة الجالس فيها باقي الفريق.

ليلى في توتر وبنبرة مرتفعة: فريدة.. أمير، هل أنتما بخير؟

أومأ الاثنان رأسيهما بالموافقة.

فريدة تنظر إلى الجميع بدقة: هل الجميع بخير؟

يوسف في تذمر: يالها من بداية، تدلّ على نوع المهمة التي تنتظرنا.

أمير: لم أكن أعتقد أنها ستكون بهذه الخطورة منذ اليوم الأول.

ليلى: إذًا جيد معرفتنا المبكرة حتى نستطيع أخذ احتياطاتنا في المرات القادمة بدون خسائر.

فريدة تلاحظ شرود حازم وعدم مشاركتهم الحديث، فريدة: حازم هل أنت بخير؟ في ماذا تشرد؟

حازم ينتبه لصوت فريدة، ليخرج من شروده: أنا بخير، هيا فلنطلب الطعام ونرى ما التقطَه الجميع لليوم.

فريدة تنظر إلى كاميرتها بتحسر: للأسف لا يوجد لدي شيء، تحطّمَت كاميرتي.

ليلى تربتُ على كتفها برفق: لا تحزني عزيزتي، المهم أنكِ بخير.

ابتسمت فريدة إلى ليلى في لطف.

يوسف: أنا التقطتُّ مجموعة من الصور لرجال هيئتهم كانت مختلفة عن الحضور يرتدون جميعًا بدلات سوداء رسمية، أعتقد أنهم حرس شخصي لأحد.

فريدة: أنا أيضًا كان لديّ صور لرجال بنفس الهيئة الغريبة التي تحدث عنها يوسف، لكن كان هناك تصرف مريب منهم، لقد ظلوا طوال الوقت يبحثون بين الحضور على شخص أو شيء ما، لا أعلم.

ليلى: أنا أيضًا التقطتُّ صورًا، لكن التقطتُّ لقطات تثير الشك.

الجميع ينتبه إلى ليلى، لتكمل حديثها ويبدو على صوتها الارتباك: كان هناك ثلاث رجال، والذي أعتقد أيضًا أنهم حرس شخصيء، ولكن كان تركيزهم...

وتوجه نظرها نحو فريدة: فريدة!

يوسف في تعجب: كيف هذا؟! إنها المرة الأولى لفريدة لتواجدها في حدث خاص بالمهمة، يستحيل أن يكون تم كشفها بتلك السرعة.

فريدة: أنا أيضًا لا أعتقد ذلك، إنه اليوم الثالث لي في صقلية.

حازم: حسنًا، انتهى النقاش في هذا الموضوع، فإنه غير منطقيّ كشف فريدة الآن، على ما يبدو يا ليلى أن ما حدث أصابكِ التوتر، ولم تستطيعي التركيز.

ليلى لا تعلق لتأكدها مما رأت.

حازم: إذًا مهمتنا الأولى لم تعُد بالنفع.

يوضع الطعام على الطاولة بعد فترة من الوقت، يبدأ الجميع في تناول الطعام وينتهون ويغادرون.

تمر أربعة أيام على الفريق في هدوء تام، يجتمعون وقت تناول الطعام، تقضي فريدة وقتها في الخروج مع ليلى وأمير لاستكشاف المدينة.

نهاية اليوم الرابع كان الثلاثة يشربون القهوة في أحد المقاهي، لتصل إليهم رسالة في نفس الوقت على هواتفهم، العقيد شريف: سيقام اجتماع اليوم في المكان المرسل موقعه، ويجب على كل عضو أن يأتي بمفرده دون جماعة.

أمير في سخرية: هل يقصدنا بهذا الكلام؟

ليلى: بالتأكيد، هناك من أخبره بأمرنا.. مفسدين المتعة حازم ويوسف، لم نقضِ وقتًا كافيًا في المرح.

فريدة تقهقه بصوت عالٍ: أيها الشباب، نحن هنا في عمل

لسنا في عطلة، فلتركزوا قليلاً، ماذا تريدون أكثر من هذا؟! لقد أمضينا الأربعة الأيام الماضية في المرح فقط، أنا حقًّا أرى أن هذه المهمة مكفاءة لنا.

ليلى تقهقه معها: أنتِ محقة، صراحة.

فريدة: هيا لنعود إلى الفندق كي نستعد حتى لا نتأخر على موعد الاجتماع.

أمير في سخرية: والأهم من ذلك أن نذهب منفصلين حتى نشتّت الانتباه في مكان لا يبدو أن هناك أحد فيه يعلم بوجودنا.

يضحك الجميع على كلام أمير ويتحركوا إلى الفندق.

تدخل فريدة غرفتها لتبدل ملابسها وتغادر، تستقلّ سيارة أجرة من على جانب الطريق لتصل إلى الموقع، تنزل من السيارة وتسير في ممر ضيق حتى تصل إلى مكان الاجتماع، وتقف أمام المبنى.

فريدة تشعر بشخص يتبعها، تنظر وراءها فلا تجد أحدًا.

فريدة تتحدّث بسخرية: ماذا بكِ يا فريدة؟ هل بدأتِ تتوهمين الآن؟

تدخل المبنى، يوسف واقف في الردهة، يقترب لها بخطوات بطيئة، ويهمس في أذنها: اتبعيني.

فريدة في تذمر: ما هذه المبالغة يوسف؟

يوسف: مبالغ فيه؟

فريدة: كثيرًا.

يوسف يسير وفريدة بجواره، يصلان إلى القاعة المعقود فيها الاجتماع، تكون غرفة في نهاية الردهة، كانت إضاءة الغرفة خافتة صادرة من مصابيح جانبية مغطاة بأغطية نحاسية، الطاولة المستديرة في وسط الغرفة عليها مستندات وأقلام مرتبة بعناية، الغرفة كانت مغطاة بشاشات ضخمة.

العقيد شريف: مرحبًا (F70)، بما أن الجميع حاضر فلنبدأ الاجتماع، أولاً أحب أن أخبركم أنه حتى الآن سيكون هذا المكان الذي سيُعقد فيه الاجتماع الأسبوعي.

أومأ الجميع برأسه دون اعتراض.

العقيد شريف: أعلم أن الأسبوع الأول قد مر بدون أحداث، أعتقد أيضًا أن الجميع استقر بشكل جيد حتى نبدأ العمل بحماس.

أمير بنبرة اعتراضية: لا، فلقد كان هناك الكثير من الأحداث وإطلاق نار.

نظر الجميع إلى أمير في تعجب بسبب نبرته.

العقيد شريف يرفع حاجبيه في سخرية: يبدو أن الشاب الجديد دائم الاعتراض، أعرف ما حدث يا أمير، لكن ليس هذا بشيء، فلم تبدأ المهمة بعد، على كُلٍّ لنرى المعلومات التي

جمعتموها أثناء هذا الحدث.

بدأ الجميع في التحدث وسرد الأحداث التي حدثت، لينتهي الاجتماع بشكل إيجابي دون خلافات.

العقيد شريف: لنكتفى اليوم بهذا القدر، غدًا هناك حدث خيريّ سيحضره نخبة من أقوى رجال الأعمال حول العالم، وما يهمنا في تلك النخبة هو حضور أعضاء المافيا الموجودة في صقلية جميعًا، إنه مزاد عالميّ للقطع الفنية والأثريّة تتبعه حفلة، الخبر السيء أننا لن نستطيع حضور المزاد، الخبر الجيد أننا نستطيع حضور الحفلة، ليلى ويوسف ستذهبان كشريكين، وأنا وفريدة شريكان، لقد أحضرتُ لكم الدعوات، سنتقابل غدًا وأعطيها لكم.

ليلى في حماس: هل زعيم المافيا الخاص بمهمتنا سيكون حاضرًا غدًا؟

العقيد شريف: بالطبع، فهو أحد رجال الأعمال المشهورين حول العالم.

يخرج العقيد شريف من حقيبته ظروفًا بيضاء يعطيها لفريدة وليلى ويوسف: اذهبوا غدًا صباحًا لتسوق وشراء ملابس ملائمة للحفلة، أيضًا ستكون حفلة تنكرية؛ لذا عليكم ارتداء الأقنعة مثل الجميع.

ليلى في حماس مختلط بارتباك: أنا أشعر بخروجي من مسلسل بوليسيّ إلى أرض الواقع.

يوسف في تذمر: إذًا فليهدأ حماسك قليلاً، فلا نريد أن ينقلب علينا المسلسل غدًا في الحفلة.

حازم: هيا لنغادر بما أن الاجتماع انتهى.

فريدة تستأذن لتكون أول مُغادِرة، يتبعها أمير ثم يوسف فليلى فحازم.

فريدة تصل الفندق أولا وتنتظر في ردهة الاستقبال باقي أعضاء الفريق، جلس أعضاء الفريق جميعًا في الردهة.

أمير: فريدة، ما هو شعورك لحلفة الغد، هل أنتِ متحمسة؟

فريدة بصوت مهزوز: لا، فأجواء الحفلات لا تناسبني، أيضًا لا أعرف نوع الطبقة التي سأراها غدًا، ولا أعلم ماذا سأرتدي، حقيقة أشعر بقليل من التوتر.

أمير: بخصوص الجزء المتعلق بماذا سترتدين فلا تقلقي، أنا جيد في التسوق، سأذهب معكِ غدًا لنشتري أجمل فستان صُنِع في صقلية من أجلك.

فريدة تبتسم بلطف: أمير، لقد حصلتَ على جائزة أفضل صديق في الكون.

أمير ينظر يمينًا ويسارًا: أين هي جائزتي إذًا؟ لا أراها.

فريدة تضرب أمير على رأسه بدلال: إنها داخل قلبى أيها الجشع.

يقهقها الاثنان معًا.

ليلى تنتبه إلى صوتهما المرتفع: على ماذا تضحكان أيها الأطفال بدوني؟

فريدة في حماس: لقد وعدني أمير بمساعدتي غدًا في اختيار فستان للحفلة.

ليلى مصطنعة الحزن: أنا أيضًا أمير، أرجوك ساعدني، فأنا لا أعلم شيئًا عن تلك الحفلات.

أمير في تفاخر: حسنًا حسنًا سأساعد الجميع، بما أنني من عائلة ثرية فلديّ خبرة واسعة في هذا النوع من الحفلات.

يوسف يضرب أمير على مؤخرة رأسه: هذا ليس له علاقة بالثراء يا فتى، بل بميولك.

فريدة في غضب: يوسف لا تزعج عزيزنا أمير، إن لم تكن بحاجة إلى مساعدته فنحن بحاجة إليه.

يوسف بتذمر: حسنًا، لن أزعج عزيزنا أمير، فأنا أيضًا أحتاج إلى مساعدته.

يغادر الجميع إلى غرفهم متفقين على ميعاد ذهابهم للتسوق في الغد.

اليوم التالي مر في التسوق طوال النهار، وفي المساء بدأ كل مدعو إلى الحفلة في الاستعداد.

ليلى تطرق باب غرفة فريدة وتدخل: فريدة أين أنت؟ أحتاج منك مساعدة في غلق السِّحَاب.

فريدة تخرج من الحمام: آتية، فلتسديري.

ليلى تقف ثابتة في مكانها في ذهول: ما هذا بحق السماء؟!

فريدة: حسنًا، لا تكوني مبالغة، أعلم أن الفستان جيد، فأمير حقًّا بارع في التسوق.

ليلى: أيتها الباردة، إن أمير جيد في التسوق أعلم هذا، لكن ما لم أكن أعلمه كيف لاق بك الفستان هكذا، كأنك نزلتِ من السماء ضيفة لنا الليلة سيدة فريدة.

فريدة تبتسم في خجل: يكفي عزيزتي ليلى، أنتِ أيضًا جميلة الليلة كثيرًا، ولاءَمك الفستان بشكل مذهل، هيا استديري كي أغلق السحاب.

ليلى: حسنًا، إذا كنتِ قد انتهيتِ من الاستعداد فإن يوسف ينتظرنا بالأسفل.

فريدة: نعم لقد انتهيت، انتظري.. سأحضر حقيبتي والقناع ولنذهب.

فريدة ترتدي فستانًا طويلاً أحمر داكنًا، مُقسّم نصفين..

نصف مصنوع من الحرير والنصف الآخر مصنوع من الدانتيل، ضيق ليبزر معالم جسدها بشكل أنيق، ذو حمالة عريضة تحيط عنقها، وقفازات من الدانتيل تغطي نصف ذراعها، ينتهي الفستان بشقٍّ يصل إلى منتصف فخذها، كان شعرها الطويل منسدلاً بحرية على ظهرها، أما القناع الذي ارتدته فهو قطعة أنيقة مصنوعة من الدانتيل الأحمر نفسه، يتطابق مع لون الفستان تمامًا، يغطي جزءًا من وجهها ليضفي لمسة من الغموض على إطلالتها.

كانت ليلى ترتدي فستانًا طويلاً منفوشًا باللون الوردي، مفتوح من الصدر بأكمام قصيرة.

نزلت الفتاتان من الفندق وركبتا سيارة كان يقودها يوسف من الفندق ليصلوا إلى مكان الحفلة، توقفوا أمام القاعة حيث كان العقيد شريف بانتظارهم، يرتدي زيًّا رسميًّا أيضًا، سلم إلى يوسف الدعوات ليتمكنوا من دخول الحفلة.

العقيد شريف ابتسم برقة، ثم انحنى قليلاً وثنى ذراعه نحو فريدة، وبنبرة هادئة: أنتِ شريكتي الليلة، فريدة أمسكي بذراعي.

فريدة ابتسمت بلطف وأمسكت ذراع العقيد شريف، تقدما نحو الداخل ووراءهما ليلى ويوسف.

كانت أجواء الحفلة هادئة عكس المتوقع.

العقيد شريف: فريدة، لنرقص معًا.

فريدة أومأت رأسها بالموافقة، وذهبا إلى ساحة الرقص وبدآ بالرقص.

العقيد شريف: أتعرفين أكثر ما يثيرني اتجاهك؟ ثباتك القوي أمامي، فلقد اعترفتُ لكِ بمشاعري وأنت تتصرفين وكأنّ ما حدث لم يحدث، وليس فقط أمام الجميع، بل حتى عندما نصبح بمفردنا.

فريدة: شريف، لقد تحدثنا في هذا الموضوع من قبل، وأخبرتُكَ أن نظرتي لك لن تتغير بعيدًا عن العمل، ستظل شريف صديقي الذي ساندني في الكثير.

العقيد شريف: ما هو اعتراضك على إعطائنا فرصة فريدة؟ ربما تتحول مشاعر الصداقة إلى أكثر من ذلك كما تحوّلَت معي.

فريدة: أرجوكَ لا تضغط كثيرًا في هذا الموضوع شريف، ولنركز اليوم على عملنا، حسنًا؟

العقيد شريف: حسنًا، كما تُفضّلين فريدة.

فريدة تفصل الرقصة: هيا لندهب إلى ليلى ويوسف.

العقيد شريف أومأ برأسه دون تعليق.

تذهب فريدة إلى جانب ليلى.

ليلى في تذمر: هل أنتِ غبية فريدة؟ لماذا أنهيتِ الرقصة

بتلك السرعة؟

فريدة: شعرتُ بالملل.

ليلى: أنا متأكدة من رفضكِ له مجدّدًا.

فريدة في سخرية: ومن قال؟

ليلى في خبث: صديقتي، أنا أعرفك حق المعرفة، وأيضًا أعرف شريف من تجَهُّمِ وجهه.

مر نادل بجوار ليلى يحمل صينية من المشروبات، التقطَت ليلى كؤوس شمبانيا للجميع.

ليلى في حماس: هيا نحن في حفل، فلنستمتع بوقتنا.

العقيد شريف تنهد بسخرية: ليلى، لا تنسِ نحن هنا بسبب العمل.

غادر مبتعدًا عنهم.

بدأ يوسف بشرب كأس الشمبانيا: هذا أفضل تصرف فعلته ليلى.

ليلى تغمز ليوسف: فلتستمتع.

انحنت ناحية فريدة، وبهمس: لقد عُكِّر مزاج العقيد بسببك.

فريدة تتنهد في ضجر: لماذا هذه الحفلة مملة؟

يمر الوقت، لتنقلب أجواء الحفلة المملة فجأة إلى أجواء مثيرة بالنسبة إلى فريدة.

لمعت عين فريدة عندما رأته يدخل من القاعة، وكأن الأنظار جميعها تلاحقه من رجال ونساء على حد سواء، كان يرتدي تلك البدلة السوداء المصممة خصيصًا له تضفي عليه مظهرًا آسرًا مع رابطة عنق سوداء تزيد من وقاره، القناع الأسود الذي يغطّي نصف وجهه فقط لتجعله غامضًا بشكل مثير.

شعرت فريدة بابتسامة تتسلل إلى شفتيها لا إراديًّا، مزيج من الدهشة والفرحة يسيطر عليها، كيف هذا؟! لقد عرفته من الوهلة الأولى رغم تنكره، كأنني أعرفه من سنوات مضت.

بقيت عيناها معلقتان به، تتبع حركاته بانبهار لم تستطع السيطرة عليها، حاولَت جاهدة أن تزيح عينيها بعيدًا، ولكن كأن شيئًا يجذبها نحوه، حتى أمسكت عينَيه بعينيها.

ارتبكت فريدة وقررت الذهاب إليه، تحركت بخطوات مترددة لكنها واثقة في الوقت ذاته دون ان تزيح عينها من عليه حتى وقفت أمامه، كان يقف بين مجموعة من الرجال، ملامحه تحمل هدوءًا وثقة مهيبة.

فريدة:

Good evening، may I ask for a dance?

مساء الخير، هل يمكنني أن أطلب منك رقصة.

الرجل ذو الهيبة ممسكًا كأسًا من الشمبانيا بيد واليد الأخرى

في جيبه: جِدِي شريكًا مناسبًا لكِ يا فتاة، أنا في منتصف إنهاء عمل مهم.

فريدة في حماس مصحوب بتعجب: ماذا؟! لقد تعرفت عليّ، لم أتوقع ذلك أبدًا.

الرجل ذو الهيبة يقترب بخطوات ثابتة من فريدة: أستطيع أن أعرف عنكِ ما لا تعرفينه عن نفسك.

فريدة تبتسم من تحت قناعها: حسنًا، لا يليق برجل مهذب مثلك أن يرفض طلب رقصة من امرأة ترتدي فستانًا في منتصف القاعة.

الرجل ذو الهيبة بنبرة حادة: احذري مما تقولينه؛ فأنتِ لا تعرفين ما يليق بي وما لا يليق بي.

فريدة همهمت كجواب والإحراج يسيطر عليها: حسنًا، سأغادر إذًا، يبدو وأنني قد قطعتُ شيئًا مهمًا.

الرجل ذو الهيبة يجذبها من معصمها يقربه له: هذا ليس قرارك، لا نريد أن يبدو شكلي سيئًا أمام الجميع، أو نريد؟

فريدة تهز رأسها بالنفي: لا نريد.

الرجل ذو الهيبة وفريدة يتحركان إلى منتصف القاعة بين الثنائيات التي ترقص، طوَّقَ بذراعه خصر فريدة، ألقت ذراعيها حول عنقه وبدأ الاثنان في التمايل مع الموسيقى.

فريدة تقترب منه أكثر لتهمس في أذنه: أشعر بأننا محط أنظار الجميع، إن هذا يجعلني أشعر بالغرور.

الرجل ذو الهيبة: لماذا؟!

فريدة: إن شريكي في الرقصة أوسَمُ رجل في القاعة، ألا يجب أن يُشعرني هذا بالغرور؟ سيدي، ألا تشعر برغبة في معرفة اسمي أو أن تُعرّفني على نفسك؟ سأبدأ أنا في تقديم نفسي.. أنا فريدة.

الرجل ذو الهيبة بملامح ثابتة: يا فتاة، أنا آخر شخص يجب عليك الاقتراب منه، وبما أنكِ هنا تتمايلين في أحضاني، فأنتِ لم تعرفي من أنا بعد.

فريدة تتصنَّع الصدمة: ماذا؟! هل أنت شخص مشهور يجب عليّ معرفته؟ اعذرني إن لم أتعرف عليك؛ فمعرفتي بالمشاهير محدودة.

يبتسم الرجل ذو الهيبة بسخرية على كلام فريدة، تبتسم فريدة والسعادة تتطاير من عينيها.

الرجل ذو الهيبة: إنكِ فتنة ستفتك بالجميع، أو لا تعتقدين؟

فريدة: لا، إنه أنتَ من أريد أن أفتنه، ليس لي شأن بالجميع.

الرجل ذو الهيبة: أتعتقدين أنك تستطيعين؟

فريدة: ربما.

الرجل ذو الهيبة: تذكري كلامك إذًا للوقت المناسب.

فريدة: هل يمكنني أن أسألك عن شيء؟

الرجل ذو الهيبة: أجل.

فريدة: برغم معرفتي الواسعة عن العطور، لم أستطع التعرف على عطرك، إنه مميز للغاية.

الرجل ذو الهيبة: لن تستطيعي معرفته، لقد صُنع خصّيصًا لي.

فريدة ملامح الدهشة تسيطر على وجهها، لكن القناع يمنع ظهورها: حقًّا؟!

الرجل ذو الهيبة: أنا لا أجيب مرتين، هيا اذهبي إلى أصدقائك، لقد انتهت الرقصة.

يترك يدها ويعود إلى مكانه مرة أخرى.

فريدة ترجع إلى أصدقائها، ليلى تبتسم بخبث.

فريدة: ماذا؟!

ليلى: ماذا أنت؟! من هذا الوسيم؟

فريدة: لا أعرف.

ليلى: فريدة لا تتخابثي، أخبريني.

فريدة: أنا لا أتخابث، فحقًا لا أعرف حتى اسمه، يرفض إخباري كأني أخدش كبريائه عندما أسأله.

ليلى في تعجب: لماذا؟! وهل التقيتم من قبل؟

فريدة: سأخبركِ لاحقًا يا ليلى.

بعد انتهاء فريدة من محادثتها لليلى تنظر أمامها لتجد الرجل ذا الهيبة قد اختفى.

فريدة في خيبة أمل: يا لسوء حظي! إنها المرة الثانية ولم أعرف شيئًا عنه.

العقيد شريف يظهر من جديد: هيا، يمكننا المغادرة الآن، لقد حققنا الهدف الذي نريده.

يوسف: إن الحفلة ما زالت في بدايتها، فلنبقى.

العقيد شريف: أنا سأغادر، ليبقى من يريد.

فريدة: أنا أيضًا سأغادر.

وبصوت غير مسموع: فلقد انتهت الحفلة بالنسبة لي.

ليلى: سأغادر مع فريدة.

يوسف في تذمر: إنكم حقًّا مملّون، فلنغادر جميعًا.

يغادر إعضاء الفريق جميعًا.

نهاية اليوم التالي تصل رسالة إلى هاتف فريدة على مجموعة (F70)، العقيد شريف: فريدة وليلى فلتذهبا غدًا لشرب قهوة في مقهى سأرسل لكما اسمه في الصباح، إن آدم زعيم المافيا سيتواجد هناك لإنهاء عمل، بقدر المستطاع عليكم التقاط أكبر عدد ممكن من الصور وجمع معلومات عن الشخصين.

فريدة ترد برسالة: تم.

ليلى ترد برسالة: حسنًا يا رئيس.

استعدت فريدة وليلى منذ الصباح الباكر وقاما بتحضير الكاميرات.

فريدة: ليلى، ما رأيكِ في اصطحاب أمير معنا، كأننا مجموعة من السياح الأصدقاء.

ليلى: تبدو فكرة جيدة، ولكن ألن يعترض العقيد شريف؟

فريدة: لماذا سيتعرض؟ فهو قادم لمساعدتنا.

ليلى: حسنًا، سأخبره حتى يستعد.

فريدة أومأت برأسها بالموافقة.

اجتمع الثلاثة معًا وذهبوا إلى المقهى، جلست فريدة وأمير بجانبها وليلى أمامهما.

نهض أمير من مكانه لإحضار المشروبات، يدخل المقهى مجموعة من الرجال ذي الأجسام الضخمة يرتدون بدلات سوداء رسمية ونظارات داكنة، يصطفون حول طاولة في الركن الأخير من المقهى.

فريدة في توتر: شباب.. استعدوا، الحرس الشخصي وصل، سنتعرف على آدم بعد لحظات.

أمير: أنا غير قادر على تصديق كيف يجتمع رجال مافيا

لإنهاء عمل أو صفقة في مقهى، إلا يوجد مقر سريّ أو مكان لإنهاء أعمالهم فيها؟!

ليلى في سخرية: ليس كل ما نراه في الأفلام صحيحًا عزيزي أمير.

فريدة تقهقه بسبب كلام الاثنين: بالطبع يمتلكون أكثر من مليون مقر سريّ أمير وليلي، لكن وجودهم هنا اليوم يحمل معنى نجهله.

يدخل الطرف الأول يرتدي بدلة زرقاء فاتحة اللون مع قميص أبيض بدون رابطة عنق، يبدو من هيئته أنه إيطاليّ الشكل، يجلس على الطاولة يتصفح هاتفه.

فريدة في سخرية: مرحبًا بالطرف الآخر، على ما يبدو أن بطلنا الخاص غير محترم لمواعيده.

أمير في دهشة: كيف لكِ معرفة أن هذا ليس آدم؟

فريدة تضربه بذراعه: انظر إليه جيدًا أمير، ألا يبدو لك إيطاليًّا؟

أمير: نعم صحيح.

فريدة بسخرية: هيا أيها الذكي، التقِطْ بعض الصور لليلى واهتم بالخلفية التي وراءَك أرجوك، لا نريد أن نرحل فارغي اليد، سأذهب لأُجري مكالمة هاتف.

خرجت فريدة من المقهى إلى رواق فارغ في نهاية الشارع، تنظر يمينها ويسارها لتتأكد من عدم وجود أحد، لتجرى مكالمة الهاتف.

العقيد شريف: مرحبًا فريدة.

فريدة: مرحبًا شريف، هل أنت مشغول؟

العقيد شريف: حتى وإن كنت مشغولاً فريدة، هناك وقت لكِ دائمًا، ماذا هناك؟

فريدة: شريف، لقد فهمتُ جيدًا أن سبب قدومنا ليس للمساعدة لمنع اغتيال رئيس أو شخصية هامة كما أخبرتَنا، إذًا ما هو السبب الحقيقي؟

العقيد شريف: تصبحين مثيرة كثيرًا عندما تكوني حادة الذكاء مثل الآن، فريدة لا يمكنكِ طرح مثل هذه الأسئلة، أيضًا لا يمكنكِ استغلال العلاقة الشخصية بيننا لإجراء هذا الاستجواب.

فريدة في عصبية: شريف، اترك علاقتنا الشخصية خارج النقاش؛ فأنا لا أستغلك وأيضًا لا أقوم باستجوابك، ولكن هناك أربعة أشخاص غيري يجهلون الحقيقة وما هو الخطر الذي سيواجهنا؟

العقيد شريف في نبرة حادة: فريدة، لا تنسي ما هي مهمتكم،

نحن رجال شرطة، أنتم صحفيّون تساعدوننا فقط.

ثم تلين نبرته: أيضًا لن أدع أي مكروه يصيبك فريدة، تأكدي من ذلك، سأحميكِ بروحي.

فريدة: حسنًا شريف، سأعود إلى المقهى.

تُنهي فريدة المكالمة لتصلها رسالة إلى هاتفها..

ليلى: أين أنتِ؟ لقد وصل الزعيم.

تعود فريدة إلى المقهى تتجنَّب النظر إلى الطاولة التي يجلس عليها الزعيم حتى لا تثير الانتباه.

فريدة: إذًا ماذا فاتني؟

ليلى في سخرية: إنني لن أكمل تلك المهمة.

فريدة في توتر: لماذا؟! ماذا حدث؟

ليلى: ليس من العدل أن أكون سببًا حتى لو صغيرًا لا يرى في المساعدة على القبض على أكثر شخص وسيم قد تراه عيني طوال حياتي.

تقهقه فريدة، وتضرب ليلى على ذراعها: ليلى، ما هذا المزاح السيء؟ لقد شعرتُ بالقلق، أين يجلس؟ هل بجواري؟

ليلى أومأت رأسها بالموافقة: أجل، حرّكي رأسكِ قليلاً وكوني على استعداد لتري أجمل رجل قد تراه عيناك.

تبتسم فريدة بسخرية، تحرك رأسها تدريجيًّا ناحيته، تُلقي

فريدة نظرة خاطفة عليه، وبصدمة تحرك رأسها نحوه مرة أخرى تُحدّق فيه بدقة، تراه هو الآخر ينظر إليها كأنه كان في انتظار هذا.

سيطرَت على فريدة علامات الصدمة المصحوبة بالذعر التي تظهر على ملامحها، ظلت محملقة فيه بتلك النطرة دون أن تزيح عينيها أو ترمش حتى، الآخر يحدّق فيها في ثبات وبنظرة حادة.

ليلى تمسك بيد فريدة بخفة: يكفي فريدة، أنا أعلم أنه وسيم، لكن بطريقتك هذه سنُفضَح، لقد انتبه الزعيم إليك.

فريدة تخرج من حالة الشرود التي سيطرت عليها غير منتبهة لكلام ليلى، تلتفت إليها بملامح مذعورة: ماذا قُلتِ ليلى؟

تضع أطراف أصابعها في فمها تقضم أظافرها من التوتر الواضح.

ليلى بابتسامة ساخرة: ماذا بك؟! هل أصابكِ سحره؟ تمالكي أعصابك قليلاً أيتها المراهقة.

فريدة بصوت مهزوز: هل هذا هو آدم؟

أومأت برأسها كجواب.

أمير: فريدة، لمَ المبالغة؟ إنه ليس جذابًا إلى تلك الدرجة.

فريدة تضع يدها على مقدمة رأسها في يأس وتغمض عينيها بضع لحظات: سأذهب إلى الحمام.

وتنهض مسرعة من على الطاولة.

أمير: غريبه فريدة حقًّا، تمتلك تصرفات غير مفهومة.

ليلى: اخرس أمير، إنها امرأة عزباء.

وقفت فريدة أمام المرآة في الحمام تقبض على الحافة بعمق، لتهرب من عينيها بعض الدموع، وضعت المياه على جانبَي وجهها ببطء، تنفُّسُها كان مضطربًا لتبدأ في تنظيمه، تتنفَّس شهيقًا وزفيرًا مرتفعًا، محدثة نفسها: اهدئي فريدة، أنتِ في مهمة عمل، يكفي عليكِ التركيز، ستخسرين براعتك في العمل.

انسالت دموعها بغزارة كما لو أنها تحمل حزن العالم على كتفها، كانت تتحرك بتوتر واضح، تخطو ذهابًا وإيابًا بسرعة وكأن الأرض تحت قدميها تضيق، قبضَت بيدها على مقدمة شعرها تشدّه بارتباك، بينما أسنانها تنهش أظافرها بلا وعي، كانت الدموع تتدفق بلا توقف.

أسندت رأسها على الحائط خلفها وتنهّدَت بيأس: يا إلهي، كيف هذا؟! إنها المرة الأولى التي أتمنى فيها شخصًا بشدة، لماذا هو؟! لقد كنتُ أظن أنه الضوء الذي سيقودني إلى المنزل، لماذا أنا ملعونة بتلك اللعنة المؤلمة؟! أنا أشعر بالتعب الشديد، عالقة في داومة الوحدة لا أستطيع الخروج منها، إنها تؤلمني بشدة.

تقف أمام المرآة تزيل بواقي دموعها العالقة على جلدها: أوقفي

تلك الدراما فريدة، كيف يمكنكِ الحزن على شخص قابلتِه مرتين فقط؟! هل أنتِ بائسة إلى هذا الحد؟ كيف استطعتِ وضع خطط وأحلام لرجل لم تعرفي اسمه حتى خمس دقائق ماضية؟!

استجمعت شجاعتها وتنهّدَت بعمق، وغادرت الحمام بخطوات ثابتة، لمحت الرجل ذا الهيبة يتكئ على الحائط، استقرَّت إحدى قدميه بثبات على الأرض، بينما ارتفعت الأخرى لتستند على الحائط خلفه، إحدى يديه تعبثُ بسجارته المشتعلة والأخرى مستقرة في جيب بدلته الفاخرة، كانت ملامحه تشع هدوءًا ممزوجًا بغموض ساحر.

فريدة اقتربت منه بحذر: سيدي، ماذا تفعل هنا؟

الرجل ذو الهيبة (آدم) اقترب من فريدة بخطوات واثقة، عيناه تُركّزان عليها بثبات، رفع السيجارة ببطء إلى شفتيه واستنشق منها نفَسًا عميقًا، ثم نفث الدخان في وجهها: لاقَت بكِ كلمة سيّدي كثيرًا، أنتظرك.

فريدة في تعجب: تنتظرني! لماذا؟!

آدم: ألم تكوني مهتمة بمعرفة اسمي ومن أكون؟ أنا هنا لأخبركِ، أم أنكِ فقدتِّ هذا الاهتمام.

ارتبكت فريدة ووضعت يدها على رقبتها تتحسسها بتوتر،

تصمتُ للبحث عن كلمات ضائعة وسط زحمة الأفكار، وبصوت مهزوز: ما زلتُ مهتمة.

آدم: أكره الكاذبين كثيرًا فريدة، فأنا لا أرى تلك المراهقة المجنونة التي كانت أمامي من يومين؟

فريدة في ذهول ونبرة صوت مرتفعة: إذًا أنت كنت تعلم؛ لهذا رفضتَّ إخباري شيئًا خاصًّا بك.

آدم يصفع فريدة على فمها بخفة: صه، أنا لا أحب أن تتحدث الفتيات بصوت عالٍ.

فريدة تُصدَم لفعل آدم، وتضع يدها على فمها تتحسّسه، آدم: لا تقلقي، لن تترك أثرًا، هذا عقابُكِ على صوتك المرتفع، فتاة أنا لم أخبركِ شيئًا عني لأنني لست مهتمًا بك فقط لهذا السبب.

ثبَّتَ نظراته على عيني فريدة المنتفختين أثر البكاء: يبدو أن فتاتنا اللطيفة بكَت كثيرًا، لماذا أنتِ هاشَّة هكذا؟ كيف تعتقدين أنه يمكنكِ النجاة هنا؟

فريدة في ثبات: نجاتي في أي مكان ليسَ له علاقة بكوني هاشة، ونعم لقد بكيتُ كثيرًا.

ثم تضحك بسخرية: يبدو هذا غريبًا، لكني شعرتُ بألم الانفصال وأنا جاهلة لاسمك، أشعر بخيبة أمل الخيانة وكأننا

على علاقة منذ سنوات.

آدم يبتسم بسخرية: أنتِ شخصية ساذجة، أوليس؟ لقد أخبرتكِ أن الحجيم مَن أرسلني لننهي ذلك النقاش، عليكِ أن تتعلّمي كيف تتخلصين من الماضي، حسنًا؟

فريدة تقهقه بصوت مرتفع: سيدي، ماذا بك؟ لم يكن هناك ماض.

آدم في نظرة حادة: أريدكِ أن ترحلي.. تغادري إلى بلدكِ، تتخلي عن هذا العمل ولا تعودي مرة أخرى.

فريدة في تعجب: لماذا عليّ فعل هذا؟!

آدم بصوت حازم: لأنه عليكِ أن تركضي حيث الفرصة متاحة لك.

فريدة في استنكار: هل أنتَ خائف؟

آدم في برود: ليس لدي وقت للعبث يا فتاة، فلترحلي.

فريدة بملامح عابسة: أنا لن أذهب إلى أي مكان سيدي، سأكمل عملي الذي أنتَ على علم بتفاصيله على ما يبدو أكثر مني.

بينما كان يتبادلان الحديث، قاطعها فجأة صوت صراخ عالٍ يتردّد من داخل صالة المقهى.

فريدة تقفز في مكانها من القلق، بينما التفت آدم مسرعًا،

اتجه كلاهما بخطوات متسارعة نحو الصالة لمعرفة ما يحدث، فريدة توقّفَت عن التنفس للحظة وعيناها تتسعان في صدمة أمامها، كان أمير واقفًا موجّهًا مسدسًا مباشرة نحو رأسه.

فريدة في ذعر: ليلى، ماذا حدث؟

كان قلبها ينبض بسرعة في صدرها لتحدّث الطرف الآخر الذي يصوّب المسدس ناحية أمير:

Please calm down، sir.

أرجوك اهدأ يا سيدي.

ليلى في ذعر غير قادرة على تحريك قدمها: كان أمير يلتقط صورًا وظن هذا الرجل أنه صحفيّ يصوره.

آدم في ثبات دون توتر عكس البقيّة، تحدث مع شريكه الإيطاليّ بكلمات إيطالية:

Quello che è successo ? calma، Siamo in un luogo pubblico

ما الذي حدث؟ اهدأ، نحن في مكان عام.

الشريك الإيطالي في غضب:

Questo ragazzo è un giornalista che scatta foto dal nostro incontro

إن هذا الفتى صحفي، كان يلتقط الصور منذ اجتماعنا.

فريدة لا تستطيع أن تفهم كلماته الإيطالية، تسأل آدم: ماذا

يقول؟

آدم لا يهتم إلى فريدة ليكمل حديثه مع شريكه:

Andiamo، questo ragazzo è una feccia che a quanto pare è venuta per turismo

بربك هذا الطفل، إنه حثالة أتى للسياحة على ما يبدو.

آدم ينظر إلى فريدة بنبرة حادة: ارحلي أنتِ وأصدقائك.

فريدة بصوت مهزوز: حسنًا حسنًا.. سنرحل.

بدأوا في جمع أغراضهم بسرعة، كان الذّعر يتملّكهم من كل جانب، بينما كانوا يتحركون بعجلة، فجأة أوقفهم الشريك الإيطالي، اقترب منهم بخطوات بطيئة وفي زواية فمه ابتسامة خفيّة تكشف عن تهديد.

Se scopro che siete giornalisti vi ucciderò tutti

إذا اكتشفتُ أنكَ صحفيٌّ سوف أقتلكم جميعًا.

فريدة تنظر إلى آدم في استفهام.

آدم: ارحلوا.

خرج كلٌّ من فريدة وليلى وأمير من المقهى وصوت أنفاسهم المسموعة يختلط بالتوتر والقلق الذي سيطر عليهم جميعًا، وقفوا بعيدًا عن المقهى في مكان هادئ.

اقتربت فريدة من أمير، وبصوت خافت: أمير، أنت بخير؟

أمير أوما برأسه بالموافقة دون أن يضيف تعليقًا، وكان لا يظهر عليه سوى هدوء غريب في تلك اللحظة.

فريدة بتوتر زائد تقدَّمَت نحوه وأمسكت يدَه برفق، والتي تكون شديدة البرودة مقارنة بحرارتها، أمسكتها تضغط عليها بقوة لتُشعِره بالآمان، ثم بدأت يدها تتحرك على خصلات شعره برفق محاولة تهدئته من الذعر: أمير، انظر لي، لقد غادرنا ولن يحدث شيء، فلقد انتهى.

تشعر ببللٍ تحت يدها في شعره، تنظر إلى يدها لمعرفة ما هذا؟! فتصدم بوجود دم.

فريدة في صدمة: ما سبب هذا الدم؟! من أين تنزف؟

ليلى: قبل أن يصوّب الرجل الإيطالى المسدس نحو رأس أمير وجَّهَ ضربة قوية إلى رأسه، أظن أن هذه الضربة هي ما تسبَّبَت في النزيف.

فريدة عيناها امتلأت بالدموع، حاولت أن تغطي وجهها بكف يديها: أعتذر كثيرًا، هذه غلطتي، كان لا يجب عليّ أن أترككم بمفردكم.

ثم ابتعدت عنهم قليلاً، كانت تعاتب نفسها بصمت: كيف سمحتُ لنفسي بأن أهمل العمل وأتراجع عن واجبي؟! كيف اهتممتُ بأموري الشخصية فقط؟!

الدموع انهارت من عينيها بغزارة، كانت تسقط كما لو كانت تحمل كل الحزن والندم الذي شعرَت به تلك اللحظة.

اقترب منها أمير ووضع يده برفق على كتفها، وابتسم بلطف: أنا بخير، لا شيء قد حدث، كانت مجرد ضربة صغيرة، ثم ما هو شأنك؟! هل أنتِ من طلبتِ من الإيطالي أن يضربني؟!

ليلى أكدت على كلام أمير: فريدة، أتمنى حقًّا أن تُوقفي تلك العادة، ليس كل من يُصاب بأذى تكونين أنتِ السبب، إنه ليس خطأك، حسنًا؟

فريدة تحاول إغلاق الحديث وتتنهد بعمق: هيا لنذهب إلى المشفى لكي نطمئن عليك.

هز أمير رأسه في اعتراض: لا يوجد ما يستدعي كل هذا القلق.

فريدة بنبرة صارمة: هيا أمير، لا أريد أي اعتراض.

يمر الأسبوع بدون أحداث، تقضي فريدة معظم الوقت في غرفتها بمفردها، لا تشارك الفريق أي نشاطات.

الاجتماع الأسبوعي...

اجتمع الجميع في نفس القاعة التي اجتمعوا فيها الأسبوع الماضي.

العقيد شريف بنبرة غاضبة مرتفعة: فريدة، منذ متى وأنتِ تُنفّذين قرارات من رأسك؟

فريدة في خجل: أنا لم أكن أظن أن هذا بالشيء المهم، سيأتي

أمير معنا لمساعدتنا وتمر مثل الباقي.

العقيد شريف في غضب مصحوب بسخرية: وهل كانت مثل الباقي؟! وهل ساعدكم أمير كما كنت تظنين؟

هزت فريدة رأسها بالنفي، وبنبرة مهزوزة وصوت على وشك البكاء عند تذكّرها بأنها كانت ستكون سبب في إصابة أمير: لا.

العقيد شريف في تعجب: فقط لا؟! فريدة، لقد عرضتِّ أحد أفراد فريقك للخطر، بالإضافة إلى أن اثنين من الفريق تم كشفهم، ولا يُستبعَد أن تكوني أنتِ أيضًا قد كُشفتِ.

وجَّه كلامه إلى الفريق قائلاً: (F70)، أنا أعلم أنّكم في كل مرة تنجزون المهمة الموكلة إليكم، لكنها غالبًا ما تكون المهام بسيطة، وحتى إن كانت المهمة كبيرة ومعقدة فهي لن تكون بنفس تعقيد مهمة أطرافها زعماء مافيا دوليين، اقتراح فريدة وليلى بذهاب أمير معهما تبدو خطوة بسيطة، لكن في الواقع هي ليست كذلك، كان من الممكن أن يخسر أحدهم حياته أو قد تُعرّض الفريق بأسره للخطر؛ لذلك من فضلكم التزموا بالتعليمات التي يتم إبلاغكم بها، ولا يتصرف أحدكم بمفرده، اليوم سيكون الاجتماع قصيرًا، فلدينا مهمة الليلة، يوجد عشاء رسميّ كبير سيحضره مجموعة من كبار المافيا الروسية ورؤساء شركات عالمية، بالطبع المستضيف هو آدم، اليوم أيضًا

سنتأكد إذا كانت فريدة قد تعرضت للكشف أم لا.

فريدة تهمس بصوت غير مسموع: كأنه لا يعلم بوجودنا جميعًا، أيها المغفل.

العقيد شريف: فريدة، تقولين شيئًا؟

فريدة في توتر: هل هذا يعني بأنني سأذهب إلى العشاء؟

عقيد شريف: بالطبع لا، هذا أمر خاص ولا يمكن مقارنته بالحفلة، العشاء سيُقام في مطعم على سطح مبنى، والمبنى يواجه فندقًا ملتصقًا به، ستأخذين الغرفة التي تطلّ على المطعم وستحاولين تصوير أكبر عدد ممكن من الوجوه الموجودة هناك طوال العشاء.

أومأت فريدة برأسها بالموافقة دون تعليق.

يوسف: هل ستكون فريدة بمفردها؟

العقيد شريف: لا، ستذهب أنت وحازم أيضًا، هناك مقهى مكشوف في الشارع المقابل للمبنى مباشرة، سيكون نقطة مراقبة مثاليّة، ستجلسان هناك وتراقبان كل شيء خاص بآدم، جميع التفاصيل المتعلقة به بدءًا من مظهره وملابسه، الهدف هو تكوين صورة شاملة عنه، أريد توثيق ذلك من خلال الصور والتقارير المفصلة.

فريدة: أرى أن تلك المهمة تلائمني أكثر.

العقيد شريف بابتسامة سخرية: أنا أرى يا فريدة أنك أصبحتِ متمردة في الآونة الأخيرة كثيرًا، لكن لأخبركِ.. أعتقد أن هذا العمل يناسبكِ أكثر، لكن لا يمكنني المغامرة بكِ؛ فأنا ما زلت أجهل هل تم كشفك أم لا.

وضعت يدها على رقبتها وحرّكتها بخجل محاولة التخفيف من ارتباكها، وبصوت منخفض: لا ليس تمرّدًا، حسنًا.. لقد فهمت.

العقيد شريف يبتسم إلى فريدة بلطف ويحدق إليها دون أن يزيح نظره عنها.

حازم: متى سنبدأ؟

العقيد شريف وما زالت نظراته على فريدة: فورًا، حالما تخرجون من هنا.

ينتهي الاجتماع ويخرج جميع أعضاء الفريق، فريدة وليلى يسيران جنبًا إلى جنب في الشارع.

مدَّت ليلى يدها وأمسكت بذراع فريدة برفق: إن نظرات الحب التي أراها تجعل الفراشات تحلق حولنا في كل مكان.

فريدة في سخرية: غريبة! فلم أرَ فراشة واحدة.

ليلى: لا تمزحي فريدة، يبدو أن شريف واقع في الحب بشدة.

أزاحت فريدة يد ليلى التي كانت تمسك بذراعها: لماذا تسيرين

بجانبي؟ ألا تعلمين أن ظهورنا معًا يشكّل خطرًا.

لتبتعد عنها وتذهب إلى الناحية المقابلة لها في الشارع.

ليلى بنبرة مرتفعة: فريدة، تعالي إلى هنا، ليس من المقبول أن تهربي منِّي في كل مرة نتحدث فيها عن هذا الموضوع.

مرت سيارة أجرة بجوار فريدة؛ فأوقفَتْها بسرعة وفتحت الباب استعدادًا للركوب، وقبل أن تدخل رفعت حاجبها بنظرة ماكرة لإغاظة ليلى.

ليلى في تذمر: حسنًا حسنًا فريدة، لن تهربي لوقت طويل.

وصلت فريدة إلى مكان الفندق، دخلَت إلى الاستقبال وأنهَت إجراءات تسجيل الدخول بسرعة، ثم توجَّهَت إلى غرفتها حاملة حقيبة تحتوي على أوراق والكاميرا الخاصّة بأمير بسبب تحطم كاميرتها.

فريدة تدخل الغرفة، تتنهد بعمق: لماذا عليّ أن أتحمل هذه المهمة السخيفة، كأنني أُعاقَب، حقًّا إنها ليست أيام حظي.

تفتح الحقيبة وتخرج منها الكاميرا، تضعها على طاولة صغيرة أمامها بجانب مجموعة من الورق والأقلام.

فريدة تنهّدَت في ملل: أيها الناس، لقد وصلت.

بحثت فريدة في الأرجاء بتركيز عن آدم: طبعًا لم يصل السيد آدم إلى عشاءه بعد، فقد ترك انطباعًا منذ المرة السابقة أنه

شخص لا يحترم المواعيد.

قالت فريدة بنبرة حازمة: فريدة، لقد اتفقنا أنّ هذا الموضوع سينتهي، أولاً لكي تركزي في عملكِ، ثانيًا هو زعيم مافيا وأنتِ في مهمة للقبض عليه، ومن المحتمل أن يقتلكِ قبل أن تنفّذي المهمة، ثالثًا هو في الأساس ليس معجبًا بك؛ لذا حُسمَ الأمر أنتِ لن تفكري فيه مجدّدًا وستركزين فقط في عملك.

فريدة أومأت برأسها للموافقة على كلامها.

مضَى الوقت وفريدة تلتقط صور للمدعوين بشكل خفيّ، حتى يظهر سيد العشاء.

وقفت فريدة في منتصف النافذة المطلة على المطعم شاردة تتأمله بإعجاب.

كان آدم يرتدي بدلة رسمية بدون سترة من اللون الأسود، مُؤلَّفة من بنطال وصدرية بنفس اللون، قميص رسمي بلون الأزرق اللَّبَني الفاتح مع رابطة عنق سوداء منقوشة باللون ذاته.

فريدة بعد فترة قصيرة من تأمّله تخرج من شرودها: كيف يبدو بتلك الوسامة في كل مرة؟! كأنها المرة الأولى التي أراه فيها.

ثم همسَت إلى نفسها: فريدة، من فضلك ركّزي على العمل.

بدأت فريدة في التقاط الصور مجدّدًا، تتابع العشاء في صمت، شعرَت بالملل تدريجيًّا من كتابة الملاحظات والتقاط

الصور، قرَّرَت طلب خدمة الغرف، وطلبَت زجاجة من النبيذ: فريدة، أنتِ فعلاً بدأتِ تفقدين صوابك، كيف ستشربين وأنتِ في الأصل لا تشربين؟!

تصل رسالة إلى هاتف فريدة، العقيد شريف: فريدة، لا تنزعجي منّي ولا من أسلوبي اليوم، أنا أعلم أنّني كنتُ حادًّا معكِ، ولكن لم تتصوّري أبدًا حجم الخوف والقلق الذي شعرتُ به عندما علمتُ بما حدث، ارتعبتُ بمجرد أن تخيّلتُ ما كان يمكن أن يحدث لكِ، أنتِ لا تفهمين أنني حاولتُ إبعادكِ عن هذه المهمة بكل الطرق، ولكن للأسف أنتِ الأنسب لها والشخص الوحيد القادر على تنفيذها، وأنا وعدتُّكِ أنني سأحميكِ بروحي، وأنا بالفعل أعمل على ذلك؛ لذلك أرجوكِ استمعي إلى كلامي دون تمرد؛ لأن سلامتكِ هي الأهم بالنسبة لي.

فريدة تتنهد بيأس: شريف، أتمنى أن تقتنع أننا لا يمكننا أن نكون معًا.

رفعت فريدة رأسها، نظرت إلى أجواء العشاء وهي ممسكة بكأس النبيذ بين يديها.

رأت فريدة امرأة جميلة في العشاء، فابتسمت بسخرية: ما هذا؟! لا يوجد مثل هذا الجمال، هل أنتِ عارضة أزياء أم ماذا؟!

ثم أضافَت بنبرة متذمرة: أتمنَّى أن لا يلتفت إليكِ سيدي

المغرور، حتمًا سيُعجَب بك على الفور.

تسير المرأة في المطعم لتقترب من آدم، ووضعت يدها على كتف آدم برفق، لينظر آدم إليها وتلتقي أعينهما، ثم تبادلا الأحضان.

ابتسمت فريدة بحرقة: بالطبع هذا ما كان لا بُدّ أن يحدث، لا شكَّ أنه هو من دعاها إلى العشاء أيتها الغبية فريدة.

يمضِي الوقت وآدم ما زال برفقة المرأة الشابة، يبدو عليهما الاستمتاع بوقتهما.

ابتسمَت فريدة بتصنع وهى تشرب من كأسها: إذًا هذه هي امرأتُكَ آدم، يا له من تصرّف مخجل مهين يا آدم، تعبثُ وتمرحُ في الأنحاء وكأنّك لا تكترث، هل تساءَلتَ كم سيغضبني هذا؟ بالطبع لم تسأل لأنك لن تهتم إذا كنتُ سأغضب أم لا، مَن أنا في الأساس؟!

تتنهد في يأس: ولكن من الواضح أنكَ تستمتع بوقتك، فالعيون لا تكذب أيها المعتوه.

بدأت تظهر على فريدة علامات الثمل من النبيذ، وذلك لأنها غير معتادة على الشرب: سأموت من الغيظ، يجب عليّ فعل شيء للانتقام.

فتحت فريدة نافذة الغرفة التي كانت تقف خلفها، وأخرجَت

رأسها من النافذة، ثم صاحت بصوت عالٍ: آدم، اللعنة عليك أيها المغرور.

تفأجات فريدة بتغيّر آدم اتجاه نظره الذي أصبح مصوّبًا نحوها.

فريدة في صدمة أدخلَت رأسها واختبأت تحت النافذة: ماذا بحقّ الجحيم، هل رآني؟! كيف ذلك؟

تهز رأسها بالنفي: هذا مستحيل، فريدة.. أنتِ بدأتِ تثملين وتتخيلين.

انتظرَت فريدة مرور عشرة دقائق حتى تتحرك من مخبئِها تحت النافذة.

رفعَت فريدة رأسها تدريجيًّا، ونظرَت نحو المطعم، جالَت عيناها في أرجائه بحثًا عن آدم، لكنه كان قد اختفَى، اعتدلَت في مكانها وقفَت وأخذَت نفسًا عميقًا: كان هذا وشيكًا.

تلتقط هاتفها الذي يرنّ وتبدأ المكالمة: أجل حازم.

حازم: لقد غادر آدم؛ لذا سنغادر نحن أيضًا يا فريدة، هل تريدين المغادرة معنا؟

فريدة: حسنًا، يمكنكم المغادرة أولًا، فما زالت لديّ بعض المهام لإنجازها.

حازم: حسنًا.

تبدأ فريدة في حزم أغراضها، وبصوت غير متزن: كيف يمكنني الذهاب معكم وأنا في هذه الحالة؟! إنها حالة ثمالة قصوى، أسرعوا واتصلوا بالطوارئ فورًا.

تقهقه بصوت عالٍ، تفتح باب الغرفة بصعوبة للخروج منها، يقع نظرها على آدم.

فريدة بخطوات غير ثابتة وجسدها يتمايل يمينًا ويسارًا، وارتفع صوت ضحكتها، وبنبرة غير ثابتة: لا.. لا أيتها الثمالة، لن أسمح لكِ أن تلعبي معي تلك اللعبة، يكفي تخيلات لتلك الليلة، لا أعتقد حقًّا أنني حتى أستطيع المغادرة.

آدم يدفعها داخل الغرفة، يدخل ويغلق الباب.

فريدة في صدمة: ماذا؟! ألا أتخيل؟!

آدم: ما الذي قُلتِه بحق الجحيم؟

فريدة: قلتُ ألا أتخيل.

آدم بنبرة غاضبة: لا تدّعي الغباء، لقد تركتُكِ تراقبيني اليوم أنت وأصدقاؤك كما تشاءون، لم أفتعل المشاكل، في المقابل تردّين هذا الجَميل بالسبّ عليّ؟!

فريدة في تعجب: ماذا؟! أكنت تعلم هذا؟ وأيضًا أنا لم أسب عليك.

آدم في خبث: إذًا اللعنة عليك أيها المغرور، تطوَّرَت لتصبح

كلمات مدح وأنا لم أكن أعلم.

فريدة: يا إلهي؟! كيف استطعتَ أن تسمع هذا؟

آدم يقترب منها بخطوات ثابتة: ليس هناك ما لا أعلمه فريدة، حتى صوت أنفاسك أسمعه.

يصفعها على فمها صفعة قوية.

فريدة تأوهت في آلم: يكفي، لمَ فعلت هذا؟

آدم: لأنني حذّرتُكِ من قبل، لا صوت عالٍ ولا تفوّه بكلمات سيئة أحب سماعها من الفتيات الصغيرات.

فريدة في غضب: أنا لستُ فتاة صغيرة، أيضًا سيدي كيف تعلم بكل تلك الأمور كأنك عضو معنا في الفريق، لنتحدّث الآن.. فنحنُ لم نتحدث بشكل واضح ذلك اليوم في المطعم.

آدم ببرود: ليس هناك حديث بيننا يا فتاة.

فريدة بنبرة مليئة بالاستياء: إذًا، ماذا تريدُ منّي؟

آدم: أريد منكِ الرحيل والعودة من حيث جئتِ.

فريدة في إصرار: لن أرحل حتى لو كان آخر نفسٍ لي قبل إنهاء عملي.

آدم يقترب أكثر من فريدة يحدّق لها بنظرة مكهربة، هي ثابتة في مكانها لا تتحرك.

آدم بصوتٍ خشن مفعم بالتهديد: لكِ ما تتمنّين يا فتاة.

مسَّدَ على شعرها صعودًا وهبوطًا ببطء: سأتأكد بنفسي عند مغادرتك من هنا أنَّكِ زفرتِ آخر نفسٍ لك.

فريدة في حزن: لماذا أنتَ مُهتمّ برحيلي؟ في ماذا يؤثّر وجودي عليك؟

آدم بنبرة حادة: أريد التحرّر في تلقين أحدهم درسًا وأنتِ تقفين عقبة في طريقي.

فريدة: ولماذا أنا عقبة؟!

آدم: لأنكِ ضعيفة، وأنا لا أحب أن أبذل جُهدًا على أمثالك.

فريدة أومأت برأسها، وتنهّدَت بعمق: حسنًا، ولماذا تراني ضعيفة؟ هل بسبب كلامي معك؟

آدم في صرامة: لن أفسر لكِ لماذا أراكِ هكذا، هيا أسمعيني اعتذارًا من هذا الفم على كرمي معكِ وسوء تقديرك لهذا الكرم.

فريدة في يأس: أنا أعرف الآن كم أنتَ لطيف معنا، يبدو أنكَ تعرف كل شيء من البداية، وعلى الرغم من ذلك لم تحاول منعنا أو إيذائنا.

آدم قاطعها في الكلام: أنا لست لطيفًا يا فتاة، ولمَ أحاول منعكم؟! أنتم هنا فقط للاستمتاع بإجازة مجانية، كيف لي أن أكون قاسي القلب وأُنهي هذا الترف، لكن بخصوص الجزء المتعلق بالأذية فلستُ متأكدًا منه، فأنا لستُ شخصًا صبورًا.

فريدة تحدق داخل عينيه، تسند بيديها على مقدمة رأسها، تغلق عينيها لبضع ثوان كأنها تحاول استجماع قواها، ثم تفتح عينيها ببطء، تتنهد بعمق ويبدو الحزن واضحًا على ملامحها: إذًا لماذا أثق بك؟

تقترب منه بخطوات مترددة، تتنهد بعمق ونبرة يأس: أنا آسفة، لم أقصد سبك بكلمات سيئة حقًّا، لا أعرف كيف أبدأ، لكن رؤيتك تقضي وقتًا ممتعًا بجانب تلك المرأة الجميلة أفسد شيئًا بداخلي، وقبل أن تتحدث بأي شيء أعلم أنني مخطئة وأنه ليس من شأني، ربما هذه أحد آثار الثمالة، فأنا لستُ معتادة عليها.

آدم يمسك ذقن فريدة بين يديه ويضغط عليها بقوة: جيد أنكِ تعلمين

تشيح فريدة بنظرها إلى الأرض يسيطر عليها الإحراج، آدم يضغط بقوة أكثر على ذقنها: انظري إليّ يا فتاة حين أحدثك.

فريدة ترفع نظرها نحوه ببطء، آدم يمسك ذقنها برفق، يحدق داخل عينيها بثقة، وبنبرة هادئة: لن أقبّلك، وإن كنتِ آخر امرأة في العالم، حسنًا؟

تشعر فريدة بالإهانة، تتوه في عينيه للحظة قبل أن تغلبها مشاعرها، عيناها تمتلئ بالدموع تحاول حبسها، لكن دموعها

تخونها وتنساب على وجنتيها دون إرادتها، أومأت برأسها بالموافقة.

آدم بنبرة صارمة: تحدثي.

فريدة بصوت مهزوز: حسنًا.

آدم يحرك يده من على ذقنها ببطء ثم يقبض على إحدى وجنتيها بقوة: إذا رأيتُكِ أمامي مرة أخرى حتى بالصدفة سأحرقك وأحرق الأرض التي تقفين عليها، حسنًا؟

فريدة: حسنًا.

آدم يربت على رأسها: فتاة جيدة.

آدم بنظرة حادة إليها: لا تختبري حدودي مرة أخرى، لن أعطيكِ فرصة ثانية.

يتجه بخطوات واثقة نحو الباب، يتوقف للحظة دون أن يلتفت، وبنبرة منخفضة: لا تثقي بما لا يمكن الوثوق فيه أبدًا يا فتاة.

بمجرد ما أغلق آدم الباب وراءه، فريدة تنهار تمامًا، ترتجف شفتيها وتبدأ دموعها في الانهمار بغزارة على وجنتيها، ثم يعلو صوت بكائها تدريجيًّا، تضع يدها على فمها تحاول كتم صوتها، لكن الألم الذي يعتصر قلبها يجعل السيطرة عليه مستحيلة.

فريدة بصوت منهار: متى حدث كل هذا؟ وما الوقت الذي

استغرقته كي أشعر بهذا الحب؟! فأنا أتذكر أنه لم يمضِ الكثير، كأنه بالأمس فقط، وماهذا الألم؟ أهو ألم البحث عن الحب؟! كيف يمكن أن يكون الحب بهذه القسوة يحطم القلب إلى أجزاء؟ نعم لديّ صراخ بداخلي أستطيع إخفاءه، لكن صوته مسموعًا كأنه خارجي، لا وقت للحب لا وقت للكره، فتاة قوية أهكذا يجب أن أكون؟ إنه عذاب مستمر، فتاة قوية روحها تتألم، فتاة وحيدة تسقط إلى الهاوية، هذه أنا.

شعرت فريدة بإرهاق يغلب عليه النعاس؛ فتقرر البقاء في الفندق وعدم المغادرة هذه الليلة، في الصباح الباكر تستيقظ فريدة من نومها، تفتح هاتفها المحمول، ترسل رسالة: صباح الخير يا شريف، لدي طلب شخصيّ أطلبه منك ليس كعقيد شريف، بل كشريف، أعلم أننا لا نفضل هذه الطريقة، لكن هذا الطلب يعني لي الكثير ولم أتمكن من منع نفسي من طلبه بهذه الطريقة، شريف، أرجو منك أن تكلف شخصًا آخر بمهمة مراقبة آدم، أنت تعلم جيّدًا أنه يمكنني القيام بالعديد من المهام الأخرى.

العقيد شريف لا يستغرق وقتًا طويلاً للرد على فريدة: صباح الخير فريدة، لكِ هذا، سأحقّق لكِ كل ما تتمنينه حتى لو كان مستحيلاً، لكن طلبك هذا أسعدني كثيرًا؛ لأن هذا يعني أنكِ أصبحتِ بعيدة عن الخطر بخطوتين.

فريدة تبتسم في راحة وترد: أشكرك كثيرًا شريف.

يمر أسبوعان دون أن ترى فريدة آدم خلالهما، حيث تولَّى يوسف مهمة مراقبة آدم، تمنت فريدة رؤيته، لكن شعور الإهانة الذي كانت تشعر به بجواره منعها من ذلك.

الأسبوع الثانى، الإجتماع الأسبوعي...

كان أعضاء الفريق جميعهم مجتمعين مع العقيد شريف حول طاولة بيضاوية الشكل، أمامهم مجموعة من الصور الملتقطة أثناء عمل الفريق طوال الأسبوع، بالإضافة إلى خريطة كبيرة للمنطقة وتقرير يومي يتضمّن ملاحظات الفريق أثناء الأسبوع.

يوسف: أنا أرى أننا بعيدون جدًّا عن هدفنا، أو أن الطريق الذي نسلكه خاطئ.

رفع العقيد شريف حاجبه مستفهمًا: لم أفهم، وضِّحْ لي أكثر، كيف نكون في طريق خاطئ؟ هل لاحظتَ شيئًا أثناء المراقبة؟

يوسف في ثقة: أجل، جميع المعلومات التي جمعناها تدور حول آدم والصفقات التي يقوم بها والتي هي تقريبًا كلها شرعية، حتى رجال الأعمال الذين يلتقي بهم، يعني لا أرى أن هناك شيئًا نفعله لصالح الطرف الآخر (الشخص المعرض للاغتيال) كما قيل لنا، ألا يجب علينا مراقبة تحركاته هو أيضًا لحمايته؟

فريدة تؤكد على كلام يوسف: أنا أيضًا أشارك يوسف في

وجهة نظره، فقد ركزنا كل جهودنا على آدم وحياته هو فقط، ولكن أليس الهدف الأهم هو مساعدتكم في القبض على آدم وهو يحاول اغتيال شخصٍ ما؟

ليلى في سخرية: هذا إن كان موجودًا أصلاً.

أمير في صدمة: أيعقل أنه غير موجود؟!

العقيد شريف بنبرة مرتفعة غاضبة: اصمتوا، لا أريد الاستماع إلى أي أحاديث جانبية، أصبحتم جميعكم محققين؟ وكل واحد منكم يفسر الأمور كما يراها من جانبه الشخصي، (F70) أنتم جزء من مهمة كبيرة ولا يجب أن تكونوا على دراية بكافة تفاصيلها، ما يجب عليكم معرفته هو دوركم المحدد، وليست الأطراف المشاركة أو أي معلومة ليست خاصة بالمهام المسندة إليكم، أتمنى أن تلتزموا بذلك وتتوقّفوا عن استنتاجات مبنيّة على معلومات ناقصة.

حازم: مع احترامي للخطّة الموضوعة عقيد شريف، لكن نحن بحاجة إلى معرفة تفاصيل الخطة، أو على الأقل معرفة ما إذا كان هناك أطراف أخرى غيرنا مشاركين في المهمة.

العقيد شريف في غضب: لا، ليس من حقكم معرفة أي شيء من الخطة غير مهمتكم المحددة فقط، لكن إذا شعرتُم أنها أكبر من طاقتكم وأنّكم غير قادرين على إنهائها يمكنكم إخباري

وسأقوم بإلغاء مهمتكم فورًا، وسيحل محلكم فريق آخر.

ليلى في استنكار: سيادة العقيد شريف، ليس من المقبول أن تُكرّر هذا التهديد في كل مهمة نعمل فيها معكم، إنكم تعلمون جيّدًا أننا لن نفعل، كما أننا لسنا أطفالاً لنُعَامل بهذه الطريقة.

العقيد شريف يبتسم في سخرية: ومن قال إنني أهدّد ليلى، يمكنكم التأكد أنه تم إرسال بريد إلكترونيّ مضمونه أنكم فريق مثير للمشاكل ونطالب إمكانية استبدالكم بفريق آخر في أسرع وقت ممكن.

يرتبك أعضاء الفريق، وينظرون جميعًا إلى بعضهم البعض.

العقيد شريف: نأمل أن تستغلوا الوقت المتبقّي قبل المغادرة بأفضل طريقة وتكون فرصة لكم لإظهار قدراتكم ومساهمتكم في المهمة.

جمع العقيد شريف أغراضه وغادر، دار الكثير من المناوشات بين أعضاء الفريق سيطر عليها التوتر والقلق، وانتهت جلستهم باتفاق مشترك على إثبات العكس إلى العقيد شريف وتنفيذ المهام بدون تساؤلات أو تردد.

تصل رسالة إلى فريدة على هاتفها، العقيد شريف: سآتي لاصطحابك من الفندق بعد ساعة، أرجو أن تكوني مستعدة.

ترد فريدة برسالة: لماذا؟!

العقيد شريف: أحتاج إلى التحدث معكِ، وآمل ألا تكوني غاضبة؛ فنحن أصدقاء في نهاية الأمر، ما حدث في الاجتماع يبقى في الاجتماع.

فريدة ترد: لست غاضبة شريف نحن أصدقاء بعيدًا عن العمل، أنتظرك.

فريدة: سأرحل شباب.

ليلى: ستعودين إلى الفندق؟

فريدة: أجل.

ليلى: هيا، سأعود معكِ.

أومأت فريدة برأسها كجواب.

أمير: انتظروني، أنا أيضًا سأعود.

يوسف في سخرية: كنتُ أود أن أقول إنكم كالتوأم الملتصق، لكن للأسف أنتم ثلاثة.

حازم: ما رأيكَ في الخروج معنا اليوم، سنتجول في المدينة أنا ويوسف.

أمير هز رأسه بالرفض: أعتذر كثيرًا اليوم، أنا أشعر أن النعاس يغلبني، أحتاج إلى النوم.

يوسف: يا رجل، اتركه يذهب، إنه لا يخرج سوى مع فريدة وليلى.

تنظر فريدة إلى يوسف في استهزاء: وهل ستقارن نفسك بنا يوسف؟ هيا أمير لنذهب.

فريدة تجذب أمير من ذراعه ويسيران معًا إلى الخارج بجوار ليلى.

وصلوا إلى الفندق، تذهب فريدة إلى غرفتها لتبدل ملابسها، ثم نزلَت من غرفتها في الموعد المحدد؛ لتجد شريف في انتظارها داخل السيارة أمام الفندق.

فريدة تصعد السيارة: هل تأخرت؟

العقيد شريف: لا، أنا قد وصلت للتو الآن.

ذهبا إلى مقهى ليجلسا فيه، سادت بينهما لحظات من الصمت كان العقيد شريف سارحًا غارقًا في التفكير يحدق إلى فريدة.

فريدة: شريف فيما تفكر، هل هناك ما يشغل بالك؟

العقيد شريف: هل أخبرك بحرية؟

أومات فريدة برأسها بالموافقة.

العقيد شريف في إعجاب: حقًّا فريدة لديكِ جمال خاص لا يمكنني أن أراه في أي امرأة أخرى.

فريدة تبتسم في رقة: شكرًا لك شريف على هذا الإطراء المميز، شريف هل يمكنني أن أطرح عليك سؤالاً؟

العقيد شريف: بالتأكيد.

فريدة: ما الذي يميز جمالي لكي تراني بتلك الصورة؟

العقيد شريف يصمت بضع لحظات للتفكير ويهمهم: حسنًا، لديكِ تلك الزرقاوتان تجعلاني أغرق كأنني في المحيط ولا يمكن لأحد سماعي.

فريدة تبتسم في حزن: أليس هذا الإحساس يجعلك تشعر وكأنك تحترق من الداخل شريف؟

العقيد شريف في تعجب: ماذا؟!

فريدة: ما أقصده كيف يمكن أن تنظر إلى شخص ما بتلك النظرة مع كل تلك الأحاسيس وهو لا يبادلك نفس الشعور، إنه حقًّا يسبب لك دمارًا في القلب، أنا حقًّا أعتذر بشدة شريف، وأتمنى لو كان بإمكاني فعل شيء، لكن لا سلطة لنا على المشاعر.

العقيد شريف يبتسم بلطافة: فريدة، أنا أعلم هذا ولا أطلب منكِ شيئًا، كما قلتِ لا سلطة لنا على المشاعر، لنغير هذا الموضوع.. هل تعلمين لماذا خرجنا اليوم على عكس العادة؟

هزت فريدة رأسها بالنفي.

العقيدة شريف: لنحتفل بعيد ميلادكِ أيتها البلهاء.

فريدة تقهقه بصوت عالٍ تغمره السعادة: ماذا؟! هل ما زلت تذكر عيد ميلادي؟

العقيد شريف: بالطبع لن أنسى عيد ميلادك.

فريدة في سخرية: لكن مَن مِنَّا الأبله أيها الأبله، إن عيد ميلادي غدًا وليس اليوم.

العقيد شريف: يا إلهي، لقد نسيتُ ذلك.

فريدة في حزن: أحمق!

العقيد شريف يقهقه بصوت مرتفع: ألم أقل لكِ إنكِ بلهاء حقًّا؟ كيف يمكنني أن أتذكر إنه اليوم وأنسى أنه غدًا، أعلم أن أصدقائكِ سيحتفلون معكِ غدًا؛ لذلك أردتُّ أن أكون أول شخص يحتفل معكِ في عامك الجديد.

فريدة تتسع ابتسامتها: إنكَ حقًّا صديق جيد كثيرًا.

أخرج العقيد شريف علبة زرقاء صغيرة من جيب سترته ووضعها أمام فريدة.

فريدة في حماس: أتمازحني؟ هل أحضرتَ هدية؟!

تفتح فريدة العلبة لتجد بداخلها قلادة من الذهب مزينة بحجر كريم باللون الأزرق، فريدة في ذهول: يا إلهي! ما هذه التحفة؟!

العقيد شريف: أتمنى أن تعجبكِ، فلقد بحثتُ كثيرًا عن حجر يكون بنفس لون عينيك ولم أتوصل إلا على هذه النتيجة.

فريدة: إنها حقًّا رائعة يا شريف، لا أعرف ماذا أقول، شكرًا

لكَ كثيرًا.

تقضي فريدة باقي اليوم مع شريف حتى تعود إلى الفندق، تنام وتستيقظ صباحًا ليكون يومًا عاديًّا بلا أحداث، تجتمع مع ليلى وأمير تقضي معظم الوقت برفقتهم، ثم تعود إلى غرفتها لقضاء بعض الوقت بمفردها، تستعد فريدة للنوم؛ فتجلس على سريرها وتفتح هاتفها، منتظرة منتصف الليل لتستقبل عامها الجديد.

تنظر في الهاتف إلى الساعة محدّثة نفسها: البعض يعتقد أنني أجلس في حزن أعد الدقائق المتبقية لميلاد سنتي الجديدة وأنا وحيدة، لا يعرفون أنني أنتظر ميلاد ذكرى غاضبة متألمة جديدة، أغضب فيها من نفسي لمحاولة منح والديّ فرصة أخرى ومسامحتهم على الماضي الذي لم يكونا موجودين فيه، لكن دائمًا تنتهي بخيبة الأمل منذ كنت أبلغ ثلاثة عشرعامًا، أنتظر تلك المكالمة التي يخبرني فيها أحدهم كل عام وأنا سعيدة وكم هو نادم على عدم وجوده كل تلك السنوات، لكن في نهاية اليوم أكون أنا النادمة الوحيدة على تمسّكي بهذا الحلم الذي لن يحدث أبدًا، وكم كان من الصعب حقًّا التخلّي عنه كل عام، دائمًا أتساءل كيف يمكن للأهل أن يكونوا مصدر ألم لأبنائهم؟! ألم يعرفوا أبدًا ما الذي يدور داخل ذهني؟ وكم من لحظات يأس

وألم عشتُها، كيف يمكن لهما ألَّا يشتاقا إلي؟ هل هذا معقول؟! إنه شعور يجعلني أبكي كل مرة كأنها المرة الأولى التي أكتشف فيها عدم حبهم لي، وأنه تم التخلّي عني، حقًّا هذه الليلة سأترك إيماني بذلك الحلم، ربما سأعيش تلك اللحظة في حياة أخرى، يمكنني النجاح دائمًا حتى وإن كنت بعيدة عن المنزل، سأواجه كل مشاكلي وسأكون سعيدة بمفردي، يمكنني التعايش مع قلب مجروح؛ فهو ليس إحساسًا جديدًا بالنسبة لي.

كانت فريدة مستغرقة في أفكارها مشتَّتة بين قرارتها، لتسمع طرقًا على باب غرفتها، فوجئت بصوت ليلى من الخارج.

ليلى: فريدة، هل أنتِ مستيقظة؟

فريدة: أجل.

نهضَت وذهبت لتفتح الباب، لتتفاجأ بوجود الفريق كله أمامها مجتمعين، وليلى تحمل كعكة باللون الأبيض تضيء بالشموع، بدأ الجميع يغني بصوت عالٍ أغنية عيد الميلاد، رسمت السعادة على وجه فريدة وهي تبتسم بحرارة بينما ينتهي الفريق من الغناء.

أمير في سعادة: هيا فريدة أطفئي الشموع، لكن أولًا تمنِّي أمنية.

فريدة أومأت برأسها بالموافقة، نفخَت في الشموع بعد أن

أغمضت عينيها وتمنَّت الأمنية.

تقدم حازم أمام فريدة وهو يحمل علبة كبيرة مغلَّفة بورق الهدايا، وقال مبتسمًا: كل عام وأنتِ سعيدة فريدة، هذه هدية الفريق لكِ، نتمنى أن تعجبك.

فريدة في سرور: بالطبع ستعجبني.

يوسف: ألن تفتحيها أولاً لكي تتأكدي من أنها ستعجبك؟

فريدة: أنا واثقة أنها ستعجبني، يكفي إرهاقكم في إحضارها يا رفاق.

ليلى: هيا هيا فريدة افتحيها، لا تنتبهي لكلام يوسف.

توجه كلامها إلى يوسف: ماذا بك يوسف؟ هل خُلِقتَ لتعترض؟

تفتح فريدة الهدية لتتفاجأ بوجود كاميرا داخل العلبة، عجزت عن الكلام وبدأت عيناها تمتلئ بالدموع غير قادرة على إخفاء مشاعرها.

ليلى في سخرية: حقًّا؟! هل ستبكين الآن؟! إنكِ حقًّا ملكة الدموع.

تضرب فريدة ليلى في ذراعها وتحاول إخفاء دموعها: اخرسي.

ليلى: حسنًا، توقّفي عن البكاء، فنحن لم نبدأ يومنا بعد، لدينا احتفال يجب علينا أن نحتفله.

فريدة في تعجب: هناك احتفال أيضًا؟

ليلى: نعم أيتها الكئيبة، استعدي.

حازم: هيا، ليذهب الجميع للاستعداد.

يخرج الجميع من غرفة فريدة يتجهون إلى غرفهم، تبدأ فريدة في الاستعداد والحماس مسيطر عليها.

ارتدَت فستانًا أحمر قصيرًا من الحرير تتهاوَى خيوطه بانسيابية على جسدها، فيما انسدل شعرها الطويل على طول ظهرها، وبعض مساحيق التجميل الخفيفة لتكمل مظهرها المثير بحذاء مفتوح من الخلف ذي كعب عالٍ فضيّ اللون وحقيبة صغيرة فضية، ثم خرجت من غرفتها لتلقَى أمير في الردهة.

أمير ينظر يمينًا ويسارًا في تعجب.

فريدة: ماذا؟!

أمير: هل يمكنني أن أصطحبكِ اليوم إلى حفلة عيد ميلاد صديقتي أيتها الشابة الجميلة؟

فريدة تضحك وتضع كفيها على وجهها متظاهرة الخجل: أشكركَ أيها الوسيم على مجاملتك الرقيقة، لكن أنا ذاهبة مع أصدقائي.

أمير متظاهر الحزن: يا لحظي السيء.

فريدة تقهقه بسعادة: هيا أيها الوسيم لنذهب، فالجميع ينتظرنا بالأسفل.

أمير يشبك ذراعه بذراع فريدة مبتسمًا: هيا لنذهب أيتها الأميرة، اسمحي لي أن أكون رفيقك الليلة؟

فريدة تمسك بذراع أمير: هذا من دواعي سروري.

نزل كل من فريدة وأمير إلى ردهة الاستقبال، ليجدوا حازم ويوسف جالسين على طاولة في انتظار الجميع.

حازم في إعجاب: فريدة، أنتِ مختلفة بشكل رائع هذه الليلة.

فريدة تبتسم في رقة: شكرًا لكَ حازم.

يوسف: فريدة، إذا لم يكن لديكِ رفيق لهذه الليلة يسعدني أن أقوم بهذا الدور.

فريدة: يبدو أن هناك مَن سبقك يوسف.

تنظر إلى أمير.

يوسف بنبرة توبيخ: أنت لا تضيَع فرصة أبدًا، أليس كذلك أمير؟

أمير يبتسم بلطف: الحياة فرص يا أخي.

يقهقه الجميع مسيطر عليهم شعور السعادة والحماس.

فريدة تبحث حولها يمينًا ويسارًا: بالطبع ليلى ما زالت...

يقاطعها يوسف قبل إنهاء جملتها: تستعد.

حازم في سخرية: طبعًا إنها ليلى، لا تهمل احتفالاً.

بعد مرور فترة قصيرة من الوقت، كان الجميع في انتظار ليلى لتنزل إليهم وينطلقوا جميعًا إلى الملهى الليليّ للاحتفال، عند وصولهم اكتَشفَت فريدة أن حازم من قام بالحجز، الملهَى كان مكوّنًا من طابقين.. الطابق الاول كان مزدحمًا بشدة، أما الطابق الثاني فبدا وكأنه خاص يتميز بأجواء راقية وطبع مختلف كأنه مكان منفصل يسمح بدخوله فقط الشخصيات الهامة.

جلس الفريق على طاولة في الطابق الأول بجانب البار، بدأ الجميع في الاستقرار، أحضر يوسف زجاجة من الشمبانيا احتفالاً بفريدة، ثم بدأ الجميع بطلبِ مشروباتهم باستثناء فريدة التي اعترضَت على تناول المشروبات الكحولية.

ليلى في تذمر: فريدة، لا تكوني مملة، نحن هنا الليلة نحتفل بك.

فريدة في سخرية محاولة مجاراة صوت الموسيقى العالي: وإن يكُن، مَن قال أنه يجب عليّ أن أشرب الكحول للاحتفال؟

يوسف بنبرة صوت مرتفعة: هيا فريدة، شاركينا الاحتفال.

فريدة في قلة صبر: حسنًا حسنًا.

بدأ الشباب بالتنقل في المكان، بينما ظلت الفتيات جالسات على الطاولة يتبادَلن الحديث وسط أصوات الموسيقى الصاخبة،

ويشربْنَ مشروباتهن.

تشير فريدة نحو الطابق الثاني: هذا هو طابق الشخصيات الهامة، أليس كذلك ليلى؟

ليلى أومأت برأسها: أجل.

فريدة: يبدو هذا المكان جيد.

ليلى: أتمزحين؟ إنه من أشهر الأماكن في المدينة، يتطلب الحجز فيه وقتًا طويلاً، لا أعلم كيف تمكن حازم من الحجز بهذه السرعة.

ساد الصمت بين الفتاتين لبضع لحظات وأعينهما تتجول في المكان، قامت ليلى من مكانها وبدأت بالرقص، بينما جلست فريدة تراقب المشهد، كانت الأضواء الساطعة تُضفي جمالاً خاصًا على الأجواء.

لاحظت وجود أعين تفترسها وأخرى تترقبها، لكن ما أثار انتباهها ذلك الذي كان مُركّزًا نظره عليها من أول دقيقة دخلت فيها المكان، كان يقف في طابق الشخصيات الهامة، إضاءة المكان الخافتة تخفي ملامحه، لكن استطاعت فريدة تمييز هيبته وكتفيه الضخمين وصدره البازر الذي يعكس حضورًا طاغيًا، حدقت إليه فريدة بعمق حتى تستطيع تحديد ملامحه لكنها فشلت واختفى ظله من أمامها، تُحوِّل فريدة نظرها سريعًا إلى

أجواء المكان، تشعر بالملل بعد فترة، فتلتقط هاتفها وتتصفحه ببطء، تبدأ بفتح الرسائل لتقرأ التهاني الدافئة التي وصلَتْها من أصدقائها بمناسبة عيد ميلادها.

ليلى تقترب من فريدة تجذبها من يديها: فريدة، لمَ تبدين شاردة؟ هيا أيتها العجوز تعالي لنرقص معًا.

فريدة تبتسم بلطف: أنتِ تعلمين ليلى، أنا لستُ معتادة على تلك الأماكن.

ليلى: ومَن منا معتاد يا فريدة، لكنها ليلة استثنائية لا تتكرر كل يوم؛ لذا دعكِ من التفكير واستمتعي بليلتك كما تستحقين، اجعلي اللحظة تنتمي لكِ بكل تفاصليها.

تبدأ فريدة بالرقص مع ليلى، شيئًا فشيئًا ينضم باقي أعضاء الفريق، الأجواء تمتلئ بالطاقة والحماس، الجميع يرقص دون توقف، فريدة تحرَّرَت من تحفظها وخجلها بسبب قوة تأثير المشروب عليها، ثم تشغل تلك الأغنية التي تستمع إليها فريدة هذه الفترة كثيرًا وتحمل معها العديد من الذكريات الخاصة بها، أغنية (Criminal) بمجرد أن تبدأ النغمات تتغير نظرات فريدة، تتوه في كلمات الأغنية وترقص بحماس شديد وكأنها تعيش في عالمها الخاص بغرفتها متناسية تمامًا من حولها، يلحظ الجميع هذا التحول وتتحول الأنظار نحوها، أعضاء فريقها يتابعونها

بدهشة غير معتادين على هذه الجرأة منها، تنتهي الأغنية أخيرًا وسط تصفيق ليلى وأمير لها يعبران عن إعجابهما بأدائها.

تضرب ليلى ذراع فريدة برفق وخفة: تلك هي صديقتي.

تبدأ أغنية أخرى تعلو إيقاعاتها المميزة، تتحرك الأجواء مجددًا ومعها يعود الحماس إلى الجميع، فريدة التي ما زالت تحت تأثير اللحظة تبتسم وتواصل الرقص بحركات أكثر خفة ومرح، ليلى تضحك وتجذب فريدة لمزامنتها في الحركات، أمير ينضم إليهما بحركاته المضحكة.

تتوقف فريدة للحظة، وبصوت مليء بالضحك: أعتقد أنني بدأت أثمل، سأذهب لإحضار زجاجة مياه من البار.

تتحرك بخفة باتجاه البار، حيث الأضواء الخافتة تأخذ نفسًا عميقًا وتحاول استعادة توازنها، بينما تنتظر زجاجة المياه فجأة يصطدم بها شخص من الخلف مما يجعلها تترنح قليلاً، تلتف بسرعة لترى من يكون، لكن كل ما تلحظه هو ظهره المنحوت، كان يبتعد باتجاه المخرج الخلفيّ للملهى، تقف فريدة في مكانها تحدق بهذا الظهر الممشوق وخطواته الواثقة.

فريدة في حماس مصحوب بالتوتر: قد أكون ثملة، لكنني أستطيع تمييز تلك الخطوات الواثقة من بين مليون.

تتبع فريدة ذلك الظل حتى تجد نفسها أمام باب معدنيٍّ

ضخم، تشعر بتسارع نبضاتها وهي تمد يدها لتدفع الباب بقوة، تخرج إلى الخارج حيث الهواء البارد يضرب وجهها، تتوقف للحظة تنظر يمينًا ويسارًا بحثًا عنه، لتجد ظله قد اختفى.

تنهدت فريدة في يأس: ما هذا؟! هل يلهو معي المشروب وبدأ في جعلي أتوهم؟!

تتفاجأ فريدة بظهوره المفاجئ بهيئته المهيبة متكئًا على الجدار الحجريّ بجوار الباب، يضع مرفقاه أحدهما فوق الآخر، يرتدي بنطالاً كلاسيكيًّا أسود وقميصًا أسود يتناغم مع الظلام المحيط.

فريدة في دهشة وبنبرة حماس: لقد كنت متأكدة من تلك الخطوات يا آدم، لم يكن لهو المشروب إذًا.

رفع صقراويتيه ببطء اتجاه فريدة، جفَّت عروق جسدها من الذعر متذكرة تهديده الأخير لها، اقترب من فريدة بخطواته الثابتة وبنبرة حادة هادئة: عن ماذا تحدثنا من قبل؟

تراجعَت فريدة بعض خطوات إلى الوراء، وبصوت مهزوز: تحذيري من منادتك باسمك.

آدم يقترب الخطوات التي ابتعدتها عنه فريدة: وماذا أيضًا؟

حل الصمت بينهما لحظات، كل ما يمكن سمعه هو صوت صدى ريق فريدة الذي ابتلعته دفعة واحدة، بصوت ضعيف:

حذّرتني من تواجدي في المكان الذي تكون أنت فيه.

آدم بنبرة هادئة مختلطة بالقوة: لكن ما أراه الآن هو التمرد منكِ، أوليس؟

فريدة بنبرة مرتفعة ثملة: كيف لي أن أعلم بأنك ستكون موجود اليوم، يُفترَض أن تلك الليلة مفأجاة من أصدقائي للاحتفال بحفلة عيد ميلادي.

شهقَت فريدة بصوت عالٍ عندما شعرَت بيد آدم القوية تكبل معصميها فوق رأسها بينما يده الأخرى تضغط على عنقها بقوة صادمًا ظهرها بالجدار الحجري البارد الذي كان متكئًا عليه.

عيناها اتسعتا في ذعر وبصوت مضطرب: ماذا بكَ؟! اتركني.

آدم بصوت هادئ: التحذير الأخير صوتكِ العالي، أرى أن كل ما أقوله بالنسبة لكِ غير مهم، هل تعتقدين أن التمرد سيمر دون عواقب.

فريدة تشيح بنظرها تنظر إلى الارض في إحراج: حقًّا.. أنا لم أتعمد وجودي هنا اليوم، لقد حاولتُ أن لا أتواجد في مكان تكون أنت فيه، أنا لستُ شخصًا ملتصقًا.

آدم يضع أصبعيه على ذقن فريدة يرفعها ناحيته: عيناك عليّ عندما أحدثكِ.

فريدة رفعت رأسها ببطء تنظر داخل عين آدم، وبصوت خافت: سيدي، حقًّا أنا لم أكن أعلم بوجودك، أيضًا أنا لست معتادة بالتردد على هذه الأماكن.

آدم في سخرية: حقًّا! ألهذا السبب أنتِ دائمًا ثملة؟

فريدة: صدفة.

آدم: ورقصك كعاهرة محترفة صدفة، ملابسكِ الفاضحة صدفة، أتكذبين؟

فريدة: أكذب؟! لا لم أكذب، لمَ سأكذب، هل كنت تراقبني؟

آدم يبعد يده عن عنق فريدة: طبيعيٌّ أراقب الجميع، فأنا مالك المكان.

فريدة في يأس: حسنًا.

آدم يقترب من فريدة أكثر ليتلصق جسدهما معًا، يهمس في أذنها بصوت رجوليّ عميق يجعل جسدها يقشعِرّ: لماذا لا تبقي بعيدة عني يا فتاة؟

فريدة تتأمل وجهه بدقة، فكه المشدود، عيناه المرتخية، سهوَت بعينه ترمش ببطء: لم أكن أريد الذهاب لذلك العمق، ولكنه يسير خارج سيطرتي، لقد أغرقت نفسي في بحر عميق متناسية بأنني شخص لا يجيد السباحة.

ضغط آدم بأسنانه على شفته السفلى بنبرة خشنة: واللعنة، إنكِ فتنة صعب تجنّبها، وجودك أصبح يضايقني.

آدم ترك يديها ببطء، واستدار يبعد عنها مستعدًا للرحيل.

فريدة تجذبه من معصمه تقرّبه إليها، آدم يعقد حاجبيه في دهشة.

اقتربت فريدة منه بخطوات هادئة: فلتبقَ دقيقة واحدة فقط.

وضعت رأسها على صدره بحذر: هذه الدقيقة ستكون هدية عيد ميلادي.

آدم سحب فريدة بكفيه الضخمتين من خصرها لتسقط في حضنه، دفعها بقوة أكبر نحو الحائط الحجرى، ليصبح وجههما مُقرَّبَين لبعض، آدم يضع كفه على فخذها كاشفًا فستانها ويضغط عليه بقوة، ويكزّ على فكيه لتبزر عظامه: ألستِ خائفة؟

فريدة يعلو صوت أنفاسها من الألم، تهز رأسها بالنفي.

آدم بنبرة خشنة: استخدمي لسانكِ.

فريدة: لستُ خائفة.

آدم يقلل ضغط يديه من على فخذها، وتبدأ أنامله بتحسّس فخذها صعودًا وهبوطًا، يقترب منها أكثر يلمس شحمة أذنها

بشفتيه، وبنبرة رجوليّة خشنة يلفظ في أذنها: مخطئة، عليكِ الخوف، أنتِ تجهلين كيف يكون الألم، أنواعه، مراحله ومدى تأثيره، لم أحب شجاعتكِ الطائشة، الألم يصنع الخوف فريدة؛ لذا عليكِ الخوف.

ما زالت يداه تتلمس فخذ فريدة وأنامله ترسم دوائر على جلدها الناعم.

فريدة عيناها مثبتة عليه ضائعة في لمساته، لا تستطيع التحكم في نفسها المضطرب عاجزة عن كبح مشاعرها المتصارعة.

آدم: أنتِ امرأة متمردة بعقل مراهقة، أكثر ما يغري الرجل، أوليس؟

يحرك يديه لأعلى.

فريدة تغمض عينيها: أرجوك.

آدم: بماذا؟

فريدة: التوقف، لا أستطيع التحمل أكثر.

آدم: لماذا؟! هل تثيرك كلماتي، أم تثيرك لمساتي؟

فريدة: الاثنان.

آدم يرفع يده الأخرى إلى وجهها، تلمس أنامله شفتيها صعودًا إلى أنفها ثم عينيها، يتلسمها برقة: افتحي عينك فريدة.

فريدة فتحت عينيها لتلتقي نظرتها بنظراته.

آدم: كنتُ أود أن أتمنَّى سنة سعيدة لك، لكنها لن تكون.

فريدة تتحول نظرتها إلى نظرة صدمة عندما أحسَّت بحرارة بالقرب من جلد فخذها، آدم السيجارة بين أصابعه تقترب ببطء من بشرتها، ثم وضع آدم السيجارة برفق على فخذها، شعرت فريدة بالنار تحرق جلدها، لم تصرخ فريدة، كل ما فعلته هو أنها أغلقت عينيها بشدة وقبضتا يديها تتشنجان.

آدم بنبرة حادة: وهذا سيظل ذكرى محفورة في عقلكِ، عقابًا لكِ على تصرفاتك طوال الليل كعاهرة.

رحل آدم واختفى ظله، بينما فريدة ثابتة في مكانها عاجزة عن الحركة في حالة من الصدمة التي لا تصدق، ليمر وقت طويل وهي على حالها، حتى عادت إلى الداخل، لتجد أمير يقف أمامها يحدق فيها.

أمير اقترب منها بسرعة، وفي قلق: فريدة أين ذهبتِ؟ الجميع قلق عليكِ، حتى أنهم بدأوا في البحث عنكِ في المكان.

فريدة: أعتذر أمير، لكنني أشعر أنني لستُ على ما يرام، فلتخبر الجميع بألَّا يقلقوا، سأعود إلى الفندق.

أمير في قلق: ماذا بكِ؟ هل تحتاجين إلى شيء؟ هيا لنذهب، سأعود معكِ.

فريدة تربت برفق على كتف أمير: أحتاج إلى النوم فقط، فلتبقَ أنت وتستمتع ببقية الليلة.

أمير: أمتاكدة من رغبتك في ألّا أعود معكِ؟

فريدة أومأت برأسها كجوابٍ وذهبت.

ليلى: أمير، لا أستطيع أن أجد فريدة، أشعر بالقلق عليها.

أمير: إنها بخير، لقد رأيتُها.

ليلى تحرك رأسها تبحث عنها في الأرجاء: أين هي لا أراها؟

أمير: ليست هنا، لقد عادت إلى الفندق فقد كانت تشعر بالنعاس.

ليلى في غضب: ماذا أيها المعتوه؟! سمحت لها بالمغادرة بمفردها وهي ثملة؟!

أمير: لقد تحدثتُ معها ولم تكن ثملة.

ليلى: اصمت أمير، إنها في حالة سكر شديد، هيا لنغادر نحن أيضًا، أشعر بالتعب وأريد أن أطمئن على فريدة.

أمير: حسنًا، سأخبر حازم ويوسف أولاً.

ليلى أومأت رأسها بالموافقة، يعودا الاثنان إلى الفندق.

اليوم الجديد...

استيقظَت فريدة في الصباح الباكر، لكن جسدها ظلّ ثابتًا في مكانه، كانت عيناها شاردتين نحو السقف تعكس حزنًا

عميقًا، لحظات تذكر فيها حديثها مع آدم في الأمس، تغمرها مشاعر مختلطة من الألم والضياع، تتنهد في يأس: ما الذي يحدث لي؟! كيف لا أستطيع التحكم في نفسي، أشعر وأنني أضعت بوصلتي كأنني لستُ أنا عندما أكون بالقرب منه، كيف سأواجهه مرة أخرى؟ اللعنة أين اختف كرامتي وشخصيتي؟ لقد تم رفضي منه مئات المرات، ومع ذلك ما زلتُ متشبثة به.

فريدة بتأنيب شديد لنفسها: ماذا تنتظرين فريدة؟ أن يطلق عليك النار؟ حتى إنه يراكِ أقل من أن تتسخ يداه بدمائك، فريدة لماذا لا تصدقي أنه زعيم مافيا قاتل، كيف لقلبك أن ينبض لشخص كهذا لا يملك سوى القسوة والوحشية؟ حقا لا أستطيع فهمكِ.

وضعت الوسادة على وجهها، ثم صرخت بصوتٍ عالٍ: لماذا هو؟ ما هذا الحظ التعس.

ليلى تقف أمام باب غرفتها أتت لتفقدها، لتسمع صوت صراخها القوي.

ليلى تطرق الباب وتدخل الغرفة، وبسخرية: لمَ كل هذا التذمر في الصباح؟ مَن أغضبك جميلتي؟

فريدة بنفس السخرية: صباح الخير صديقتي المحبة للحياة والمقتحمة لخصوصياتي المتطفلة.

ليلى تقهقه بصوت عال: أنتِ، أيتها الجاحدة، جئتُ لأطمئن عليك، وإذا بصراخك يهز المكان كله، سارقًا مني هدوء الصباح.

فريدة في سخرية: حقًّا؟ ارحلي أيتها الحمقاء.

ليلى: حقًّا أيتها المزعجة، لا لن أرحل.

ليلى تقترب من السرير وتبدأ في دغدغة فريدة.

فريدة بصوت متقطع ضاحك: اتركيني أيتها المزعجة.

بعد مرور فترة من الوقت بينما كانت فريدة وليلى تستمتعان بلحظات من المرح معًا، ليلى استلقت بجوار فريدة على السرير، بدأ الصمت يحيط بهما تدريجيًّا كلٌّ منهما شارد في أفكاره.

ليلى بنبرة هادئة: فريدة.

فريدة همهمت كجواب.

ليلى: ليس صحيحًا.

فريدة في تعجب: ما هو؟!

ليلى: ما يحدث بداخلكِ هذه الفترة، ليس صحيحًا.

فريدة تنظر إلى ليلى: وما هو الذي يحدث بداخلي ليلى؟

ليلى: فريدة، كم عامًا مرّ على صداقتنا؟ نعم نحن نخفي صداقتنا عن الجميع حتى لا تؤثر على عملنا بوجودنا معًا، لكن أرجوكِ، لا تنسي كيف كنا دومًا ملتصقتين أنا وأنت، ثم جاء شريف وابتعد بعد ذلك وأصبحنا نحن الاثنان أقرب من ذي

قبل، أنا ما زلت أعرفُكِ صديقتي سواء في الظاهر أو القلب.

فريدة: أنا أيضًا أعرفكِ جيّدًا صديقتي، لذلك ما الذي تريدين قوله ليلى؟

ليلى: أعلم أنكِ تكنّين إعجابًا شديدًا له، لا أعرف متى وكيف وأين بدأ، أو كيف كان لقاؤكما الأول حتى، ثم رأيتُكِ في الحفلة الرسمية وكم كنتُ معجبة بجرأتكِ التي أول مرة أراها فريدة مع شخص يبدو إنك تريدينه، أيضًا شاهدتُّكِ في المقهى وعلمتُ مِن تلك المرة أنه كان السبب في تلك الجراءة، وعلمتُ أيضًا أنها المرة الأولى لكِ لتعلمي خلفيته، يا إلهي! فريدة كانت صدمتك قوية، عيناك حمراء منتفخة من البكاء، إنها المرة الأولى لي أيضًا لأرى هذا الجانب منكِ.. فاقدة السيطرة على نفسك، جاهلة بما يحدث حولك، لكن حقيقةً كذبتُ على نفسي أغفلتُ تلك الأحاسيس وجعلتُها صدفة تحدث داخل رأسي فقط، حتى أمس تأكدتُّ أنها حقيقة، عندما رأيتُ عيونه تتربص بكِ، لم تتحرك إنشًا واحدًا عنكِ، حتى أنه اصطدم بكِ عمدًا ليلفت انتباهك، ثم تبعتيه للخارج.

شعرت فريدة بالإحراج من كلام ليلى، وبدأت عيناها تمتلئ بالدموع، وبنبرة منخفضة: أنتِ محقة في معظم كلامك ليلى، أنا حقًّا أكنّ المشاعر لآدم، ولكنني لم أكن أعلم منذ البداية مَن

هو في الأساس، لقد كانت مشاعر من نظرة أولى، لكنه رفضني ولا يُكنّ لي أي مشاعر؛ لذا فهو موضوع منتهٍ.

ليلى: بالطبع لن يكنّ لك مشاعر، إنه رجل مافيا فريدة، وهذا يعني أنه لا يمتلك شيئًا يُدعَى إحساس، قلبه مغلف بالأسود، ما الذي تنتظرينه من شخص مثل هذا؟ إنه يحاول الإيقاع بك فريدة، أعلم هذا.

فريدة تنهّدَت في حزن: إنه لا يحاول الإيقاع بي ليلى، هو يعلم كل شيء، ويعلم حقيقتيء ولماذا أنا هنا.

ليلى عيناها تتابعان فريدة في حيرة: أعلم، لقد تحدّثَ معي شريف منذ فترة وكان قلقًا، فقد تم كشفكِ مبكرًا جدًّا، وبالتالي تم كشف باقي أعضاء الفريق، لكن هذا ليس ما يقلقني فريدة، ما يقلقني هو مشاعركِ، عليكِ نسيانها بشدة؛ فهذا ما أقصده بهذا ليس صحيحًا.

فريدة حاولت أن تخفي دمعة هربت من عينيها، لكنها لم تتمكن، فمسحتها بسرعة وكأنها تحاول إخفاء مشاعرها: لا تقلقي ليلى، سوف أنساها.

ليلى ربتَت على كتف فريدة، ثم احتضنتها من جانب واحد: أتمنى لكِ الأفضل صديقتي العزيزة.

دامت فترة صمت طويلة بين الصديقتين.

ليلى: سأذهب لأستعد حتى لا نتأخر.

فريدة في تعجب: عن ماذا نتأخر؟!

ليلى: ألم تتصفحي هاتفك بعد؟ لقد أرسل شريف رسالة منذ ساعتين يخبرنا عن اجتماع طارئ عند الظهيرة، هيا ارتدي ملابسك لنذهب ونشرب القهوة الصباحية معًا أولاً.

فريدة: نعم، هذا ما أحتاجه الآن فنجان، قهوة ساخن، هيا هيا سأستعد.

تخرج الصديقتان من الفندق لشرب القهوة، ثم توجها بعدها إلى مقر الاجتماع.

انتهى الاجتماع والجميع في حالة حزن شديدة.

ليلى سيطر عليها اليأس، وفي نبرة حزن: أنا لا أستطيع أن أصدق.. هل انتهت مهمتنا هكذا بكل سهولة؟

يوسف: كنتُ أظن أن العقيد شريف يمزح عندما أخبرَنا أن هذا آخر اجتماع لنا.

أمير وقد بدَت عليه الصدمة أطلق زفيرًا عميقًا وعاليًا: لا أصدق أننا سنصبح وحدنا.

لم تكن فريدة منتبهة لتذمر الفريق، فقد ظلت لفترة غارقة في شرودها، تحاول استيعاب الأحداث التي يمرون بها لأول مرة في مهمة بحثًا عن تفسير لما يجري.

فريدة بنبرة مرتفعة: شباب، ألا تشعرون أن هناك شيئًا غريبًا؟

يؤمُّ الفريق كله بالموافقة.

يوسف: بالتأكيد نشعر.

فريدة: هناك شيء لا أستطيع فهمه، فكما ذكر يوسف من قبل نحن هنا للمساعدة في القبض على زعيم مافيا أثناء اغتياله لأحد الشخصيات التي كان من المفترض معرفتها، ولكن من الدقيقة الأولى عمل لنا هنا وكلنا بنفس المهمة مراقبة السيد آدم فقط، وعندما بدأنا نشعر بالغرابة وازدادت الأسئلة تم استقصاء فريقنا، من وجهة نظري هذا ليس منطقيًّا على الإطلاق.

ليلى: وليس منطقيًّا لي أنا أيضًا فريدة، ولكن ليس لدينا حرية الاختيار؛ فغدًا مساءً سنغادر أنا ويوسف.

فريدة في خيبة أمل: لذلك أنا أشعر بالحزن.

ليلى تمسك يد فريدة بامتنان: فريدة، كيف يمكنني شكركِ على أخذ مكاني، لا أجد كلمات تعبر عن مدى امتناني، تعريض نفسكِ للخطر بدلاً مني هو أمر لا يقدر بثمن.

فريدة تبتسم برقة: لا حاجة للشكر ليلى، أفعل هذا من أجل تولين ابنتك؛ فهي المفضلة لديّ في هذا العالم وأنت تعلمين

ذلك، ولا تنسي المرأة دائمًا...

تقاطعها ليلى قبل أن تنهي جملتها: المرأة للمرأة حتى لو لم تكن على حق.

تضحك الصديقتان بصوتٍ عالٍ، ثم يقرر الفريق قضاء اليوم معًا لتوديع بعضهم البعض.

كان قرار الاجتماع هو عودة أمير وفريدة وانتهاء مهمتهم، بينما يبقَى كل من ليلى ويوسف وحازم، لكن فريدة اعترضَت وطلبت أن تحلّ محل ليلى بسبب ظروف أسرتها، عندها طلب يوسف من أمير أن يحل محلّه لتحضيره لزفافه آخر العام.

يقضي الفريق اليومين معًا، ليتنهي اليوم الثاني بصعود ليلى ويوسف على متن الطائرة، بينما يعود أمير وفريدة إلى الفندق بعد أن أوصلاهما إلى المطار.

فريدة تفتح باب الغرفة وتدخل، تغلق الباب خلفها وتقف لثوانٍ تستنشق تلك الرائحة الرجولية المألوفة التي تفقدها صوابها، تستنشقها بعمق وتبتسم: لماذا هي قوية الليلة؟ هل أشتاق إليه أم ماذا؟

تضيء فريدة نور الغرفة الخافت الذي بالكاد يضيء المكان الذي تقف فيه أمام المرآة، تفتح فريدة هاتفها وتشغّل موسيقاها المفضلة علها تُهدِّئ من الوتر الذي يعصف بها، تغمض عينيها

ويبدأ جسمها في التمايل مع إيقاع الموسيقى بشكل مثير لفترة من الوقت، فتحت عينيها وكان وجهها مرتكزًا على الناحية المظلمة من الغرفة لتلمح سحابة من دخان سجائر مجتمعة حول هالة ضخمة تجلس على الأريكة.

شعرت بالخوف، ثم بدأت تستجمع نفسها لفهمها سبب قوة الرائحة.

فريدة بصوت متوتر: ألا تعلم أنه فعل غير أخلاقيّ إذا دخلتَ غرفة شخص بدون إذنه.

آدم ينهض من مكانه يسير باتجاه فريدة، وبنبرة باردة: من قال إنني رجل أهتم بالأخلاق؟

تنهد بعمق: من الواضح أنه يصعب مفاجأتك.

فريدة تبتسم بلطف: على أي أساس تحكم؟

آدم: على أساس أنكِ تقفين أمامي الآن ولم أرَ في وجهكِ أي تعبير يدل على المفاجأة.

فريدة: حكمتَ بشكل خاطئ؛ فعند دخولي الغرفة استنشقتُ عطرَك، لكن لم أتاكد أنه أنت.

آدم يحمحم: يا لَكِ من فتاة جريئة، أتتمايلين بجسدك بتلك الطريقة وأنتِ تدركين أن هناك من في الغرفة؟ لماذا لم تعودي؟

فريدة: إلى أين؟

آدم بنبرة حادة: بلدك.

فريدة: ولمَ عليّ ذلك؟

آدم: لأنني أمرتكِ بذلك، وأنا لا أحب أن أكرر كلامي مرتين، لماذا أنتِ عنيدة إلى تلك الدرجة؟

فريدة: أنا لستُ عنيدة، لكنني لا أملك أحدًا، إذا متُّ لن يؤثر ذلك على أحد، لكن ليلى لديها أسرة وأطفال بحاجة إليها.

آدم اقترب من فريدة بخطوات واسعة، رفع ذقن فريدة بيده، وهمس بصوت خافت: لقد سألتكِ لماذا أنت عنيدة؟

فريدة تبتلع ريقها ببطء، وصوت أنفاسها المضطربة ملأ الغرفة.

آدم همس بالقرب من أذنها: كيف يمكن للمسة مني أن تجعل فتاة مثلك تفقد صوابها؟

فريدة في تذمر: أنا لستُ فتاة، أنا امرأة ناضجة.

آدم: لا أستطيع رؤيتكِ إلا كفتاة غير ناضخة.

فريدة تبتسم بلطف: حسنًا، يكفيني أنك تراني.

تسير اتجاه الحمام: اعتبر نفسك في منزلك.

دخلَت إلى الحمام، استحمَّت وغيرت ملابسها معتقدة أنه قد غادر، عند خروجها تفاجأت بأنه ما زال موجودًا.

فريدة في تعجب: أرى أنه ليس لديكَ نية للمغادرة اليوم.

آدم واقف في زواية أمام النافذة التي تطلّ على الشارع، كاشفًا جزءًا من الستائر المعلقة عليها وكأنه يراقب أحدًا.

فريدة تنتبه وتذهب نحوه: ماذا؟ هل هناك أحد في الأسفل؟

آدم يجذبها من معصمها بقوة، ثم سارع في ضمِّها إليه لاغيًا المسافة بينهما، يحاوط بيده خصرها، واليد الأخرى تغلق فمها، وبنبرة منخفضة: هذا ليس من شأنك.

تظهر على فريدة علامات الخوف، آدم يترك خصرها ببطء ثم يحرك يده من على فمها: هيا اذهبي إلى النوم يا فتاة.

فريدة تهمهم كجواب، ثم تذهب إلى السرير وتتكئ بجزء من جسدها على حافة السرير، بينما النصف الآخر داخله صامتة، آدم بدوره يظل صامتًا هو أيضًا، تمر فترة طويلة من الوقت دام فيها الصمت، فريدة غلب عليها النعاس، آدم ما زال في نفس الوضع مستمرًا في المراقبة.

فريدة بنبرة ناعسة: سيدي، أيمكنني أن أقول شيئًا؟ إذا كان الوقت مناسبًا.

آدم يومئ برأسه بالموافقة وما زال تركيزه ونظراته إلى الخارج، ينتظر لفترة منصتًا لما ستقوله فريدة.

آدم بنبرة هادئة: هيا تحدثي، ما الذي تريدن قوله؟

فريدة لم ترد.

آدم يتجه نحو فريدة، فريدة تغرق في سبات عميق وهي في نفس الوضعية، يجلس آدم على طرف السرير بجوارها، مراقبًا بصمت.

آدم بنبرة هامسة، يتنهد بعمق ويمرّر أنامله بلطف على وجهها: تبًّا لكِ أيتها اللعينة، أرغب في تمزيق وجهك البريء حتى لا أشتاق إليكِ.

بعد مرور فترة من الوقت، يعود آدم إلى مراقبة النافذة مرة أخرى.

فريدة تفتح عينيها بانزعاج بسبب ضوء الشمس الساطع المتسلل من النافذة.

كانت المرآة المقابلة للسرير تعكس شبح صورة آدم الجالس على الأريكة وقدمه مرفوعة على الطاولة الصغيرة أمامه، مغمضًا عينيه يبدو أنه غارق في النوم.

فريدة تبتسم في حماس: يا له من صباح مشرق.

تنهض من مكانها وتسير بخطوات سريعة وهادئة نحو الأريكة، تقف لتتأمل ملامح آدم، عيناه المغمضتان تزينهما تلك التجاعيد الطفيفة، أنفه المدبب وشفاهه الرفيعة المرسومة بعناية، همست لنفسها: ماذا فعلتُ لأستحق هذه المكافأة؟ أن أرى وجهًا منحوتًا كأنه لملاك على هيئة بشر، إنها أفضل بداية لليوم.

وقفت فريدة لفترة طويلة من الوقت دون أن تصدر أي ضجة.

آدم يفتح عينه المرتخية: هل ستظلّين تتأملينني طوال اليوم؟

فريدة في فزع ترجع خطوة إلى الوراء: ماذا؟! لم أكن أعلم أنك مستيقظ.

آدم ينزل قدميه عن الطاولة مستعدًا للوقوف والمغادرة، بسخرية: يا فتاة، لا يعرف رجل المافيا النوم.

فريدة: حسنًا، سيدي انتظر، قبل رحيلك دعنا نتناول الفطور معًا، أو على الأقل دعني أُحضِر لك كوبًا من القهوة.

آدم بنبرة حادة: لا تتأمّلي كثيرًا يا فتاة، عدم رحيلكِ وبقاؤك هنا جعلني أخسر شيئًا كبيرًا، وستُعاقبين على ذلك بشدة.

فريدة تبتسم في لطف، تقترب من آدم: لماذا تخسر شيئًا كبيرًا بسببي؟ هل أعني لكَ شيئًا؟

آدم بنبرة مستقرة: وجودكِ هنا يزعجني كثيرًا، أتمنَّى التخلص منكِ بطريقة عادلة، لكنكِ لا تساعدينني في ذلك.

ما زالت نفس الابتسامة مرسومة على وجه فريدة: إذا انتهَت حياتي هنا فلن أشعر بالندم لحظة واحدة، يكفيني محاولة الفوز بقلبك رغم أنها محاولة فاشلة، أسمع الكثير من آراء الناس حول نظريتهم عن الحب، فهناك من يعتقد أن

الحب إحساس وآخرون يظنون الحب اختيار، لكنني أرى أن الحب هو الاثنان معًا ولا يمكن فصلهما، لا يمكن اختيار الحب دون إحساس، ولكنّني سأختار هل سأُكمل مع الشخص الذي أحبه أم لا عندما أتعمق فيه وأعرفه حق المعرفة، لكن أنا لم أعرفك بعد بما يكفي لأقرر إن كنت سأختار الرحيل أم لا، انظر سيدي.. لقد قضيتُ حياتي كلها منذ كنت طفلة رضيعة حتى أصبحتُ امرأة ناضجة وحيدة، جدّتي المريضة هي من اعتنَت بي طوال حياتي، وعندما أقول مريضة فإنها كانت حقًّا مريضة بشدة؛ لذا كانت طفولتي مقترنة بالمربيات اللواتي كُنّ يتغيرن واحدة تلو الأخرى، استطَعتُ التغلب على شعور ألَمِ هذه الفترة حتى أصبح الحديث عنها سهلاً، لكن هذه المرة هي المرة الأولى التي أشعر بها هكذا.

فريدة تنهدت بعمق، ثم اقتربت بوجهها أكثر من آدم وهمست: اعذرني لما سأقوله، لكنها المرة الأولى التي أشعر فيها أنني أنتمي إلى أحد.

آدم: أنا لا أحب، أنا أمتلك.

فريدة: إذًا امتلكني.

آدم بنبرة جافة: لن أستطيع إعطاءكِ الحب الذي تتمنّينه، لا الكلام المعسول ولا المفاجآت الرومانسية، حتى أبسط الأشياء

مثل الورود لن تحصلي عليها منّي، لن أهتم أبدًا بمعرفة لونك المفضل أو كتابك المفضل أو مخططاتك للعطلة القادمة، كل ما ستجدِينه هو القلق والخوف والحزن والجرح، أنت فتاة هشة تحتاجين إلى الحب بكل معانيه، فما المربح لكِ في حب شخص مثلي؟

فريدة: أنا لا أحتاج قصة حب أسطورية أو قصة خيالية، إنّ ما أحتاجه هو جسدك الضخم يحميني بالارتماء في أحضانه، عيونكَ السوداء التي ترشدني عندما أفقد صوابي، ذلك الأبهم الدافئ الذي أمسكُ به عندما أحتاج الأمان، هذا فقط ما أحتاجه.

اقترب آدم من فريدة وهو يجزّ على أسنانه، وبصوت منخفض حاد: هذا إحساس تائه أضاع طريقَه، ستجدين من يدلّكِ على الطريق الصحيح، أما أنا.. أنا رجل مافيا، وبمعنى آخر مجرم بلا مشاعر، قاموسي لا يتضمن معنَى الحب.

فريدة: لا أعتقد هذا، لو كنتَ رجلاً بلا مشاعر لما كنتَ هنا الآن، لما خسرتَ شيئًا كبيرًا من أجلي.

آدم يلعق أسفل شفتيه بغيظ، ممسكا خصره بإحكام محدّقًا إلى الجانب الآخر بظهر مشدود، بينما يداه تمسحان جبينه بحنق متزايد، وبنبرة صارمة: اسمعي جيدًا أيتها الفتاة،

حتى هذه اللحظة أحاول مسايرتك بلطف، لكن دعيني أوضّح شيئًا، ليس لديّ الوقت ولا الطاقة لنقاشات المراهقين العقيمة، سوف ترحلين وتنسين كل هذا، انتهى النقاش.

فريدة: لن أرحل سيدي حتى ينتهي عملي هنا.

أمسك آدم بذراع فريدة فجأة، جذبها بعنف نحو الحائط، ألصقَ ظهرها به ليصطدم ظهرها بقوة، شعرَت بألم حاد يسرِي في جسدها نتيجة فعلته، بينما قبضَت يدها على ذراعه محاولة دفعه، لكن سرعان ما التفتَتْ قبضة ذراعه الأخرى حول عنقها بإحكام، اقترب منها أكثر ونبرته كانت خشنة غاضبة كأن كل كلمة تخرج من بين أسنانه بصعوبة: لقد أخبرتكِ أنني لا أحب أن أكرر كلامي مرتين، وها أنا أكرّره للمرة الرابعة، أخبرتكِ أن تعودي، لن يحدث ما يدور داخل رأسك الصغير هذا، أنا لن أكون معكِ.. أختنق حينما أتنفس الهواء نفسه الذي تشاركينني إياه.

بيدين مرتعشتين أبعدت فريدة يديه عن رقبتها محاولة كبح دموعها المتجمعة في عينيها من قسوة كلماته، تنفست بصعوبة، وبصوت مختنق مليء بالألم والاحتقار: من تظنّ نفسك لتخاطبني بهذه الطريقة؟ لم أطلب منك أن تشاركني الهواء الذي أتنفسه، في الواقع لم أطلب منك أبدًا أن تكون

في محيطي، ولا أريد حبكَ ولا أحتاجه، كما قلتَ بنفسك أنت رجل بلا قلب ومشاعري ستجد طريقها إلى الشخص الذي يستحقها.

ثم حدقت داخل عينه نظرة خاطفة: من فضلكَ لا أريد رؤيتكَ مرة أخرى، فلتذهب.

أطلق آدم ضحكة جانبية ساخرة مشيحًا وجهه إلى الجانب الآخر: جيد.

استدار بهدوءٍ واتجه نحو الباب، فتحه دون أن ينظر خلفه، ثم خرج وأغلق الباب وراءه.

وقفت فريدة في مكانها، علامات الصدمة والحزن مرسومة على وجهها، عيناها تبرقان بالدموع التي بدأت تنهمر بغزارة وكأن كل كلمة قالها آدم كانت سكينًا غارزًا في قلبها، تمسح دموعها بيد مرتجفة، لكن ملامح وجهها بقيَت ثابتة وبنبرة يائسة: فريدة لا تبكي، أنتِ المخطئة في حق نفسك وأنت تعلمين جيّدًا أن الأشخاص الذين تحبينهم لا يبادلونكِ، ليست هذه المرة الأولى، بل في كل مرة.. في كل مرة يحدث هذا، وأنتِ تقعين في نفس الخطأ، كيف تريدين من الآخرين أن يتمسكون بكِ وقد تخلَّى عنكِ مَن كان من المفترض أن يتمسك بك؟!

بدأ صوت بكائها يعلو، يتصاعد ويعلو حتى يتحول إلى صراخ

مدوٍّ: رغبتي بهذا الحب دمرتني بشدة، كنتُ أعتقد أنه سيكون الأمان الذي طالما بحثتُ عنه، سيغطيني من هذا العالم القاسي، لقد قتل الألمُ كل الأزهار بداخلي ولم أستطع أن أبقيها حية، أشعر أن داخلي يحترق ببطء ولا أحد يلاحظ احتراقي، أشعر بالتعب وأحتاج إلى مكان أستريح فيه، المشاعر التي تؤذيك تخلّي عنها، لكنني لا أجد الراحة إلا في أذيّته، فهي الطريقة الوحيدة التي تجعلني أشعر بأنه يراني، لكن قلبي لن يبقَى مخلصًا لوقت طويل، أقسم أنني سأجعلكَ صفحة ممزقة في حياتي؛ فأنت من البداية كنت أرضًا ميتة.

كانت الدموع تغرق وجهها، وعيناها تفيضان الدموع بغزارة، تحرق بشرتها لسخونة حرارتها.

تغلق فريدة ستائر النافذة وتذهب إلى السرير، تقضي طوال اليوم في غرفتها، يمر أربعة أيام على هذا الحال وفريدة لا تخرج من غرفتها.

آدم في مكتبه الذي يتميز بطابعه الفيكتوري الفخم تزينه ألوان الأسود والرمادي، يجلس أمام حاسوبه والضوء المنبعث منه يعكس على وجهه، إذًا إنه المصدر الوحيد للإضاءة في المكتب.

آدم بتحدث بنبرة جادة عبر الهاتف: هل ما زالت حبيسة

في غرفتها؟

الطرف الآخر: أجل، لم تخرج منذ ذلك اليوم.

آدم: هل رجال الحراسة في أماكنهم؟

الطرف الآخر: أجل، لم يتحركوا من أماكنهم.

آدم: لا أريد تفويت أية تفصيلة حتى لو كانت تافهة دون أن أعلم بها، وضاعف عدد الحرس دون إشعارها بشيء غريب، أيضًا رتِّب لي لقاء معها غدًا بطريقة لا تجعلها تدرك أنه تم الترتيب له.

الطرف الآخر: أمرك زعيم.

آدم ينهي المكالمة بابتسامة خفيفة: فتاة عنيدة جاهلة.

اليوم الجديد..

كانت فريدة جالسة في غرفتها أمام حاسوبها تشاهد فيلمًا بتركيز، فجأة رن هاتفها.

فريدة: مرحبًا حازم.

حازم: مرحبًا فريدة، لقد مر أربعة أيام وأنتِ في غرفتك لم أركِ، هل أنتِ بخير؟

فريدة: نعم أنا بخير، لكن لم يكن هناك أي مهام هامة؛ لذا لم أخرج.

حازم: حسنًا، إذًا يمكننا أن نتقابل اليوم، أود مناقشة بعض التفاصيل معكِ.

فريدة تهمهم كجواب: سأخبر أمير وأحضره، وسنأتي في الموعد.

حازم بنبرة جادة: لا، اتركي أمير، أريد رؤيتكِ فقط، فقد كلفته بعمل آخر.

فريدة في تعجب: حسنًا، أرسل لي اسم المكان والوقت الذي سنتقابل فيه.

حازم: ابدئي في الاستعداد الآن، وسأرسل لك العنوان قريبًا.

فريدة تنهض من مكانها وتبدأ في الاستعداد بهدوء، تخرج من غرفتها لأول مرة منذ أيام، تتجه نحو المقهى حيث من المفترض أن تلتقي بحازم هناك.

تصل فريدة إلى المقهى وتختار طاولة بجانب نافذة زجاجية كبيرة تطل على شارع مزدحم بالحركة، تطلب قهوتها وتبدأ بالارتشاف منها ببطء، فيما تنغمس في عالم أفكارها العميق، فجأة يقطع شرودها صوت هاتفها، تلتقطه لترى رسالة جديدة حازم: فريدة أعتذر بشدة، لقد طرأ أمر ولن أستطيع القدوم إليك.

فريدة في تذمر: اللعنة عليك حازم، لماذا لما تخبرني قبل أن آتي؟

تضع هاتفها جانبًا، تأخذ رشفة أخرى من قهوتها وتعود إلى

عالم أفكارها، تراقب المشهد من خلف النافذة الزجاجية، تسند كفها على مقدمة ذقنها في ملل، فجأة تسمع صوت حركة المقعد أمامها تلتفت بسرعة لترى شخصًا يقترب منها ويجلس على الكرسى المقابل ذو الهيبة.

فريدة في دهشة: سيدي!

آدم: مرحبًا يا فتاة.

فريدة: مرحبًا سيدي.

آدم: كيف حالك؟

فريدة: بخير.

دام الصمت بين الطرفين فترة من الوقت.

فريدة تكسر الصمت الذي دام فترة: سيد آدم، أهناك شيء؟

آدم: لا شيء، أردتُّ معرفة أحوالك فقط؛ فلا يليق بكِ دور الفتاة المكتئبة.

فريدة في سخرية: مَن أخبركَ أنني مكتئبة؟

آدم: لا أحد، غرفتكِ هي من أوشَت بك وقالت أنكَ كنت حبيسه لها أربعة أيام.

فريدة في نبرة حادة: إن كنتُ في غرفتي لأربعة أيام، هل هذا يجعلكَ تشعر بالقلق؟ هل يشعرك بتأنيب الضمير من كلامك لي آخر مرة؟ لكن في الحالتين لا أعتقد أنكَ شخص يمكن أن

يشعر بأي من هذين الإحساسين.

آدم يرفع حاجبه الأيسر مبتسمًا ابتسامة خفيفة بجانب فمه: أصبتِ يا فتاة، أردتُّ سؤالك، هل هناك أي شخص غريب تحدثتِ معه أو رأيتِه هذه الفترة؟

فريدة: لا أتذكر.

آدم هَمَّ بالوقوف مستعدًا للمغادرة، أمسك بهاتف فريدة من أمامها، أخذ يكتب رقمه: هذا رقمي احتفظي به، في حالة إذا شعرتِ بشيء غريب فلا تتردّدي في الاتصال بي.

فريدة في غضب: أعتقد أن ما يحدث في حياتي ليس من شأنك سيد آدم، أيضًا قد أخبرتني من قبل ألّا أتواجد في مكان أنت فيه، والآن أنت تبحث عني وتعلم تحركاتي؛ لذا أرجوك توقف عن هذا.

آدم يكز على أسنانه بابتسامة غامضة يحاول يخفي فيها غضبه، وبنظرة حادة: لا تختبري صبري يا فتاة، لا تنسي.. سأظل سيدك وسيد قلبك، أوليس؟

فريدة تبتسم في سخرية وبنبرة باردة: ليس، فما هو مناسب لكَ ليس مناسبًا لي، لقد انتهَى ما بداخلي سيد آدم، لستَ سيّدي ولا سيد قلبي.

آدم حدق في فريدة بنظرة متكهربة، ثم توجه نحوها بثبات،

اقترب منها حتى أصبح قريبًا جدًّا، فريدة كانت تضع كفها على الطاولة؛ فضغط عليه بقوة، رصّ على أسنانه ورفع صوته بنبرة تهديد قاسية: فقط تجرأي وأعيدي ما قُلتِ حينها سأحرقك، أنتِ سليطة اللسان، وعلى ما يبدو أنني قد تساهلتُ مع هذا اللسان السيء.

ثم دفع يديه بعيدًا عن كفها في نبرة مرتفعة: هيا، اغربي من هنا.

فريدة بصوت مرتجف وعالٍ يدل على خوفها: أنت الشخص السليط، لا أريد رؤيتك أبدًا في حياتي.

فريدة بعد أن نطقت كلماتها الأخيرة اندفعت نحو الباب بسرعة محاولة الهرب من رد فعله على كلامها.

آدم يشاهدها من خلف النافذة وهي تسير في الشارع بخطوات واسعة حتى تختفي من أمام عينيه، وهو يبتسم بلطف: متمردة تُغيّر داخلي، ولا أعلم ما يحدث لي.

فريدة تسير في الشارع بخطوات واسعة والغضب يسيطر على كل جزء فيها، تتحدث مع نفسها بصوت عالٍ محملة بالكثير من الاستنكار: إنه حقًّا شخص يحتاج إلى علاج، ماذا يظن نفسه؟ هل جُنّ؟ هل يعتقد نفسه سيدي؟

ثم ضربت جانب رأسها بكفها وكأنها تعاقب نفسها: غبية يا

فريدة غبية! كيف وقعتِ لشخص بهذه العقلية؟ أيعتقد أنه يمتلكني حقًّا؟!

ثم توقفت فجأة في منتصف الشارع ونظرت خلفها بحقد، لتصرخ بأعلى صوتها: سحقًا آدم، لن تمتلكني أيها المغرور الغبي، أنا أكرهك بشدة.

تعود إلى الفندق، تفتح هاتفها ترسل رسالة: شريف كيف حالك؟ أنا أشعر بالملل كثيرًا، ليلى ليست هنا وأمير غير متفرغ، إذا كان لديك الوقت فلنتناول العشاء معًا.

فريدة حدّقَت في هاتفها لفترة منتظرة جوابًا، لكن الوقت مر دون أي رد.

فريدة تنفست بعمق وهي تشعر بالضيق، تمتمت لنفسها: هل الجميع مشغول وكأن الكون قرر أن يتركني وحدي اليوم؟ إذًا فليذهب الجميع إلى الجحيم، سأخرج في موعد مع نفسي.

مع غروب الشمس تبدأ فريدة في الاستعداد، ترتدي فستانًا أسود ضيّقًا يمتد إلى ما بعد ركبتها، ذو حمالات رفيعة يبرز أناقتها، تجمع شعرها في ذيل حصان مشدود، تختار حذاء بكعب كريستاليّ لامع يزيد من أناقتها، تكمل الإطلالة بحقيبة صغيرة حمراء، تُنهي هذا المظهر الساحر بوضع أحمر شفاه بلون أحمر داكن.

فريدة تنظر إلى نفسها في المرآة، وتبستم إلى نفسها بإعجاب: هيا أيتها الجميلة، لنستمتع بليلتنا دون إزعاج من الآخرين.

فريدة تغلق هاتفها وتضعه في حقيبتها، تخرج من غرفتها بخطوات واثقة متجهة نحو مطعم كلاسيكيّ راق كانت قد اختارته بعناية، تجلس على طاولة بجانب النافذة، تطلب عشاء فاخرًا، بعد الانتهاء من العشاء تشعر بأنها لم تكتف بعد من هذه الليلة، تقرر الخروج والتجول في شوارع المدينة تستنشق هواء الخريف المنعش، ذلك الفصل الذي يحمل لها دائمًا شعورًا بالهدوء والتجدد.

آدم مستلقٍ على سريره في غرفته الواسعة داخل قصره الفخم، كان الصمت يلف المكان، لا يسمع سوى صوت أنفاسه العميقة، فجأة هاتفه رنّ قاطعًا هدوء اللحظة.

آدم: أجل.

الطرف الآخر في توتر: لقد فقدنا أثرها.

آدم يجلس فجأة، معتدلاً في مكانه، علامات الغضب الممزوج بالقلق تعلو وجهه، صوته يرتفع بشكل ملحوظ: ماذا؟! كيف فقدتم أثرها؟! اللعنة!

الطرف الآخر: لقد كانت تتناول العشاء في المطعم، وكان الرجال...

آدم يقاطعه في الكلام ويضغط على أسنانه بغضب، وبصوت مليء بالتوتر: هيا، أرسل لي عنوان المطعم فورًا، وحرك السيارة والرجال ولتذهبوا إلى هناك الآن.

آدم يغلق الهاتف بعنف ويرميه على الطاولة بجانبه، ينهض بسرعة من على سريره، يقترب من خزانة الأسلحة الضخمة يختار أدواته بعناية، يأخذ مسدسًا صغيرًا ويضعه في جيبه الداخلي، ثم يختار مسدّسًا أكبر يضعه أسفل ظهره بحذر، يلتقط سكينًا حادًّا صغيرًا يضعه في جاره الأيمن.

الغضب يتصاعد في صدره وكأن نارًا داخله، بدأت تشتعل ملامحه مشدودة وعيناه تشتعلان بشدة بنبرة خافتة: أيتها العنيدة، لقد أخبرتكِ بالعودة، لقد تمكنوا من الوصول إليك الآن.

فريدة انتهت من تناول العشاء وخرجت من المطعم، بدأت التجول في شوارع المدينة المضاءة، مع نسمة الهواء البارد، فريدة تقف أمام مكان صغير مشهور بالكعك تنظر إلى الخيارات المتنوعة باهتمام، وبنبرة سعادة إلى نفسها: جيد أنني لم أتناول التحلية بعد.

تسحب كرسيًّا بالقرب من الطاولة الصغيرة وتجلس براحة، تختار قطعة من الكعك اللذيذ، تبدأ في تناولها مستمتعة به.

آدم في سيارته البورش الرياضية السوداء يقودها بتهور وكأن الطريق لا يهمه، عيناه ثابتتان على الطريق بينما يداه مشغولة بالهاتف يحاول الاتصال بفريدة مرارًا وتكرارًا.

آدم في غضب: لماذا هاتفكِ مغلق أيتها الغبية؟! أقسم إن حدث لك مكروه سوف أقتلكِ فريدة.

يعبر الشوارع بسرعة أكثر، يرواغ السيارات الأخرى، يريد الوصول إليها بأسرع وقت ممكن.

فريدة تنتهي من تناول قطعة الكعك، تبتسم قليلاً مستمتعة بلحظات الهدوء التي مرت بها، تقف وتبدأ جولتها مرة أخرى في شوارع المدينة، وبنبرة منخفضة: حقًّا إنني أستحق نهاية رائعة مثل هذه بعد يوم سيء هكذا.

بينما كانت فريدة تعبر شارعًا صغيرًا مظلمًا بعيدًا عن الأضواء، فجأة شعرت بيد قوية تجتذبها بقوة تصدم جسدها على الحائط المقابل بعنف، قبل أن تتمكن من الصراخ أو حتى استيعاب ما يحدث قبضت تلك اليد على رقبتها بشدة مما جعلها تعجز عن التنفس.

فريدة بصوت متقطع مرتجف: اتركني، من أنت؟!

كانت كلماتها بالكاد تخرج والضغط على رقبتها يزداد.

الشخص الذي أمامها تظهر ملامحه، شاب في نهاية

الثلاثينات طويل القامة ونحيف، بشرته بيضاء بشكل لافت، وعيونه زرقاء باردة.

الشاب:

Te l'ho detto، non importa quanto tempo passa، ti troverò

لقد قلتُ لكِ مهما مر الزمن سوف أجدك.

فريدة تحاول بيأس التقاط أنفاسها، لكن القبضة على رقبتها تجعل التنفس أكثر صعوبة:

I don't understand what you say، who are you and what you want ?

لا أفهم ماذا تقول؟ من أنت؟ وماذا تريد؟

الشاب:

what you forget me.

ماذا؟ أنسيتِ من أنا؟

يوجه لكمة قوية أسفل بطنها:

maybe now you can remember me، remember how you cheat me

ربما الآن يمكنك تذكري، تذكري كيف خنتِني.

فريدة تسقط على ركبتها واضعة يديها على بطنها، عيناها تدمعان من شدة الألم:

I don't know what you're talking about، I'm not that person، you're wrong

أنا لا أعرف ما الذي تتحدث عنه، أنا لست ذلك الشخص، أنت مخطئ.

الشاب يمسك شعر فريدة بقوة يجتذبها بعنف دون أن يترك لها فرصة للوقوف أو المقاومة.

فريدة تصرخ بصوت متقطع: leave me، اتركني.

الشاب سحبها خارج الشارع الصغير المظلم بينما خطواتها تتعثر، يخرج مسدّسًا من جيبه يصوبه نحو رأس فريدة، بصوت عال ومليء بالغضب يصرخ:

Basta، non ingannarmi ancora، traditore

يكفي، لن تخدعيني مرة أخرى أيتها الخائنة.

فريدة الذعر يسيطر على كل جزء من جسدها وكأن أطرافها مشلولة تمامًا، لو لم يكن الشاب يمسكها من شعرها لكانت قد انهارت وسقطت على الأرض.

فريدة تبدأ بالبكاء بحرقة، الدموع تنهمر بغزارة على وجنتيها، ووجهها يتحول إلى لون شاحب كأن الحياة تُسحَب منه، عقلها في حالة من الفوضى، عاجزة تمامًا عن فهم ما يحدث، مَن هذا الشخص؟! وما علاقته بها؟!

فجأة يتردد صوت قوي وعاضب من بعيد:

Fabio si fermò.

فابيو توقف.

آدم يظهر من العدم، يقترب بسرعة وخطواته ثابتة، ملامحه تعكس مزيجًا من الغضب والقلق الشديد، عيناه تشتعلان بنظرة حادة.

فابيو يبتسم بسخرية:

Stai lontano Adam، prima contavo su di te e mi hai deluso

ابقَ بعيدًا آدم، لقد اعتمدتُّ عليك من قبل وخيَّبتَ ظني.

آدم يتوقف على بعد خطوات، يرفع يديه قليلاً في محاولة لتهدئة الوضع، لكن الغضب ما زال واضحًا في صوته:

Perché non capisci? Ti sei vendicato per tutti noi e questa ragazza non ha niente a che fare

لماذا لا تفهم؟ لقد انتقمتُ لنا جميعًا بالفعل، هذه الفتاة ليس لها شأن.

فابيو يطلق ضحكة ساخرة عالية يتردّد صداها في الشارع، وبنبرة تهكمية:

Vuoi che creda a questa bufala mentre è davanti ai miei occhi Se non avessi perso anche tu، avrei sospettato il tuo coinvolgimento?

أتريد مني أن أصدق هذه الخدعة وهي أمام عيني؟ لو لم تكن قد خسرتَ أنتَ أيضًا كنت سأشك في تورطك.

آدم يوجه كلامه لفريدة، بينما عيناه لا تزالان مثبتتين على فابيو: فريدة، استمعي لي جيدًا.. عندما أقول هيا اركضي نحوي بكل سرعتك، لا تفكري، لا تترددي، فقط انتظري إشارتي.

آدم:

Fabio، lasciala. Non voglio farti del male، sento il tuo dolore، ma come ti ho detto، questa ragazza non è lei

فابيو، اتركها لا أريد إيذاءك، أنا أشعر بألمك، ولكن كما أخبرتُكَ هذه الفتاة ليست هي.

فابيو:

Dato che hai scelto la ragazza، d'ora in poi saremo nemici

بما أنك اخترت الفتاة، سنكون أعداء من الآن فصاعدًا.

آدم دون تردد وبصوت عالٍ: هيا.

يخرج مسدسه ويطلق النار على فابيو الذي يسقط على الأرض، رجال فابيو يخرجون أسلحتهم ويبدؤون أيضًا في إطلاق النار، فريدة تقف خلف آدم وهو يحاول تفادي الطلقات بينما يطلق النار في الوقت نفسه، رجال آدم يصلون ويبدأون في إطلاق النار على رجال فابيو، آدم يمسك فريدة من يدها ويركض بعيدًا عن المكان حتى يصلا إلى السيارة.

آدم وفريدة يقفان أمام السيارة يلهثان لالتقاط أنفاسهما.

آدم في قلق: هل أنتِ بخير؟

فريدة أومأت برأسها كجواب.

آدم: جيد، هيا قودي أنتِ السيارة لنخرج من هذا المكان، لقد أُصِبْت.

فريدة تنظر بتمعن إلى آدم والذعر يعلو ملامح وجهها أكثر: أين؟

آدم ينظر إلى ذراعه اليمنى حيث تتوسطه طلقة والدماء تسيل منه بغزارة.

فريدة وهي تصيح بصوت عالٍ ودموعها تنهمر: كيف تشعر؟ هل تؤلمك؟ يا إلهي ما هذه المصيبة؟!

آدم: تمالكي أعصابكِ فريدة، ليس لدينا الوقت، أنا لم أقتل فابيو؛ لذا سيعود في أي لحظة.

فريدة تحاول تهدئة نفسها: حسنًا، حسنًا، ما الذي عليّ فعله؟

آدم: فقط قودي السيارة.

بدأت علامات الضعف تظهر عليه، حيث فقد الكثير من دمه.

فريدة تساعد آدم في الصعود إلى السيارة، ثم تصعد إلى مقعد السائق، بنبرة قلقة: سنتجه إلى المشفى الآن.

آدم: اتبعى فقط الموقع المسجل على السيارة.

فريدة في توتر: ماذا، لن تنتهي الأمور هكذا؟! ماذا بشأن إصابتك، سأتوجه إلى المشفى.

آدم في إرهاق: اصمتي فريدة وقودي فقط.

فريدة تأخذ نفسًا عميقًا وتستعد لتنفيذ ما قاله آدم، تقود السيارة بعد فترة من الصمت المشحون تصل إلى المكان المطلوب، آدم كان يتكئ برأسه إلى الوراء على كرسي السيارة، عيناه مغلقتان وكأنه غائب عن الوعي، ملامحه مرهقة.

فريدة تقترب من آدم، صوتها يرتجف من القلق والخوف عليه من أن يحدث له شيء، همست بصوت منخفض وعيناها تتابعانه: سيدي أنت بخير؟ لقد وصلنا.

آدم يفتح عينه وينظر إليها بعينيه المتعبتين: أحسنتِ، هيا لندخل إلى المنزل.

فريدة تنزل من السيارة بسرعة وتقترب منه لمساعدته، آدم ينزل من السيارة ببطء يضع يده على جانبه كأنه يحاول التوازن، فريدة تمسك بذراعه بقوة تساعده على التوازن، آدم يتنهد بعمق: أنا بخير لا أحتاج مساعدة.

لكنه يلاحظ الإصرار في عينيها، وبصوت هادئ: حسنًا.

دخلا إلى المنزل، آدم جلس على الأريكة يحاول نزع قميصه،

فريدة تساعده، تقف أمام آدم تنظر إلى ذراعه، حيث تظهر الرصاصة المغروسة بوضوح وسط بركة الدماء، تمسك مقدمة شعرها بإحكام، تشعر بالعجز والخوف، وتتحدث بصوت متقطع من القلق: لقد فعلتُ كما قلت، لكن هل يمكنك إخباري ماذا الآن؟ كيف سنُخرِج هذه الرصاصة اللعينة؟ ستنزف حتى الموت إذا لم نتصرف.

آدم: لا تقلقي فريدة، كل شيء تحت السيطرة، اذهبي إلى الداخل، ستجدين حقيبة بيضاء في الغرفة الأولى على اليمين، أحضريها لي.

فريدة تنفذ كلامه وتذهب إلى إحضار الحقيبة.

آدم: افتحيها.

فريدة تفتح الحقيبة، تتسع عيناها من المفاجأة، الحقيبة مليئة بالأدوات الطبية، مقصات بأحجام مختلفة، مشارط بأشكال متعددة، شاش ولاصق، خيوط جراحية وحتّى كُحل، هناك أيضًا أدوات غريبة لم تتمكن من التعرف عليها.

آدم بنبرة خافتة: اجلسي.

فريدة تجلس بجوار آدم.

آدم ينظر إلى فريدة بعنيين مرهقتين صوته بالكاد يخرج: انظري إليّ يا فتاة، أنتِ تعرفين ماذا سيحدث إذا تركنا الرصاصة

داخلي، نزيف ثم الموت كما قُلتِ، لذا عليكِ إخراجها الآن، إذا لم نكن نريد موتي، أو نريد؟

فريدة تهز رأسها بالنفي: لا نريد.

آدم: إذًا هيا لتخرجيها، سأساعدك.

فريدة تقف مذهولة، تضع كفها على فمها وعيناها تغمرها الدموع، صوت بكائها الهادئ يزداد: أتريد منّي إخراج الرصاصة بنفسي؟! لا، لا، لا، لن أقدر!

آدم يرفع رأسه بصعوبة: فريدة، أنتِ امرأة عاقلة، تدركين الموقف الذي أصابنا، لا يوجد حل آخر، أيضًا أنا أشعر بألم شديد داخلي، ولا أستطيع االتنفس بشكل جيد، لا أعلم كم من الوقت سأظل واعيًا، لذلك ليس لدينا الوقت الكافي، عليكِ إخارج تلك اللعينة الآن قبل أن أفقد وعيي لأساعدك.

فريدة أومات برأسها بصمت، دموعها تتساقط بغزارة من عينيها، آدم استراح بجسده على الأريكة، بدأت فريدة بإخراج الأدوات التي أخبرها بها آدم، كانت تركز في كل خطوة وتحاول أن تكون دقيقة في حركتها، لكن عندما بدأت في شق جلد ذراعه شعرت بألم آدم يشتد عليه، صرخت فريدة بصوت عالٍ.

آدم بصوت متألم: فريدة، توقفي عن الصراخ.

فريدة انفجرت في البكاء، دموعها تتساقط بغزارة على وجهها،

يداها ترتجفان بشدة وصوتها يكاد يكون غير مسموع من كثرة البكاء: كيف يمكنني أن أهدأ وأنا متصوّرة مقدار الألم الذي تشعر به الآن؟ كيف؟

آدم محاولاً تحمل الألم، رفع عينَيه محدّقًا بها، نظرته مليئة بالتعب، نطق بصوت ضعيف: أنا لا أشعر بالألم حقًّا، هيا طفلتي، إذا قُمتِ بخطأ ستحدث مشاكل كبيرة، أنتِ قوية، يمكننا أن نتجاوز هذا.

فريدة نظرت إليه وبقيت في مكانها لحظة، ثم مسحت دموعها بحركة سريعة وأخذَت نفسًا عميقًا لتواصل عملها، تنجح في استخراج الرصاصة، تَخِيطُ الجرح بتعليمات آدم، بعد انتهائها كانت فريدة بالكاد تلتقط أنفاسها، أمسكَت قطعة من القماش النظيف وبدأت في مسح الدماء من على ذراع آدم، ثم ذهبت لغسل يديها التي تلطّخَت بالدماء ودموعها ما زالت تسيل على وجنتيها.

آدم بصوت ضعيف: تعالي إلى هنا، اقتربي.

فريدة جلست على ركبتها أمام آدم، رغم التعب الشديد الذي أنهكه ظل مستلقيًا على الأريكة يراقبها.

آدم يرفع ذقنها بأصابعه، يراقب أنفها المحمرّ ورموشها المبتلة، رفع يده ببطء وربَتَ على رأسها بلطف: فتاة جيدة،

لقد كنتِ رائعة، أنا فخور بك.

فريدة هزت رأسها غير قادرة على منع نفسها من البكاء من جديد، أصدرت ضجيج شهقات متكررة ليغرق وجهها بالدموع: أرجوك لا تفعل بي هذا مرة أخرى.

آدم مرر يده الأخرى يمسد على شعر فريدة، وبنبرة حنونة: يكفي فتاتي، لم أكن أعلم أنكِ حساسة إلى هذه الدرجة.

فريدة بصوت مليء بالندم همست: لا يمكنني تخيّل مقدار الألم الذي شعرتَ به، وكيف كنت أنا السبب في ذلك الألم!

آدم يبتسم قليلاً وبنبرة هادئة: إن لم تفعلي ما فعلتِه لكانت العواقب وخيمة، أشكركِ كثيرًا.

فريدة: لديّ الكثير من الأسئلة، لكن أعلم أنه ليس الوقت المناسب الآن.

آدم: أجل، لنتحدث في وقت آخر.

فريدة أومأت رأسها بالموافقة، آدم أغمض عينيه ببطء وملامح وجهه بدأت تهدأ، لم يمضِ وقت طويل حتى انزلق إلى النوم، نتيجة الإرهاق الشديد وفقدانه للكثير من الدم.

بعد مرور فترة من الوقت، آدم يفتح عينيه يبدأ في الاستيقاظ، كانت فريدة ما زالت في مكانها تجسو على ركبتها وتسند بكفها على ذقنها.

آدم يهمس: فريدة استيقظي، هناك عدة غرف بالداخل، اذهبي للنوم في إحداها.

فريدة تفتح عينيها في فزع: لا، لا أريد النوم، كيف هو حالك؟ هل ما زالت حرارتك مرتفعة؟

تمد يديها إلى وجنته، تبقيها للحظة ثم تسحبها ببطء لترى الحرارة.

آدم يبتسم بخفة: فتاتي الحنونة أنا بخير حقًّا.

رفع كفها بلطف إلى وجهه يقبل باطنه بعمق، ثم همس بصوت منخفض: هل أُصِبتِ في أي مكان؟

فريدة تهز رأسها بالنفي: أنا بخير، لم يحدث شيء لي.

آدم: جيد، هل يمكنكِ أن تحضري لي بعضًا من الماء؟

فريدة: بالطبع.

نهضت من مكانها بسرعة، أحضرت كوبًا من الماء وعادت إليه بخطوات سريعة.

آدم أخذ الكوب منها، ثم شرب بعض رشفات، بعد أن أنهَى ربتَ على كتف فريدة بلطف: لقد قُمتِ بعمل جيد اليوم طفلتي، أحسنتِ.

فريدة تقهقه بصوت عالٍ، آدم يرفع حاجبه قليلاً بابتسامة: لماذا تضحكين؟!

فريدة: طفلتي!

آدم بابتسامة هادئة: ماذا بها؟

فريدة: لا شيء، بالمناسبة لقد أصبحَت ابتسامتك أكثر رقة.

آدم: فريدة.

فريدة: نعم سيدي؟

آدم بنبرة غريبة مزيج من الفضول والضعف: ما الذي يجعلكِ متمسكة بي؟ كيف دق قلبك من الأساس لشخص مثلي؟

فريدة نظرت إليه بهدوء، ثم بنبرة منخفضة: لا أعلم كيف يمكنني أن أصف إحساسي بالكلمات، لكن كانت النظرة الأولى في عينيك بتلك السوداتين تخبرني أنك شخص معقد، رائحتك الرجولية المختلطة بالسجائر تقول أنك قد تكون مؤلمًا أحيانًا، لكن ليس كل هذا إلا جدار هاشّ يحتاج إلى مَن يحطمه ليرى النعيم أمام عينيه، كان هذا كافيًا لأقع لك من الدقيقة الأولى، والغريب في الأمر أن حتى بعد ما علمت من هو أنت زاد ذلك الإحساس ووقعتُ لكَ أكثر، ظلَلتُ أقول لنفسي أنا لا أهتم، لكن أنا أموت للمسة منك، كل مرة تغادر ينطفئ قلبي لعدم وجودك، لم أستطع الهرب وأصبحتُ عالقة فيك، لكن يعود لك الفضل أنكَ جعلتني أشعر بتحول تلك الأحاسيس إلى إحساس واحد عادي مجرد من المشاعر.

فريدة تستعد لنهوض، آدم يسحبها بقوة من معصمها لتقترب منه أكثر، آدم يقرص شفاهها بالأصبع الأبهم والسبابة بقوة، وبنبرة عميقة: ماذا قلتُ لكِ؟ ألم أحذرك من قبل من تلك الكلمات؟ وأخبرتك إننى سأحرقك إذا كررتها؟ يبدو أنك تحاولين اختبار صبري، لن تستطيعي فريدة.

فريدة في دهشة: لن أستطيع ماذا؟

آدم يقترب أكثر من فريدة: لن تستطيعي نسياني والتخلي عن حبي، لقد أخبرتُكِ.. أنا سيد قلبك.

فريدة: ولكن أنت لا تُكنّ لي المشاعر.

آدم: ولو لم أكنّ لكِ المشاعر، التخلي عني مثل التخلي عن حياتك.

فريدة تبتسم في خبث: إذًا بما أنك مُصِرّ على بقائك في حياتي، فأنت تُكنّ لي المشاعر.

آدم: لا تتحمسي يا فتاة، قد تكون مشاعر كره.

فريدة: الكره أقوى من الحب.

آدم يبتسم ابتسامة واثقة، ثم يجذب فريدة من معصمها لتسقط في حضنه، يحيطها بذراعيه بقوة: اصمتى أيتها الفتاة الشقية.

فريدة تقهقه بسعادة وهي تنظر إلى آدم: فتاة وطفلة! هل

تعرف ما هو عمري؟

آدم: أعرف.

فريدة في تعجب: حقًّا؟!

آدم ينظر إليها بحدة: أنا رجل إذا لفت انتباهه شيء لا يقصر حتى بمعرفة ظله كيف يبدو.

فريدة تبتسم برقة: أنت تفاجئني كثيرًا اليوم، أعلم أن هذا سيء للغاية، ولكن يبدو أن إصابتك كانت في صالحي لأرى كل هذا اللطف.

آدم يرفع حاجبه بابتسامة جانبية، نبرته تمزج بين السخرية والدفء: إذًا تستغلين ضعفي، لا تعتادي كثيرًا على هذا الدلال، إنه مكافأة لك على شجاعتك اليوم، فاللطف ليس من عادتي.

فريدة تقترب من آدم أكثر، وتهمس بجانب أذنه: إذًا دعني أستغل ضعفك وأحصل على مكافأتي كما أريد.

آدم يضحك بخفة: احصلي عليها.

فريدة: هناك شيء تمنيتُ فعله كثيرًا.

تقترب من آدم بجوار عنقه، تستنشق رائحته بعمق، أغمضَت عينيها تغوص في عالم من الأحاسيس، فريدة تفتح عينيها ببطء وتبتسم برقة، بنبرة هادئة: تأثيرها مختلف عن قرب.

آدم تنفس بعمق وهو يشعر بأنفاسها تلامس بشرته، عيناه

تظل متسمرة في وجهها، عقد حاجبيه يناظرها بإعجاب مخلوط بالخبث: هناك شيء آخر، أوليس؟

فريدة تكتفي بالإيماء فقط برأسها، تحرّك أناملها على رقبته ببطء ثم على وجهه، تلمس تفاصيله بعمق ودقة، كانت لمسات ناعمة.

آدم أطلق زفيرًا مهزوزًا: لذيذة.

فريدة همهمت في استفهام.

آدم: إنها لمستك.. لذيذة.

فريدة تقترب منه أكثر، لتصطدم وجنتها بوجنته، تلتحم أنفاسهما معًا ليصبحا كأنهما نفَسٌ واحد، تستنشق فريدة رائحة أنفاسه ببطء.

فريدة بصوت متقطع: اتحاد نفَسِي بنفَسِكَ يخلق بداخلي كهرباء تصعق قلبي بقوة؛ لذا دعني أجرب كهرباء أكثر قوة.

تضع شفاهها على شفاهه، أنفها على أنفه، جبينها على جبينه، ممكسة بيديها الاثنتين مقدمة رأسه، تغمض عينيها ببطء، تأخذ نفَسًا عميقًا، لكنه يخرج متقطّعًا تحاول السيطرة على فيضان أحاسيسها، أنفاسها تصبح عالية وواضحة: هل تشعر بتلك الكهرباء آدم؟

آدم يهمهم بعمق، ثم همس أسفل أذنها بنبرة خشنة:

أتحبيني لهذه الدرجة؟

فريدة أومأت برأسها.

آدم يعض شحمة أذنها، ثم همس بصوت خافت غليظ: تحدثي بصوتك.

فريدة تخفض رأسها بخجل، وجنتاها تشتعلان بلون ورديّ واضح، وبصوت منخفض ومتردد: أنا لا أستطيع السيطرة على ما أشعر به، يبدو أن قلبي قد اختارك رغمًا عني.

فريدة تتنفس بعمق، تضع يديها على الأريكة لتحاول النهوض.

آدم يجذب فريدة بقوة أكبر مفرّقًا بين قدميه لتجلس فريدة بينهما وهو يلف ذراعيه حول خصرها بإحكام، ينظر إليها بعينين مثقلتين بالاهتمام: إلى أين تظنّين أنكِ ذاهبة أيتها الفتاة؟

يقترب من وجهها، يمرر لسانه عليه وصولاً إلى شفاتها، يأخذها في قبلة ناعمة، جذب السُّفلى بهدوء، وامتص العليا ببطء، ليفصل القبلة بمداعبة أرنبة أنفها بأنفه.

آدم يلهث بأنفاس سريعة يحاول السيطرة على نفَسِه، عيناه تلتقيان بعيني فريدة بعمق شديد، يمسح فمه بيده ببطء، ثم يهمس بصوت مبحوح: إذًا ما رأيكِ بهذا المستوى من الكهرباء؟

فريدة تصطف كلماتها بصعوبة بين أنفاسها المخطوفة، وبصوت هادئ متقطع: إنه قويّ وغريب، أحيانًا لا نحتاج الكلمات لتفسير الإحساس، فهي عاجزة تمامًا الآن عن وصف شعوري.

آدم ينظر إليها بثبات وبصوت واثق: فريدة، إذا كنتُ في حياة أخرى ستكونين أنسب امرأة لي، وسأكون الرجل الوحيد الذي يستوطن قلبك.

فريدة تبتسم بحنان، ترفع كفها برفق وتلمس وجنته بلطف: آدم، دائمًا في أي حياة سأتقبّلك بأي وضع مهما كان.

آدم: أنتِ فتاة مطيعة بتمرد، مزيج بين فتاة مراهقة وامرأة بالغة الأنوثة، تُرهقيني كثيرًا، تعجيبني بطريقة لا تعجبني.

فريدة تتنهّد بعمق: أعتقد أن هذا شيء جيد، أليس كذلك؟

آدم يهز رأسه بالنفي: ليس شيئًا جيدًا لكِ، تشبّثكِ بي لن يكسبكِ إلا المعاناة.

فريدة تلتقط أنفاسها، وبصوت خافت: إن كانت المعاناة ثمن بقائي بجانبك، إذًا مرحبًا بها.

آدم يضرب أرنبة أنفها بأصبعه في رقة: عنيدة، هيا اذهبي إلى النوم، فقد كانت ليلة مرهقة لكِ.

فريدة أومات برأسها كجواب، تنهض من على قدميه، وبنبرة

ناعسة: وأنتَ؟ من يحتاج إلى النوم أكثر.

آدم: لديّ بعض المكالمات الهاتفية التي يجب عليّ القيام بها، ثم سأذهب إلى النوم.

فريدة تتجه بخطوات هادئة نحو الداخل، حيث يغمرها شعور بالسلام بعد يوم طويل، عيناها تلمعان بابتسامة هادئة: حسنًا.

آدم بنبرة جادة مرتفعة: فريدة، تذكري دائمًا أنكِ لم ترتكبي خطأ، إنما فقط لم تجدي الشخص المناسب.

فريدة تتوقف للحظة وتبتسم بلطف إلى آدم: لقد وجدتُّ الشخص المناسب وأنظر إليه الآن، تصبح على خير.

وتواصل السير نحو الداخل.

اليوم التالي...

فريدة تستيقظ من النوم، تخرج من الغرفة تبحث في أرجاء المنزل عن آدم: سيدي، أين ذهبت من الصباح الباكر؟

تتفاجأ أمامها برجل ضخم من حراس آدم يرتدي بدلة سوداء رسمية، نظر إليها بابتسامة هادئة: صباح الخير آنسة، لقد طلب مني الزعيم إيصالك إلى الفندق.

فريدة في ارتباك: أهو بخير الآن؟

الحارس يومئ برأسه موافقًا: سوف أنتظركِ حتى تستعدي

بعد ذلك يمكننا المغادرة.

استعدت فريدة للعودة إلى الفندق، خرجَت من المنزل وذهبت في طريقها إلى الفندق بسيارة سوداء عالية جيب، قبل وصولهم إلى الفندق مرُّوا بشارع قريب منه خالٍ من الناس، توقّفَت السيارة فجأة.

فريدة: لماذا توقفنا؟

الحارس الشخصي بنبرة هادئة: من فضلك اخرجي من السيارة.

فريدة في دهشة: ماذا؟! ولماذا؟!

وقبل أن تكمل جملتها فجأة يفتح باب السيارة تجاه فريدة، ويظهر رجل ضخم آخر يشبه الحارس الأول في هيئته، يسحبها بقوة من السيارة ويخرجها بسرعة لدرجة أنها تسقط على الأرض، في اللحظة نفسها تتوقف سيارة أخرى بجانب السيارة الجيب السوداء وينزل منها أربعة رجال آخرون بنفس الهيئة يحيطون المكان.

فريدة في فزع تصرخ بصوتٍ عالٍ: اللعنة عليكم، ماذا تريدون مني؟

الحارس الشخصي: أنا آسف آنسة.

ثم وضع هاتفًا أمام وجهها على مكبر الصوت، ليخرج منه

صوت مألوف: فتاة!

فريدة في حماس: آدم هذا أنت؟ لا أعلم ماذا يحدث، هناك مجموعة من الرجال الذين...

آدم يقطع جملتها وبنبرة قاسية: اسمعي جيّدًا.. أمامك حتى نهاية الأسبوع لترحلي من هنا أيتها اللعنة، بعد ذلك لا تسأليني عن حياتك.

تسيطر علامات الصدمة على ملامحها: ماذا؟! أنت من أرسل هؤلاء الرجال؟

آدم بنبرة حادة: أتمنى أن ينال العرض الذي ستشاهدينه إعجابك.

فريدة تغمض عينيها في حسرة، الدموع تنهمر على وجهها كأنها كانت حبيسة، يجتمع الرجال حولها ويبدأون في ضربها، هناك من يضرب بقدمه وآخر يلكمها في وجهها، فريدة ملقاة على الأرض لا يظهر منها أي رد فعل سوى أن دموعها تتدفق بغزارة.

فى السيارة المجاورة لسيارة الجيب يجلس آدم هادئًا، ثم يأمر الحارس الجالس معه في السيارة بأن يوقفهم.

يفتح آدم هاتفه، محدّثًا شخصًا بنبرة مكهربة: أين أنت بحق الجحيم؟

الطرف الآخر: لقد اقتربت.

آدم بصياح: سحقًا! أسرع أيها اللقيط!

بعد مرور فترة من الوقت كانت فريدة لا تزال في مكانها، ملقاة على الأرض تضمُّ رجليها إلى صدرها والدماء تغطي وجهها، وقلبها ينزف أكثر من جسمها، صعد الحراس إلى السيارة وانطلقت، بينما لم يبقَ سوى السيارة الأخرى التي تحتوي على آدم والسائق فقط.

بسبب صدمتها القوية عجزت عن إبداء أي صوت أو حركة للدفاع عن نفسها.

كان حازم مارًّا، فتوقف في مكانه مصدومًا عندما رأى فريدة ملقاة على الأرض وبقع الدماء تحيط بها من كل جانب، عيناه اتسعتا من الذهول، وجسده تجمد للحظات غير مصدق لما يراه.

حازم يركض نحوها بسرعة، يجثو على ركبتيه بجانبها، وبصوت قلق: فريدة ماذا يحدث؟ هل أنت بخير؟ من الذي فعل هذا بك؟

فريدة تحاول بصعوبة إخراج الكلمات، صوتها ضعيف ومكسور بسبب الألم الشديد: حازم، اصطحبني إلى الفندق أرجوك.

حازم بنبرة حازمة وقلقة: لا، سنذهب إلى المسشفى.

فريدة بتحسر والدموع تملأ عينيها: لا أحتاج إلى مستشفى، فقط نفّذ طلبي من فضلك.

حازم يضع يديه برفق حول خصر فريدة محاولاً مساعدتها على النهوض من الأرض، فريدة تسند ذراعها على كتفه، تتحرك بخطوات مهزوزة، وأرجلها ترتجف ببطء شديد، كل خطوة تبدو وكأنها معركة ضد الألم، عند وصولهما إلى الفندق تجد طبيبًا بانتظارهما في ردهة الاستقبال، حقيبته الطبية بجانبه.

حازم: هيا، فلنصعد إلى غرفتك وسيتصفحك الطبيب هناك.

فريدة والإرهاق مسيطر عليها: كيف أحضرتَ الطبيب وأنت معي طوال الوقت؟!

حازم بصوت مهزوز دليل على التوتر: عندما رفضتِّ الذهاب إلى المشفى حاولتُ التواصل مع أحد معارفي لإحضار طبيب يتفحصك.

فريدة أومات برأسها بلا مبالاة، وقد سيطر عليها الألم والإرهاق تمامًا، كانت حركاتها بطيئة وضعيفة، وكأنها بالكاد تستطيع البقاء واعية.

تصعد فريدة إلى غرفتها بمساعدة حازم، وما إن تصل يبدأ الطبيب في فحصها بعناية وتضميد جروحها.

آدم واقف في حديقة قصره الكبير، أمام مجموعة من الحراس الذين ضربوا فريدة، كانوا جميعًا مصطفِّين في صف واحد بوجوه خالية من التعبير.

آدم يتلقَّى مكالمة هاتفية، ونبرته غاضبة تسيطر عليه بصوت حازم: جيد، كيف حالها الآن؟

الطرف الآخر: بخير.

آدم: كان عليه أن يصطحبها إلى المستشفى دون أن ينصاع لعنادها.

الطرف الآخر: لم يستطِع يا زعيم، على أي حال هي بخير الآن.

آدم ينهي المكالمة، ثم يتجه نحو الحراس ويبدأ في ضربهم جميعًا بعنف، الحراس ثابتون في مكانهم، ينظرون إلى الأرض بينما تتساقط عليهم الضربات، بنبرة مكهربة يصرخ: لقد قلتُ لكم برقة، لمَ كل هذه القسوة؟! لقد أسقطتموها أرضًا أيها الحثالة، فلتشكروا الحظ أنها بخير، وإلا لقتلتكم جيعًا بأبشع الطرق.

آدم يدخل إلى مكتبة ضخمة داخل القصر، مليئة بأرفف الكتب التي تمتد على الجدارن، في المنتصف توجد أريكة من الجلد الأسود، ضخمة بعض الشيء، جلس عليها والعزلة تخيم

على وجهه، فتح هاتفه ليشاهد مقطع فيديو مسجل لفريدة بينما يضربها الحراس، همس بأسف: أنا آسف فتاتي، إنها الطريقة الوحيدة لحمايتك.

آدم ينظر بتمعن إلى ملامح فريدة، ثابتة دون ألم، بينما دموعها المنهمرة تتساقط من عينيها وقطرات الدماء بدأت تتناثر حولها، بنظرة متحسرة وبنبرة حزينة: لا أعلم مقدار الخيبة التي شعرتِ بها، لكن وجهك يجعلني أريد الخضوع لكِ لتنتقمي منّي بكل الطرق التي تتمنينها.

تنهد بضيق، ثم لمس شاشة هاتفه على وجهها، وأضاف: ليتَكِ تعلمين مقدار الألم الذي أشعر به صغيرتي، وكيف أشعر بعجزي أمامك.

أمير واقفًا أمام سرير فريدة، نظر إليها بقلق: فريدة، ألن تخبرينا كيف حدث هذا؟ أو مَن هم هولاء الرجال الذين هجموا عليك؟

فريدة بوجهٍ شاحب وانعصار الدموع بداخلها رافضة بسطها: كم أخبرتُكَ يا أمير، أنا لا أتذكر شيئًا، هيا اذهب ودعني أستريح، فأنا مرهقة كثيرًا.

أمير في تذمر: حسنًا، لكنني سأعود من جديد.

قضت فريدة ثلاثة أيام في غرفتها، رافضة مقابلة شريف

أو التحدث معه، كما رفضت لقاء الجميع أو التحدث مع أي شخص.

في اليوم الرابع استيقظت فريدة من نومها، جلسَت في مكانها في صمت وتنهدت بعمق بعد فترة من الوقت وكأن اليأس مخيم عليها: هكذا يكون شعور الحب من طرف واحد، مؤلم وشائك، لم أتخيل أبدًا أن يكون بهذه القسوة، لكن في نفس الوقت كانت هذه هي المرة الأولى منذ فترة التي أستطيع فيها التنفس بحرية، يمكنني الآن المضيّ قدمًا دون ندم.

ثم التقطَت هاتفها وأرسلت رسالة: صباح الخير شريف، هل يمكننا التحدث اليوم؟

شريف يرد بسرعة: صباح الخير فريدة، هيا استعدي، سأمُرّ عليكِ.

فريدة تنهض للاستعداد وتنظر إلى نفسها في المرآة، والعلامات البنفسجية التي تزيّن وجهها تروي قصة ألمها، تضحك بسخرية: لقد اعتقدتُّ أنني عندما أحصل على هذه العلامات، سيكون السبب شيئًا آخر أكثر متعة.

ترتدي فريدة ملابسها وتنزل إلى ردهة الفندق حيث تجلس في انتظار شريف، مرت فترة من الوقت وهي على نفس الوضع، ساكنة وصامتة، حتى ظهر العقيد شريف متجهًا نحوها بخطوات

ثابتة.

العقيد شريف يقف مصدومًا أمام فريدة، عيناه تتفحصان وجهها الذي تزينه الكدمات البنفسجية بقلق واضح، يرفع كفه ويضعه برفق على ذقنها، يحرك وجهها يمينًا وشمالاً وكأنه يحاول استيعاب مدى الضرر.

فريدة بتوتر واضح تخبئ وجهها بكلتا يديها، وبنبرة خافتة: شريف يكفي، أنا بخير.

العقيد شريف يكبح غيظه، يجزّ على أسنانه بقوة، وبنبرة غاضبة: كيف حدث هذا؟ أين كنتِ؟ ولماذا لمْ تتصلي بي فريدة؟

فريدة بصوت هادئ: حدث ما حدث شريف، حقًّا أنا بخير، لا أشعر بأي ألم.

العقيد شريف بنبرة نادمة: أتمنى أن تعلمي يا فريدة مدى شعوري بالأسف لتوريطكِ في هذه المهمة منذ البداية.

فريدة تبتسم برقة: شريف، مَن منا كان يعلم بما سيحدث؟ لقد تعرضتُّ لمخاطر كثيرة من قبل، ولكن إنها المرة الأولى التي أشعر فيها بأنني أعرقل خطوات الفريق.

العقيد شريف بنبرة جادة: لا تختلقي أفكارًا في رأسك، فريدة أنت تقدّمين إضافة كبيرة للفريق حقًّا، ونجاحك لا يمكن إنكاره.

فريدة بتعب واضح: حسنًا حسنًا، ليس لدي طاقة لخوض أي نقاشات، طلبتُ رؤيتك اليوم لأخبركَ أنني أريد الرحيل، لا أستطيع إكمال هذه المهمة.

العقيد يهز رأسه بيأس، وبنبرة مزيج من التفهم والرجاء: بالطبع، أنا أقدّر حجم الخوف الذي تشعرين به، ما مررتِ به ليس سهلاً عليكِ، لكن هل يمكنكِ الانتظار أسبوعًا آخر فقط؟ حتى نستطيع إيجاد مَن يحلّ محلك، أنتِ تعلمين لو كان الأمر متروكًا لي لكنتُ أرسلتُكِ بعيدًا من زمن طويل.

فريدة أومأت برأسها بالموافقة، وبابتسامة باهتة: أفهم هذا لا تقلق، وأيضًا أشكركَ كثيرًا شريف، لقد سبّبتُ لك الكثير من القلق، وأعتذر على ذلك، سأذهب إلى غرفتي الآن؛ فأنا أشعر ببعض الإرهاق.

العقيد شريف في اهتمام: هل تحتاجين إلى أي شيء؟ يمكنني المساعدة إذا أردتِ.

فريدة تهز رأسها بالنفي: أشكركَ شريف، كل شيء على ما يرام، أراكَ قريبًا.

ثم تنهض متجهة نحو غرفتها.

مضى يومان آخران في هدوء، ظلَّت فريدة على نفس الوضع، لا تخرج من غرفتها إلا إذا ذهبَت مع أمير لشرب القهوة أو تناول

الطعام، كان أمير رفيقها في تلك الفترة، يحاول تخفيف حزنها بقضاء الوقت معها بالخروج والتحدث أو إخبارها بأشياء طريفة تجعلها تضحك.

فريدة وأمير جالسان في مطعم بالقرب من الفندق يتناولان الغداء معًا في هدوء.

أمير بنبرة حزينة: لا أستطيع أن أصدق حتى الآن أنكِ سترحلين وتتركينني بمفردي هنا، لقد ضيعتُ فرصتي في المغادرة من قبل لكي أقضي معك الوقت.

فريدة بصوت مليء بالأسف: أنا أيضًا لا أستطيع تصديق أنني سأرحل، تركك هنا بمفردك يجعلني أشعر بالندم على اتخاذي مثل هذا القرار، وأتمنى لو أستطيع الرجوع عنه، أنا حقًّا حقًّا حقًّا آسفة بشدة على هذا.

أمير: لا تشعري بالأسف فريدة، هذا القرار كان الأفضل لكِ، لقد أصبح وضعكِ أكثر خطورة ولا أعلم السبب، ما هو صعب عليّ ليس رحيلك، بل عدم رؤيتك وقضاء الوقت معك.

فريدة تبتسم بلطف: نعم، عدم قضاء الوقت ورؤيتك مؤلم كثيرًا.

فريدة تتحول ابتسامتها إلى سخرية، تضع كفيها على فمها في دهشة: أمير، أيعقل أنك تشعر بالحب تجاهي؟

أمير يقلب عينيه بملل: آسف فريدة على تخيب ظنك، ولكن أنا لا أميل إلى النساء كبيرات السن.

فريدة في غضب تلكمه في كتفه لكمات متتالية برفق: أيها الأحمق، من هي كبيرة السن؟ سأقتلك الآن في مكانك.

أمير يقهقه بنبرة مرتفعة: حسنًا حسنًا اهدئي، أنا أمزح.

فريدة بنبرة متذمرة: أحمق.

أمير: أنا أشعر نحوكِ بشعورٍ مختلف منذ اليوم الأول الذي رأيتكِ فيه، فبالرغم من حيويتك وحماسك وابتسامك طوال الوقت، إلا أنني أستطيع سماع صراخك من الداخل وكأنك تحتاجين إلى أحد لإنقاذك من تلك العتمة التي تعيشين فيها، لم أجد نفسي إلا وأنا أقرّب منكِ محاولاً إخراجك من تلك العتمة، لكن مع الوقت شعرتُ بالعجز؛ فقررتُ أن أبقى بجوارك وأشاركك الألم حتى وإن كنت لا أعلم عن سببِه شيئًا لتتغير الأدوار، وأدركُ أن الشخص الذي يحتاج إلى الآخر هو أنا، فأنا مَن أحتاجكِ وأنتِ تشاركيني الألم دون أن تعرفي سببه، لقد ساعدتِّ كثيرًا فريدة، فقد هدأ صوت الصراخ بداخلي.

فريدة تتأثر وتمتلئ عيناها بالدموع.

أمير يمسك كف فريدة بكفيه الاثنين: أتمنى أن يشعر قلبك بالسلام الذي جعلتني أشعر به، وأن تنسي كل تلك الذكريات..

المشاعر والأشخاص الذين تسببوا لك بكل تلك الجروح.

فريدة تبتسم وعيناها تذرفان الدموع: أشكركَ على تلك المشاعر الجميلة، وأتمنى لكَ المثل أيضًا.

أمير يمسح الدموع التي ذرفت بأصابعه عن وجه فريدة: يكفي بكاء فريدة.

فريدة أومأت براسها: حسنًا حسنًا، لننهي تلك القصة الدرامية.

أمير: فريدة.

فريدة همهمَت كجواب.

أمير: سأطلب منكِ شيئًا، لكن لا ترفضي.

فريدة أومات برأسها: تحدث.

أمير: فلنذهب للاحتفال اليوم.

فريدة: مجدّدًا؟! أمير لقد دعاني حازم ورفضتُّ.

أمير: لماذا ترفضين؟ إنها أيامك الأخيرة هنا وستغادرين، لماذا لا تخرجين من تلك الحالة الحزينة؟ على العموم لقد أعد حازم كل شيء، سنذهب اليوم؛ لذا رفضكِ لن يمنعك من الذهاب.

فريدة في تذمر: أنا أعرف، لن أنتهي من إلحاحك، حسنًا لندهب أيها الشقي.

أمير في حماس: هذه هي فريدة خاصتي.

عادوا إلى الفندق وبدأوا في الاستعداد.

فريدة في غرفتها فاقدة الحماس للاستعداد والخروج من غرفتها، همسَت لنفسها بحزن: هيا فريدة تحمّسي قليلاً، هذه هي إحدى ليلاتك الأخيرة هنا، استمتعي بوقتكِ.

تبدأ في ارتداء ملابسها، وبنبرة سخرية: أعلم أن ما أتمناه سيء جدًّا، وأنني في هذه اللحظة أكون فتاة غبية، لكن بما أن هذه هي أيامي الأخيرة قبل رحيلي من هنا أتمنى رؤيته ولو لثانية واحدة أودّع فيها وجهه المذيب لمشاعري رغم قسوته.

تنتهي فريدة من التبرج، محاولة إخفاء تلك الكدمات البنفسجية على وجهها وجسمها، فتنجح في إخفاء بعضها، لكن البعض الآخر يبقى واضحًا لم يتأثر بالتبرج، ثم ترتدي فستانًا أسود ضيّقًا من الجلد يبرز تفاصيل جسمها، يصل إلى منتصف فخذها وبدون أكمام، وترتفع بشعرها إلى الأعلى على شكل تسريحة ذيل حصان، تنتهي من استعداداتها وتخرج من غرفتها، ليذهبوا جميعًا إلى الملهى الليليّ.

فريدة: حازم، هذا الملهَى مختلف عن الذي احتفلنا فيه بعيد ميلادي.

حازم بنبرة ثقة: أجل، إنه ملهى مختلف، لكنه أشهر وأفضل بكثير من ذلك، أضمن لكِ قضاء ليلة ممتعة.

فريدة همسَت إلى نفسها: إذًا سأودع أمل رؤيته الليلة،

لقد قتلتَ شمعة الحماس بداخلي يا حازم، كيف ستكون ليلة ممتعة؟

ثم تؤنب نفسها بحزن: أنتِ فتاة سيئة فريدة، كيف لكِ أن تتمني رؤيته بعد كل هذا الألم الذي سببه لك؟!

فريدة تنهّدَت بيأس: الحب، تبًّا للحب، اللعنة عليه.

بعد وصولهم إلى الملهى، بدا الملهَى أكبر حجمًا وأكثر إضاءة، مكوّن من عدة طوابق عجزَت فريدة عن التركيز في تفاصيل المكان بسبب شرود ذهنها، وصلوا إلى الطابق الثاني حيث كانت الطاولة المحجوزة لهم، كان هذا الطابق مخصّصًا للشخصيات الهامة.

أمير في دهشة: حقًّا حازم لقد أصبحتَ ذا نفوذ، كيف لكَ أن تجحز طاولة في مكان مخصص للشخصيات الهامة؟

حازم بتفاخر: لديّ بعض العلاقات التي تساعدني.

فريدة تجلس بصمتٍ دون أن تعلق، حازم يذهب للتجول في المكان، بينما أمير يجلس بجانب فريدة.

أميربابتسامة: هيا فريدة لنستمتع بوقتنا، ما الذي تريدين شربه؟

فريدة: أمير، سنستمتع بوقتنا ولكن بدون إلحاح أرجوك، أريد شرب العصير فقط.

أمير: لكِ هذا يا فتاتي.

فريدة تبتسم بسخرية: فتاتي! لا تناديني بهذا الاسم، لا أريد أن أكرهك.

أمير يخبر النادل بطلباتهم، ثم يسحب فريدة بلطف من يدها لينهضا ويقفا بجوار طاولتهم، يمر الوقت وفريدة تراقب الناس بصمت كعادتها.

فريدة تُصعَق في مكانها عندما يمر صاحب الهيبة المسيطر على مشاعرها بجانبها ويستقر على طاولة بجوارهم، لكن سبب صعقتها لم يكن رؤيته؛ فقد كانت تلك أمنيتها لتلك الليلة، بل تلك المرأة المتشبثة بذراعه.

كان هناك العديد من المدعوين على طاولته، لكن رؤيته بجانبها كانت واضحة لفريدة كما لو أنهما وحدهما على الطاولة، يمر الوقت وفريدة تدّعي عدم الانتباه له، تنظر إلى الجهة الأخرى من الملهى، لكن حين تحرك نظرها نحوه تجد آدم يحدّق إليها، وذراعه تحيط بخصر المرأة الواقفة بجواره، ليقترب فجأة منها يجذبها إليه ويقبل شفتها، وما زال مستمرًّا في التحديق إلى فريدة بنظرات ثابتة.

فريدة نظرت إليه في ثقة، ابتسمَت ابتسامة مزيّفة، ثم نظرت مجدّدًا إلى الجهة الأخرى من الملهى، تمر الدقائق وفريدة

في حالة من الجمود، تفرك أصابع يديها بلا توقف في توتر، تقرر النزول إلى الطابق السُّفليّ تاركة المكان وراءها، جلسَت على كرسيّ بجانب البار، وخلفها ساحة الرقص.

فريدة تنهّدَت بيأس والحزن يسيطر على ملامحها، همست لنفسها: حبكِ كان لعبة خاسرة، لقد خسرتُ فيها مشاعر الحب المتبقية بداخلي، حقًّا لا يكف القدر عن صفعي ليكشف لي في كل مرة نوعًا مختلفًا من الألم.

أمير ظهر فجأة بجانبها: فريدة، ماذا حدث؟! هل أنتِ بخير؟ لم أجدكِ على الطاولة عندما خرجتُ من الحمام.

فريدة أومأت برأسها في صمت، ثم جذبت أمير من ذراعه ليقترب منها أكثر، تضع رأسها على صدره، تغمض عينيها وتترك الدموع تنهمر بحرارة، وبنبرة متهدجة همسَت: مشاعري فقط مرهقة يا أمير.

أمير يحيط بذراعه حول كتفيها بحنان، وهمس بصوت دافئ: أنا هنا من أجلكِ يا فريدة، لن أتركك.

تمر بضع دقائق وفريدة وأمير على نفس الصمت يشاركان لحظة من الراحة وسط الفوضى، فجأة تشتغل أغنية مفضلة لهما، فتضيء ملامح أمير بابتسامة حماسية، ينظر إلى فريدة بعينين مليئتين بالحيوية، ثم يمسك كفها بلطف: هيا لنرقص.

تبتسم فريدة برقة وتترك نفسها لأجواء اللحظة، يبدأ الاثنان بالرقص معًا، أمير يضع كفيه على خصرها بلطف بينما تلف هي ذراعها حول رقبته، ينسجمان مع إيقاع الموسيقى ويتحركان بحماس، في تلك اللحظات شعرَت فريدة بأنّ أمير هو الحبوب المسكنة لآلامها، دائمًا موجود من أجلها.

فريدة تقترب من أذن أمير، وبنبرة صوت مرتفعة: أحبكَ يا صغير.

أمير بابتسامة دافئة: أحبكِ أيضًا فريدة، أنت بمثابة أختي الكبيرة.

فجأة تذعر فريدة عندما تشعر بيد خشنة تمسك معصمها بقوة تسحبها بعيدًا عن أمير، تنظر خلفها بسرعة، لكن لا تلمح سوى ظهره المشدود، تلك الكتلة القوية التي سبّبَت لها الكثير من الألم.

أمير يجذبها من معصمها الآخر بقوة: ماذا تظن نفسك فاعلاً؟

آدم بنبرة مكهربة ضاغطًا على فكيه لتظهر عروق وجهه بشكل مخيف: اسكت أيها الطفل والإ قتلتك.

أمير في نبرة غضب: حقًّا؟! هيا لنرى كيف يمك..

فريدة تقطع كلامه قبل أن ينهي جملته، محاولة تهدئته:

أمير أنا بخير عزيزي، سأذهب لإنهاء بعض الأمور العالقة.

آدم يكمل طريقه ساحبًا إياها بقوة، ليخرجا من المكان.

فريدة تسحب يدها من يده في غضب ،وبنبرة غاضبة تصرخ: ماذا تفعل بحق اللعنة؟ أجُنِنت؟!

آدم يترك معصم فريدة ويلتفت إليها، وبنظرات متكهفرة وفك مشدود: تأدّبي ولا تقولي كلامًا ستندمين عليه لاحقًا.

وقف آدم أمام سيارته السوداء العالية، ويأمر فريدة بفزع واضح في صوته: هيا اصعدي.

فريدة: لن أصعد.

آدم: أنتِ تعلمين أنني لا أكرّر كلامي مرتين.

فريدة تأفَّفت في غضب ودعست بقدمها على بقعة مياه على الأرض: أيّ من كلامي لم تفهمه؟ لن أصعد.

آدم اقترب من فريدة، أمسك بها من مؤخرة رقبتها ودفعها إلى سقف السيارة جازًّا على أسنانه، وبغضب: يبدو أنني كنتُ متساهلاً معكِ الآونة الأخيرة، فجانبي الجيد لا يليق بك.

فريدة بتألم: اتركني.. أنتَ تؤلمني.

آدم يُرخي يده من على مؤخرة رقبتها: اصعدي.

صعدت فريدة إلى السيارة، وساد الصمت بين الطرفين طوال الطريق حتى وصلا أمام الفندق.

آدم بنبرة حادة: انزلي.

فريدة نظرَت إليه في صمت، ثم فتحت باب السيارة بقوة وخرجَت دون أن تنطق كلمة، صعدت إلى غرفتها والغضب مسيطر عليها، لجأت إلى إحدى عاداتها السيئة التي تبغضها وأشعلت سيجارة، مرت لحظات ثم فوجئت بفتح باب الغرفة ودخول آدم الغرفة فجأة، وقف عند الباب يحدّق فيها بعيون غاضبة ومضطربة.

فريدة في دهشة مصحوبة بالغضب: لا أفهمك حقًّا، ما الذي تريده مني؟!

آدم يبتسم في سخرية رافعًا حاجبه: ما هذا الذي في يديك؟ أتدخنين؟! يبدو أنني استهنتُ بكِ حقًّا، ما هذه الوقاحة؟ كيف لفتاة صغيرة أن تدخّن بدون خجل؟

فريدة تفقد السيطرة على أعصابها: يكفي، أنا لست صغيرة، أنا امرأة بالغة، وأيضًا هذا ليس من شأنك، ليس من شأنك أي شيء يحدث في حياتي، وليس لديك الحق في التدخل فيها.

آدم يقترب من فريدة، يمسك بذراعها ويلويه خلف ظهرها: حقًّا؟! وهل المرأة البالغة هنا واعية أن هناك رجلاً كانت يده تتلمّس جسدها الليلة؟!

فريدة بنبرة سخرية: وما شأنك أنت؟! أم تشعر بالغيرة؟

آدم يدفعها نحو الحائط لتصطدم وجنتها به، ينزل يده ممسكًا بخصرها يجذبه بقوة ليقربها منه: اللعنة عليكِ! إذا شعرتُ بالغيرة أقتلكِ وأقتله.

فريدة بصوت مخنوق: أنا أكرهك.

آدم: لقد أخبرَتْني فتاة ذات مرة أن الكره أقوى من الحب.

فريدة تنظر إلى آدم نظرة غاضبة، وتبتسم في سخرية: آدم، أتعلم شيئًا؟ لقد كانت الأيام الماضية قاسية للغاية، لقد شعرتُ بسكين يقطع قلبي إلى أجزاء، ندمتُ على كل ثانية وقعتُ فيها لك، لقد جعلتَني أكره تلك المدينة بكل ذكرياتها، جعلتني أكره جدرانها التي تجمعنا معًا؛ فأصبحَت تضيق وكأنني أختنق، لا أستطيع التنفس ولا أريد قضاء دقيقة واحدة فيها أو بجوارك، أعلم أن كلماتي قد تبدو بسيطة لا تعبّر عن الألم الذي يأكلني من الداخل، لقد اعتقدتُّ أن الحب سيجعلني أشعر بجمال هذه الحياة، ظننتُ أن الجنة ستفتح أبوابها بالنظر إلى تلك السوداوتين، هذا ما كان يبدو عليه الحب في قلبي، وهذا ما كنت أنتظره طوال تلك السنين، لكن كل ما أعرفه الآن عن الحب أنني أستمر في جرح نفسي بشدة، أستمر في كره ذاتي، تجعلني أبكي، تجعل بسمتي تختفي، آدم لقد جعلتني أنفر الحب، كل تلك الأفكار تهرب من عقلي، ولكن هذا ليس كافيًا، هل

هكذا يبدو الحب عندما تحب ما من هو بلا قلب؟!

آدم: أجل، هكذا تشعرين عندما تقعين لشخص بلا قلب مثلي، لقد حذّرتُكِ من قبل، ولكن أنتِ لم تستمعي إليّ، أوليس؟

فريدة طأطأت رأسها في انهزام، وكأن كلماتها الأخيرة قد سلبَت منها كل قوتها، وبصوت مهزوز: أيها الأناني المنفصم! هل تعتقد أن أمرك ما زال يهمني؟

آدم بنبرة حادة: لا تكوني سليطة اللسان.

اقترب منها ممسكًا بذقنها بقبضته، وجعل وجهها يواجهه قسرًا.

فريدة حركت رأسها بتأفف، وبنبرة نفور: لا تلمسني.

آدم اقتطفها من مكانها، حاوطها بجسده واحتجزها بين ذراعيه، تغلغل إلى أعماق أذنِها بفمه هامسًا: سألمسكِ بكل أنواع اللمسات التي عرفَتْها البشرية، البريء منها والآثم، التي يتصورها عقلكِ الصغير والتي لا يتصورها، لا تأمرني فريدتي.

فريدة تنهّدَت بيأس: ماذا تريد آدم؟ لقد كانت آخر كلماتك لي إن لم أغارد من هنا خلال أسبوع ستُنهِي حياتي، لقد حسمتَ الأمر.

آدم طبع عدة قبلاتٍ عميقة على رقبتها: إذا كان قد حُسِم، فما الذي أفعله في غرفتك؟

فريدة: أنا لا أريدك آدم، لقد انتهَت مشاعري تجاهك.

آدم يقترب منها أكثر ويحيط بخصرها، أصبح نفسه يضرب شفتَيها، وبنبرة خشنة: صدقيني لا أحد يملك السيطرة على قلبكِ غيري، ترغبين بي حتى الموت، لمسةٌ مني على جسدك الهاش وتنسين كل ما يدور حولك، أنا سيدكِ فريدة.

فريدة أمسكت بذراعيه محاولة إبعاده، وبنبرة حادة: لا تكُن واثقًا هكذا سيد آدم، فأنت لا تعلم كيف يكون قلب المرأة عندما يُكسَر، سأرحل عما قريب.

آدم يحدق بها للحظات في صمت، ثم يحرك أنامله ليلامس وجهها برقة، يبتسم بلطفٍ، وبصوت هادئ: لقد تأخر الوقت كثيرًا فتاتي، لقد أصبحتِ ملكي، تنتمين إليّ، عندما تكونين مستعدة سأريكِ الجنة داخل الجحيم، ولا تتجرئي على تجاهلي، لقد كان لقاؤنا الليلة مدّبرًا، أردتُّ رؤيتكِ وأردتُّ أن تَريني مع شخص آخر بطريقة تؤلمك حتى تتمكنِي من نسياني بشكل جيد عند رحيلكِ، لكن انقلبَ السحر على الساحر؛ فأنا لا أتحمل رؤيتكِ بجانب أحد، ولا أتحمل رؤيتك تتألمين يا فريدة، لن أدعكِ تذهبين، سأحميكِ حتى آخر نفس لي، يكفيني فقط أن تكوني بقربي.

آدم يقبل فريدة على جبينها بلطف: هيا سأدعكِ ترتاحين

اليوم، سأصطحبكِ إلى الإفطار مبكرًا لنتناوله معًا.

يغادر الغرفة في هدوء.

فريدة بحماس ممزوج بالسعادة والقلق، تضع كف يديها على قلبها: ما هذا؟! لماذا يدق هكذا؟

تهمس لنفسها: اهدئي فريدة، أنتِ لم تسامحيه ولن تسامحيه، إنه يلعبُ بكِ مجدّدًا مثل المرة السابقة.

تستلقي على السرير محاولة تهدئة أفكارها، يصلها إشعار رسالة على هاتفها، تفتحها لتقرأ، آدم: لا تفكري كثيرًا واذهبي إلى النوم لتستيقظي مبكرًا.

ارتسمت بسمة على شفتي فريدة، وثنَت ساقيها وأرجحتهما في الهواء، وبنبرة مرتفعة: ومن قال إنني سأتمكّن من النوم أصلاً؟

تصرخ بصوتٍ عالٍ في أرجاء الغرفة بحماس: لا مانع لديّ إذا كان هذا فخًّا جديدًا.

فجأة تسمع طرقًا على باب الغرفة، تنهض من مكانها لتفتح الباب، لتجد أمير واقفًا أمامها.

فريدة تسحب أمير من معصمه تدخله الغرفة: ادخل صديقي.

أمير في تذمر: ما زلتِ تقولين لي صديقي ونحن اتفقنا على أننا أُخوَة.

فريدة تبتسم برقة: حسنًا، أعتذر أخي.

أمير: أخبريني ما هذا الذي حدث قبل أن تغادري؟

فريدة في توتر: لا شيء، نقاش ناقص كان عليّ إكماله.

أمير في دهشة: وما النقاش الذي يدور بينكِ وبين زعيم مافيا فريدة؟ نحن مكلفون بالمساعدة للقبض عليه.

فريدة في سخرية: أمير، هل تشك فيّ؟

أمير بنبرة جادة: بالطبع لا فريدة.

فريدة: إذًا ما بال ذلك التحقيق؟

أمير: فريدة، إذا كنتُ أشك فيكِ لكنتُ قد أبلغت شريف ولا أحاول التستر عليكِ أمام حازم، الأمر فقط أنني قلقٌ عليكِ، وليس قلقًا عاديًّا، بل أقلق عليكِ بشدة، فما حدث معكِ منذ بضعة أيام والليلة تورطك مع زعيم المافيا آدم، كل ذلك يدعو للقلق الشديد عليك.

فريدة تقترب من أمير وتربتُ على شعره: لا يوجد ما يدعو للقلق أمير، انتظر فقط، وعندما يحين الوقت المناسب سأخبركَ بكل شيء.

أمير: حسنًا، سأنتظر كل الوقت الذي تحتاجينه فريدة، لكن أرجوكِ إذا شعرتِ بشيء مقلق فلا تتردّدي في إخباري.

فريدة أومأت برأسها بالموافقة.

أمير: هيا سأذهب إلى النوم، لقد كان اليوم شاقًّا، تصبحين على خير.

فريدة تبتسم برفق: تصبح على خير أمير، أحلام سعيدة.

يغادر أمير إلى غرفته، وتذهب فريدة إلى النوم.

فريدة تستيقظ مبكّرًا، تبدأ يومها بحماس وسعادة، تقف أمام المرآة تنظر إلى نفسها والبسمة تزين شفتيها، هاتفها ينذر بوصول رسالة فتذهب لقراءتها، آدم: نصف ساعة وسأكون أمام فندقك لاصطحابك.

تضع كفها على فمها في دهشة: هذا وقت طويل جدًّا للانتظار.

تضرب بكفها على رأسها، وتتنهد بعمق: من المؤكد أنه سيصيبني شيء من الحماس.

بدأت في ارتداء ملابسها، ارتدَت تنورة قصيرة واسعة باللون الأسود، وكنزة من الصوف بنفس اللون، وحذاء أسود وجوارب بيضاء تصل إلى منتصف ركبتها، كان شعرها منسدلاً ليصل إلى نهاية ظهرها.

فريدة تصلها رسالة على هاتفها، آدم: انزلي.

فريدة تنظر إلى الساعة في تعجب: ماذا به؟! إنه سيد التأخير، ما هذه الدقة؟! لقد وصل في الوقت، إن هذا الرجل

لا يمزح بحق.

خرجت فريدة لتجد سيارته البوجاتي السوداء تنتظرها أمام بوابة الفندق، كان آدم ممسكًا بعجلة القيادة بيد واليد الأخرى ممسكة بناقل الحركة.

تنتظر فريدة أن يفتح آدم باب السيارة لها، آدم لا يتحرك من مكانه، يُنزِل زجاج النافذة، وبنبرة جادة: هل سننتظر اليوم بطوله؟ هيا اصعدي.

فريدة تهمهم لنفسها في تذمر: يبدو أن انعدام الرقيّ من صفاته.

تفتح باب السيارة وتصعد.

آدم: صباح الخير.

فريدة بنبرة باردة: صباح الخير.

آدم: هل نمتِ جيّدًا؟

فريدة: لتعلم، لم أكن أنوي القدوم، لكنّني أردتُّ معرفة ما الذي تريد قوله.

آدم يدوس مكابح السيارة لتتوقف فجأة مصطدمة بالأرض: أنا لا أريد قول شيء، أردتُّ تناول الفطور معًا، نكمل أم نعود؟

فريدة تصمت لا تعلق، تنظر إلى زجاج نافذتها، آدم يحرك السيارة من جديد، ساد الصمت فترة من الوقت بينهما.

آدم: ماذا بكِ؟ هل أكلَت الهرة لسانكِ، فلستُ معتادًا على هذا الهدوء منك.

فريدة وهي ما زالت شاردة في نفس النقطة التي بدأت منها منذ أن دخلت السيارة على الطريق: ليس لديّ رغبة في التحدث.

آدم: إذًا لنسمع بعض الموسيقى.

يشغل أغنية Criminal.

فريدة يسيطر الخجل على ملامحها، وتضع كفها على مقدمة رأسها لتخفي وجهها.

آدم في سخرية: لكن فريدة، أنا لست فتى محتال كاذب.

فريدة بصوت مهزوز: لِمَ تعتقد أنها تدور عنك؟

آدم: ماذا؟ لا أسمعك.

فريدة بصوتٍ عالٍ: أنا أحب تلك الأغنية، لِمَ تعتقد أنها تدور عنك؟

آدم: ربما لأنكِ تحبّينني وتريني مجرمًا.

فريدة: أنا لا أحبك.

آدم رفع زواية شفته في ضحكة جانبية، ليتحدث بمكر: هكذا إذًا! لا تعلمين ما الذي فعلتِه بي عندما بدأتِ ترقصين بحرية على تلك الأغنية، رأيتُكِ وكأنك تتخيلينني أمامك وتتمايلين في حضني، وقتها أشعلتِ بداخلي رغبة قاتلة لاختطافكِ من

مكانك، حبسُكِ داخل حضني كما تمنيتُ، وتقبيلك حتى تشعري بالاختناق، أضع علامات ملكيّتي على جسدك كله، كي يعرف الجميع أنكِ مِلكٌ لأحد.

فريدة في غضب: ما هذا؟! أتعبث معي؟ أتريد هزيمتي؟ ما الذي تحاول فعله بحق الجحيم؟

فريدة تلمح شبح ابتسامه على وجه آدم، وبنبرة هادئة: أنتِ فُزتِ بالفعل فريدة، فتاة، لماذا تجعلينني دائمًا أكرر كلماتي؟ لن أكون رحيمًا معكِ كل مرة، لقد أخبرتُكِ بالفعل أمس أنّكِ أصبحت ملكي، فما الذي تريدينه مني أكثر؟

فريدة: لا أعرف آدم، منذ بضعة أيام كنتَ تقول كلامًا معسولاً مثل الآن، ثم استيقظتُ بعدها على تهديد منك.

آدم بنبرة صارمة: فريدة، أنا رجل لا يقول الكلام المعسول، عندما يحين الوقت ستفهمين، يكفي حديثنا الآن، لقد وصلنا، أيضًا لا تنسي أنني ما زلتُ سيدك.

تنزل فريدة من السيارة لتجد نفسها في ساحة ضخمة، يتوسطها دائرة كبيرة مرسوم بداخلها حرف H، تنظر يمينًا ويسارًا باحثة عن أي مكان، بنبرة تعجب: سيدي، لا يوجد أي مكان لتناول الطعام هنا.

آدم يحدق إليها بابتسامة تزين وجهه: فتاتي، ألا تعرفين ما

هذا المكان؟

فريدة تهز رأسها بالنفي.

آدم: جيد، ستكون تجربة جديدة لك.

تقف فريدة في مكانها بصدمة عند اقتراب طائرة الهليكوبتر، تهتف بدهشة: ما هذا؟! هل سنسافر؟

آدم: هذا لا يُعدّ سفرًا، سنذهب لتناول الفطور في الشانزليزيه، هناك مكان صغير يقدم أفضل المخبوزات مع القهوة وأردتُّ أن تجربيه.

فريدة تبتسم بسخرية، وهمست لنفسها: مثل ماذا توقعت في تناول الإفطار مع زعيم مافيا؟ بالطبع يجب أن يكون الشانزليزيه.

آدم: هل قُلتِ شيئًا؟

فريدة: لا شيء.

يصعد الاثنان إلى الهليكوبتر، يجلس آدم في مقعد الطيار، بينما تظهر على وجه فريدة علامات القلق، وبنبرة متوترة: ماذا؟! هل ستحلق أنتَ بنا؟

آدم بثبات: نعم، لماذا؟ هل هناك ما يقلقك؟

فريدة: لا، لا، ماذا سيكون مثلاً؟! أنها المرة الأولى لي على هليكوبتر وأنت من سيحلق بنا، كيف لي أن أقلق؟

آدم أطلق ضحكة خافتة: لا تقلقي فتاتي أنا معك، وأعلم جيّدًا عن الطائرات.

حلق آدم بالطائرة حتى وصلا إلى الوجهة المقصودة لتناول الإفطار.

آدم: أستطيع معرفة أنها التجربة الأولى لكِ من هذا النوع، صحيح؟

فريدة: صحيح.

آدم: وكيف كانت فتاتي؟

فريدة: هل أخبرك الحقيقة أم كلمات مجاملة؟

آدم: بالطبع الحقيقة.

فريدة: أشعر أنني أحلم منذ أمس حتى تلك اللحظة، أنتظر استيقاظي لأصطدم بأرض الواقع.

آدم يبتسم برقة، فريدة تشرد في وجهه وتبتسم.

آدم: ماذا؟!

فريدة: لقد رقَّت ابتسامتك مرة أخرى، لتصل إلى قلبي مباشرة، اشتقتُ إليها.

آدم: أنت فتاة مرحة، رجل في عمري يصعب عليه الاستمتاع بالوقت، حتى أنني لا أشعر بمرور الوقت معكِ، هيا لنكمل حديثنا.

فريدة تبتسم بلطف: كُلِّي أذن صاغية.

آدم: هل أنتِ مستعدة؟

فريدة: مستعدة لماذا؟

آدم: لانضمامك إلى حياتي.

فريدة: منذ اللحظة الأولى التي رأيتُكَ فيها.

آدم: هذا ليس بالأمر السهل؛ فأنا رجل لديّ الملايين من القوانين، خروجك دخولك حتى ملابسك، علاقتك بالذكور، عملكِ وكل ما يدور في حياتك سأتدخل فيه.

فريدة تبتسم: أنا امرأة مستعدة لدخول رجل حياتها يفرضُ ملكيته عليها.

آدم: سأرهقكِ بتملكّي، ستفقدين ملكيّتك على نفسك منذ اليوم الذي ستخبريني فيه بأنكِ مستعدة لذلك، فكّري جيّدًا قبل ردك.

فريدة: كلامُكَ يروق لي كثيرًا، يجعلني أنصهر من الداخل.

آدم: وأنتِ لستِ بالفتاة السهلة، فمن يراكِ يجدكِ بريئة لطيفة غير مؤذية، لكن كلّما سنحَت لكِ الفرصة تفرضين سيطرتك بكل قسوة على الجميع ببراءتك ولطفك، بما فيهم أنا، هيا لنذهب فإنّي لديّ عمل.

يغادر آدم وفريدة، لتهبط الطائرة في نفس المكان.

آدم: سنذهب إلى البيت لأغيّر ملابسي، ثم سأوصلك بعد ذلك إلى فندقك.

فريدة أومأت برأسها بالموافقة.

تقف السيارة أمام قصر ضخم.

فريدة في دهشة: هل هذا هو البيت الذي تقصده؟

آدم: أجل.

فريدة تزداد على وجهها علامات الدهشة: يا إلهي! يبدو فخمًا للغاية.

آدم: أيعجبك؟

فريدة ما زالت تنظر في الأرجاء لاكتشافه: أكثر مما تتخيل.

آدم: إذًا مبارك عليكِ.

فريدة تهمهم بعدم فهم: ماذا؟!

آدم: لقد أصبح ملكك.

فريدة تقهقه بصوت يملأ المكان: يبدو أن هناك من يحتاج إلى تعلم المزاح.

آدم يجذب فريدة من خصرها يقربها منه، يُسرّح خصلات شعرها المبعثرة بسبب الهواء، ثم يضعها خلف أذنها: هل أبدو لكِ رجلاً يمزح؟

فريدة تهز رأسها بالنفي.

تعانقَت أعينهما في نظرة حارة، يقترب آدم من فريدة أكثر: إذًا عندما أتحدث لا تسخري من كلامي، أيضًا لا تنظري إليّ بتلك الطريقة؛ فهي تحرّك بداخلي جزءًا ميّتًا لا أريد له أن يتحرك، مفهوم؟

فريدة أومأت برأسها كجواب.

آدم يربت على شعرها: فتاة جيدة، استخدمي لسانك في الرد عندما أحدثك، هذه المرة الأخيرة التي سأستخدم فيها اللين لتحذيرك، حسنًا؟

فريدة: حسنًا سيدي.

آدم: هيا اذهبي لاكتشاف قصركِ الجديد حتى أغير ملابسي.

فريدة: لكن آدم لا أستطيع قبول هدية مثل هذا القصر.

آدم: لقد طفح الكيل، يبدو أنني سأضطرّ إلى عقابك.

شدد قبضته حول عنقها حتى انقطع عنها الهواء، كانت نظرته خالية من الغضب؛ لذا لم تخف فريدة، فجأة امتص شفتَيها بإغراء، ثم بدأ يرخي قبضته عن عنقها، وتنهّدَ بضيق: لا أريد أن أكون قاسيًا في عقابي مع فتاة بريئة مثلك، هل تعلمين بمَ أخطأتِ؟

فريدة بحواس مخدرة ونبرة هامسة: أجل سيدي، لقد جعلتُكَ تكرر كلماتك، ونسيتُ أنك سيدي.

آدم: جيد، كنت واثقًا بأنك فتاة ذكية تتعلم بسرعة.

ذهب آدم إلى غرفته بعد دخولهما إلى القصر، جلست فريدة في خجل على أريكة ضخمة في ردهة الاستقبال الخاصة بالقصر، كان القصر يتبع الطابع الفيكتوري.

بعد مرور وقت قصير نزل آدم من غرفته على الدَّرَج الذي يتصل بالدور الثاني للقصر، حيث كان القصر يتكوَن من عدة طوابق.

ارتدى آدم بدلة سوداء أنيقة: هل جعلتُكِ تنتظرين لوقت طويل؟

فريدة تهز رأسها بالنفي، وظلت تحدق بآدم بإعجاب.

آدم في تعجب: ماذا؟!

فريدة: لا أحتاج وقتًا كافيًا أكثر، وأنا مستعدة.

آدم: أنا لا أتراجع في كلامي فريدة، وأنت خير من يعلم بذلك، بمجرد قبولك علاقتنا فليس هناك خروج إلا في حالة موت أحدنا.

فريدة: هل سمعتني أقول بأنني أريد الخروج؟

آدم: لا.

فريدة: إذًا لا تُلقي أحكامًا مسبقة سيدي.

آدم تلين ملامح وجهه: تجذبِيني إليكِ في كل دقيقة أقضيها

معكِ، هيا فريدتي لنوصلكِ إلى فندقك قبل ذهابي إلى العمل.

يخرج فريدة وآدم من القصر ويصعدان إلى سيارته السوداء العالية.

فريدة في سخرية: كم سيارة سوداء تملك؟

آدم: لا أتذكر فتاتي، أظن أن كل سياراتي سوداء.

فريدة تهمهم كرد.

آدم يتحدث إلى الحارس الجالس في الأمام: سنوصل السيدة إلى فندقها أولاً.

يتحرك سائق السيارة.

فريدة تنظر خلفها وعلامات الدهشة تملأ وجهها إلى السيارات الأخرى من نفس الفئة واللون التي تحركت وراءهم، وهناك سيارتان سبقتهم إلى الأمام.

آدم ينظر إلى جهازه اللوحيّ يراجع جدوله لليوم: لا تفزعي، يجب أن تعتادي على هذه الصورة.

فريدة أومأت برأسها بدون تعليق.

مر الوقت وآدم ما زال مركّزًا على جهازه اللوحيّ، بينما كانت فريدة شاردة في آدم، تتأمّله بدقة لفترة طويلة.

آدم يحمحم: هل ستستغرقين وقتًا أطول في تأمّلي هكذا؟

فريدة تهمهم لتخرج من شرودها: أعتذر.

آدم التقط ذقن فريدة بلطف: لا يوجد ما يدعو إلى الاعتذار فريدتي.

فريدة تمتلئ عيناها بالدموع.

آدم في لهفة: ماذا حدث؟ أهناك شيء أزعجك؟

بدأت دموع فريدة تتساقط: أنا لا أستطيع تصديق هذه اللحظة، أنا بجانبك في سيارتك، تناولنا الفطور معا، أيضًا أنت وسيم حد الموت، وبدلتك الرسمية وتركيزك في العمل يجعلانك مثيرًا، تدفع أقوى أنثى في الكون لتصرخ باسمك، حتى تلك العروق البارزة في كفّكَ تقودني إلى الجنون.

ثم أجهشت بالبكاء ويدها تعتصر يده.

قهقه آدم بصوت عالٍ: إذًا لماذا أنتِ حزينة؟ ما سبب تلك الدموع؟

فريدة بصوت متقطع: أنا فقط متأثرة.

قلص آدم المسافة بين وجهيهما حتى لامس أنفه أنفها، تحركت أنامله بلطف على وجهها، يمسح بقايا الدموع عن بشرتها، عيناه تتمايلان بين عينيها وشفتيها، اجتذبها نحوه يضمها بحرارة، واضعًا رأسها على صدره، راح يمرّر يده بحنان على طول شعرها، ونقر على ذقنها بسبابته بلطف، وبنبرة هادئة: لا أريد لهذه الدموع أن تلامس وجهكِ مرة أخرى، حسنًا؟

فريدة أومأت برأسها، قهقه آدم مرة أخرى.

فريدة: ماذا هناك؟

آدم: إنها المرة الأولى التي أسمع فيها غزَلاً يفيض بالجرأة من امرأة مصحوبًا بكل تلك الدموع.

فريدة تبتسم في خجل: أنت رجل يستحق الغزل.

وصلوا أمام الفندق، كانت فريدة غارقة في سبات عميق، مستندة برأسها على صدر آدم بنفس الوضعية بين ذراعيه، في المقعد الأمامي التفت الحارس نحو آدم قائلاً بصوت منخفض: لقد وصلنا يا زعيم.

كانت السيارات تصطف في صف منتظم خلف سيارة آدم، رفع آدم سبابته نحو شفتيه مشيرًا للحارس أن يلتزم الصمت، وهمس: ششش لا ترفع صوتك.

بعد فترة اقترب آدم برفق من أذن فريدة، وهمس: فريدة.

فريدة فتحت عينيها ببطء، ثم نهضت بسرعة من بين ذراعيه متلعثمة: أعتذر، لقد غفَوْت.

نظر إليها آدم، وبنبرة هادئة: لا تقلقي فتاتي، لديّ اجتماع هام عليّ حضوره، إلا أنني كنتُ سأبقى معكِ طوال الوقت الذي تحتاجينه.

فريدة نظرت إلى ساعة هاتفها لتصدم: ماذا؟! غفوتُ كل

هذا الوقت؟! أنا آسفة حقًّا، لقد جعلتك تنتظر وتتأخر عن مواعيدك.

ابتسم آدم بهدوء وهو يمرر يده ليرتب خصلات شعرها ويعيدها خلف أذنها: لقد قلتُ لكِ لا تقلقي، ما زالت مواعيدي بخير، هيا لقد وصلنا إلى فندقك.

قهقهت فريدة بسخرية: لقد سمعتُ هذه الكلمة كثيرًا هذا اليوم، هذا ليس فندقي، أنا فقط أعيش هنا.

آدم ابتسم ابتسامة خبيثة: لا، هذا فندقك.

فريدة في دهشة: لا أفهم.

آدم بنبرة جادة: أعتقد أنني نسيتُ أن أخبركِ بشيء فريدة، تلك الليلة التي قضيتُها في غرفتك، كنت هناك لأن صاحب الفندق كان يرفض بيع المكان؛ لذا أرسلتُ رجالي للتفاوض معه، بينما قررتُ أن أنتظر في غرفتكِ تحسبا إذا احتاج الأمر تدخّلي شخصيًّا.

نظرَت فريدة إليه بدهشة: وما علاقة هذا بي؟

آدم في برود: هذا الفندق رسميًّا ملككِ؛ لذا أعتقد أنّ تسميتي إياه فندقكِ لم تكن خطأ؟ أوليس؟

فريدة في صدمة: هل تتحدث بجدية الآن؟

آدم: فريدة، كيف لي أن أتركِ في فندق مثل هذا بدون

أمان؟ صدّقيني.. إن لم يكن غريبًا بعض الشيء وكان بإمكانى نقلكِ إلى مكان آمن لكنتُ أصبحتُ أكثر سعادة وطمأنينة، لكنني أعلم أن هذا لا يجوز في ظل تلك الظروف التي جمعتنا؛ لذلك كان هذا هو الحل الوحيد.

فريدة في إحراج: لكنني لا أحب هذا النوع من الأمور.

آدم يقطع كلامها ووضع سبابته على شفتيها: شش لن نتناقش الآن في هذا الموضوع، سنكمل حديثنا عند عودتي، أنا متأخر، هيا انزلي.

فريدة تنهّدَت بضيق: حسنًا.

تنزل من السيارة وتذهب إلى غرفتها، تقضي فريدة باقى اليوم في التجول مع أمير في شوارع المدينة.

تتلقَّى فريدة مكالمة فيديو، وتجيب عليها.

تفاجأت ليلى بوجود فريدة وأمير معًا في إحدى المقاهي يشربان القهوة المثلجة مع قطعة من كعك الشوكلاتة.

ليلى بغضب مصطنع: أيها الخاسران، أنتما تستمتعان بوقتكما بدوني!

فريدة وهي تتناول قطعةً من الكعك: كثيرًا أيتها الغيورة، أليس كذلك أمير؟

أمير: هل أُخبرُها فريدة؟

فريدة في سخرية: لا يمكنكَ أن تقول يا أمير، قد تموت من الصدمة.

ليلى: ماذا يا أمير؟ ماذا؟ هيا أخبرني، ما الذي تخفينه عني فريدة؟!

فريدة: حسنًا حسنًا، بما أنك مُصرّة، أخبرها يا أمير.

امير: لقد ذهبنا أمس إلى ملهى ليليّ كبير ومشهور للغاية، وبحجز طاولة في طابق الشخصيات الهامة.

ليلى في غضب تصرخ: ماذا؟! هل ذهبتما إلى الاحتفال بدوني أيضًا؟! وبطاولة للشخصيات الهامة! اللعنة عليكما وعلى الأصدقاء.

قهقه فريدة وأمير بصوتٍ عالٍ.

فريدة: اهدئي صديقتي العزيزة، فنحن لم نستطع الاستمتاع بالوقت من دونك، حتى أنني رحلتُ في بداية الحفلة.

أمير في سخرية: أجل، لقد غادرت سندريلا مبكّرًا مع مجرمها.

فريدة تنظر إلى أمير نظرة حادة في تحذير.

ليلى في تعجب: ماذا يعني هذا؟

ابتسم كلٌّ من فريدة وأمير في توتر، فريدة بصوت مهزوز: إنه أمير يا ليلى، يتحدّث بلا معنى.

ليلى: أعلم أعلم صديقتي، متى ستعودين؟

فريدة: من المفترض خلال أربعة أيام.

ليلى: لماذا من المفترض؟ هل حدث شيء جديد؟

فريدة تلوِي شفتيها في حزن: لم يحدث شيء، لكنني لا أريد العودة.

ليلى: هكذا فجأة؟ لقد كنتِ تقاتلين من أجل العودة.

فريدة: أعلم، لكن لا أريد ترك هذا الصغير بمفرده، أقلق.

ليلى: هيا أيتها الكاذبة، أخبريني أنكِ تستمتعين بوقتكِ هنا؛ لذلك لا تريدين العودة.

فريدة تبتسم في سخرية: لقد كشفتِني.

يمر الوقت والأصدقاء الثلاثة يتحدثون عبر الهاتف، يمزحون ويتشاركون الأخبار معًا حتى ينتهوا من المكالمة ويعودون إلى الفندق.

فريدة تمضي باقي ليلتها في غرفتها والقلق مسيطر عليها: لماذا لم يتصل بي طوال اليوم؟ هل أظهرتُ له مشاعري أكثر من اللازم فخاف وهرب، أم أنه سيفعل مثل المرة السابقة ويتركني؟

بغضبٍ شديد بسبب كثرة الأفكار التي تدور في رأسها: حقًّا، إنه شخص مريض بالانفصام، وأنا لن أعطيه فرصة أخرى مرة ثانية.

تمر لحظات ثم ينذرُ هاتفها بوصول رسالة، آدم: فتاتي، أعلم

أن يومك كان جيّدًا واستمتعتِ به، لقد غادرتُ البلد ليومين في عمل هام، سأرسل لكِ رقم المساعد الخاص بك، إذا كنتِ بحاجة إلى شيء فاتصلي به فقط، أراكِ عند عودتي.

تصل رسالة أخرى من آدم برقم المساعد.

فريدة: أصبحتُ أعلم أن قلبي قد يتوقف في أي لحظة من الآن.

ثم تصيح في حماس: لم يتركني وأخبرني أنه سيغيب لمدة يومين.

يمر اليومان دون أحداث تُذكَر حتى نهاية اليوم الثاني، فريدة تستعد للنوم، تلتقط هاتفها وترسل رسالة إلى آدم: أعلم أنك مشغول في عملك، لكن أردتُّ فقط الاطمئنان عليك.

ثم تبعث برسالة أخرى: أيضًا اشتقتُ إليك.

تنتظر فريدة لبعض الوقت ردًّا على رسالتها، لكنه لا يرد، فريدة ترفع شفتها في استنكار وتتمتم: أيها المغرور، إنه خطئي لأني انتظرتُ ردك كل هذا الوقت.

ثم تذهب إلى النوم.

عند الساعة الثانية بعد منتصف الليل تستيقظ فريدة على صوت طرقٍ على باب غرفتها، تنهض والنعاس غالب عليها، تفتح الباب لتتفاجأ بآدم يقف أمامها، تتسع عيناها في دهشة،

ثم تغلق الباب بسرعة في وجهه.

هتفت فريدة في صدمة: آدم!

دلّكَت صدرها بيدها، وقلبها ينبض بجنون، تحاول تهدئة نفسها، ثم تفتح الباب مرة أخرى.

آدم يقف في ثبات: مرحبًا، أيمكنني الدخول؟

أخرجَت فريدة رأسها للخارج تتفحص المكان بحذر، ثم سحبته من معصمه إلى الداخل، دخل آدم الغرفة بينما أغلقت فريدة الباب سريعًا خلفه.

آدم: لا تقلقي، لن يعلم أحد بوجودي هنا، فأصدقاؤكِ نائمون.

كانت علامات الدهشة والذهول ما زالت تملأ وجه فريدة: ماذا تفعل هنا؟ ماذا حدث؟ ألم تكن مسافرًا للخارج؟

آدم بنبرة واثقة: أجل، لكن كيف يمكنني التخلّي عن فتاتي وتركها مشتاقة لي؟!

تفحصت فريدة هيئته بلهفة وارتجفت شفتها السفلى، بينما تلعثمت في الكلام: ماذا؟! أقطعتَ رحلتكَ لأنني أخبرتُكَ أنني مشتاقة لك؟

آدم: إلغاء بعض الاجتماعات صباح غدٍ لن يضر مقابل تلبية رغبة فريدتي في رؤيتي.

امتلأت عينا فريدة بالدموع وشعرت بالحرارة تملأ محجريها.

آدم: فريدة، هل أنتِ على وشك البكاء؟

تحاول فريدة كبح دموعها.

وضع آدم يده على ظهر فريدة والأخرى على قفا عنقها، ثم ضمها إلى صدره بحرارة وبلطف: يكفي فتاتي إنّكِ حقًّا حساسة للغاية.

طوّقَت فريدة خصره بذراعيها ودفنت وجهها في صدره، وهمست بصوت مبحوح: لا أعلم لماذا أُصبِح حساسة إلى هذا الحد عندما يتعلق الأمر بك؟!

آدم: هيا، لنجلس فريدتي.

جلس آدم على الأريكة أشعل سيجارة، بينما كانت فريدة تجلس أمامه، نظر إليها: هيا أخبريني.. كيف قضيتِ اليومين الماضيَين بدوني؟

فريدة: لا شيء يذكر، أمضيتُ الوقت مع أمير في التجول في المدينة، حقًّا إنها المرة الأولى التي أقصّر فيها في عملي، لكن المهمة انتهَت بالنسبة لي، فلقد طلبت استقصائي.

آدم ينفث دخان سيجارته ببطء، ناظرًا إلى فريدة بتمعن: لماذا؟!

فريدة في تهكم: بربك لماذا؟!

اعتدل آدم في جلسته مائلاً بجسده نحوها، وبنبرة جدية:

فريدة، هذا شيء عليك معرفته، أنتِ لا يمكنك إيذائي، لا أنتِ ولا أحد من فريقك، إلحاحي المستمر عليك بالمغادرة بسبب خوفي عليك.

فريدة تتنهد: أعلم أنه لا يمكن لأحد منّا إيذائك، لكنني كنت أعتقد أن طلبك لمغادرتي كان لأنك تمقتني بشدة، وليس بسبب قلقك عليّ.

آدم ينفث نفَسًا عميقًا من سيجارته، ثم ينظر إلى فريدة بعينين حادتين، يطفئ السيجارة في المنفضة، وبنبرة هادئة: كان هذا في البداية، قبل أن أراكِ، كرهتُكِ بشدة لدرجة أنني أردتُّ قتلك.

فريدة: وماذا حدث؟

آدم: لا تنسي ما قلتِهِ لي من قبل، الكره أقوى من الحب، ولكن عندما يتحول الكره...

فريدة تضيق عينيها وهي تنتظر آدم ليكمل حديثه، ليحل الصمت.

فريدة بنبرة حازمة: أجل، عندما يتحول الكره إلى ماذا؟

آدم ترتفع زاوية فمه بمكر: يتحول إلى أي إحساس آخر عدا الكره، يصبح مشتعلاً لا ينطفئ فريدة.

فهمت فريدة رغبة آدم في تغيير سياق الحديث، لتغيره هي:

حسنًا، لماذا كنتَ تكرهني من قبل أن نعرف بعضنا البعض؟

آدم يكزّ على أسنانه وتبرز عروق وجهه يبدو أنه يحاول كبح مشاعره: إنه وجهك يذكرني بامرأة، تمنيتُ لو أراها مرة أخرى.

فريدة: كانت حبيبتك؟

آدم يرفع عينيه نحوها ببطء، وبنبرة قاسية: أنا بلا قلب فريدة، لا يمكنني أن أحب؛ لذا لم أمتلك حبيبة يومًا، كانت الخائنة التي أشعلَت النار في قلوب الكثيرين منهم أنا.

فريدة تنظر إليه في صمت لبضع ثوانٍ، وبنبرة عميقة: كيف؟ ولماذا تريد رؤيتها مرة أخرى؟!

آدم بصوت منخفض مليء بالغضب: أريد رؤيتها مجدّدًا لكي أحرقها مرة أخرى.

فريدة في اندفاع: هل أحرقتها؟

آدم في ثبات: حتى آخر شعرة فيها.

فريدة: ما...

آدم يقطع كلامها في صياح، بصوت مرتفع: يكفي فريدة.

فريدة تتنهّد في ارتباك: أنت حقًّا متمسك بماضيك.

آدم: اقتربي.

فريدة تقترب منه ببطء، آدم يرتفع بيده ليمسك بكفها ويقربه إلى وجهه يقبّل باطنها بعمق، ثم ينظر إليها وبنبرة

حنونة: أنتِ خائفة مني؟

فريدة تهز رأسها بالنفي.

آدم يراقبها بعينيه وهو يمسك يدها: إذًا لمَ ترتجفين؟ لا تخافي فريدة، أعدكِ بأني لن أؤذيك طالما ما زلتُ أتنفس.

فريدة: أعتذر، فما حدث في المرة الأخيرة ما زال عالقًا في ذاكرتي ويخيفني.

آدم بصوت منخفض: صدقيني، ما حدث كان فقط من أجل سلامتك، لو تعلمين بماذا شعرتُ وقتها، تمنيتُ أن أقطع كل يد لمستك ووضعها عليك، أو كنتُ مكانك لأتحمل كل الضرب، شعرتُ أمامك بالعجز.

ينظر إليها آدم بجدية وعيناه مليئة بالأسى: فريدة، إنها المرة الثانية في حياتي التي أشعر فيها بهذا العجز.

فريدة تهز رأسها وتبتسم بلطف: حسنًا، لننس الموضوع.

آدم: جيد، حدثيني قليلاً عن ذلك أمير الذي تقضِين معظم وقتكِ معه، وحدود علاقتك به، ومن هم أصدقاؤك المقربون؟

فريدة تقضي باقي ساعات الليل في الحديث مع آدم عن حياتها وأصدقائها، بينما كان آدم قليل المشاركة في الحديث، مستمعًا جيّدًا لها.

آدم بنبرة هادئة: هيا اذهبي لتستريحي، لقد أطلتِ السهر

اليوم، سأرحل عندما تنامين.

فريدة تومئ برأسها بالموافقة، تنهض من على الأريكة وتذهب إلى السرير، ثم تعود مرة أخرى في تردد: أيمكنني الحصول على عناق أخير؟

آدم يبتسم بلطف وبنظرة دافئة: كل ما تتمناه فتاتي.

آدم ينهض من مكانه ويقترب من فريدة، ثم يحيط خصرها بذراعيه، فريدة تشبك يديها حول عنقه، وتضع وجهها على صدره.

آدم: هل اشتقتِ لي إلى هذا الحد؟!

فريدة: أكثر ما تتخيل.

ترفع رأسها عن صدره لتواجهه؛ فتجد عينيه تحدقان فيها بلهفة.

فريدة في تعجب تحدق في عينيه بعمق: أيعقل أن تكون قد اشتقت إليّ؟

آدم يدفن وجهه في تجويف عنقها، يتنهّد بعمق، ويخرج أنفاسه الساخنة على نسيج جلدها، فريدة يقشعر بدنها.

آدم بنبرة خشنة هامسة: ماذا تعتقدين؟

ثم لمست شفاهه عنقها طبع عليها قبلات متقطعة ورطبة، فريدة ينقبض حاجباها وتحتضن ذراعيه اللتين تحيطان خصرها

بقوة، آدم يمتص عنقها مُحدِثًا صوت تمطُّقٍ بينما يتنفس بحرارة على جلدها.

آدم بصوت هادئ، يبتعد قليلاً عن عنقها وينظر إليها: أتمنى أن يكون هذا جوابًا كافيًا لسؤلك.

فريدة تهمهم: حسنًا، سأحسبه كافيًا حتى الآن.

آدم يبتسم بخبث وهو يراقبها أثناء ذهابها إلى السرير: فتاة شقية.

فريدة تذهب إلى النوم، بعد أن يتأكد آدم من أنها نائمة يرحل بهدوء.

آدم في سيارته، يلتقط هاتفه لإجراء مكالمة: أخبرني آخر المستجدات، هل ما زال يراقبها؟

الطرف الآخر: نعم يا زعيم، وأيضًا...

ويصمت في تردد.

آدم بقلق متزايد، ينهره قليلاً: وأيضًا ماذا؟

الطرف الآخر بصوت منخفض مُحمَّلاً بالتوتر: لقد اجتمع الزعيمان ووضعا خطة لقتلها بعد علمهما أنها تحت حمايتك؟ كما زاد عدد المراقبين عليها.

آدم يغمض عينيه في شرود، غارقًا في أفكاره.

الطرف الآخر بصوت متردد: زعيم، أما زلتَ هنا؟

آدم يفتح عينيه ويجيب بنبرة قاطعة: حسنًا.

وينهي المكالمة.

آدم بنبرة مشتعلة تدل على غضبه الشديد: اللعنة عليك يا شريف، واللعنة عليّ أيضًا.

فريدة تستيقظ على ضجيج الهاتف وتستقبل مكالمة مفاجئة.

فريدة بنبرة ناعسة: صباح الخير.

العقيد شريف في سخرية: صباح الخير في منتصف النهار! يبدو أن لدينا امرأة أطالت السهر.

فريدة تنظر بسرعة إلى هاتفها لقراءة الساعة، لتصدم عندما تجدها الرابعة منتصف العصر، وبنبرة تعجب: يا إلهي؟!

العقيد شريف يبتسم: كيف حالكِ فريدة؟

فريدة: أنا بخير، ماذا عنكَ؟

العقيد شريف: أنا بخير أيضًا، لقد عُدِّلَ موعد عودتك، رحلتك غدًا في العاشرة مساء.

فريدة تنهّدَت بيأس: حسنًا.

العقيد شريف: ماذا حدث؟ لماذا اختفى الحماس منكِ؟ أليس هذا ما كنت تريدينه؟

فريدة بصوت خافت محاولة إخفاء مشاعرها: لا شيء، أنا

فقط مستيقظة للتو، هيا سأنهي المكالمة الآن، حتى أبدأ في جمع أغراضي.

العقيد شريف بنبرة لطيفة: حسنًا فريدة، إذا احتجتِ إلى شيء أخبريني.

فريدة بنبرة ودودة: أشكرك كثيرًا يا شريف.

تنهي فريدة المكالمة وما زالت في مكانها على السرير، هامسة لنفسها بتذمر: لماذا الآن؟! لماذا؟!

تضع كفها على وجهها في صراخ: لماذا؟

تقطع لحظات تحسرها رنين هاتفها منذرًا بوصول رسالة جديدة، تقرأ الرسالة، آدم: صباح الخير يا فتاة، أعلم أنكِ استيقظت الآن، سأتركك حتى التاسعة لتودّعي أصدقائك، ثم سنتناول العشاء معًا بعد ذلك.

فريدة في ذهول: كيف علم أنني استيقظتُ الآن؟ هل يراقبني؟ وأيضًا عَلِم بسفري! ما هذا الرجل؟ هل هو الرجل الوطواط أم ماذا؟

تقوم فريدة من مكانها، تبدأ في فتح حقائبها ووضع ملابسها بداخلها، بعد قضاء فترة على هذا الوضع، فريدة تتذمّر بملل: يكفي! لقد مللت، أحتاج إلى شرب القهوة، أين صديقي العزيز أمير؟

تخرج من غرفتها متجهة إلى غرفة أمير، تطرق الباب وبصوت مرتفع: أمير! افتح الباب، أين أنت؟ هيا صديقي العزيز.

يفتح أمير الباب وتبدو على وجهه علامات النعاس.

فريدة في تعجب: ما زلتَ نائمًا حتى الآن؟!

أمير يقترب منها ويبعثر شعرها بيده، وبنبرة سخرية: أتعتقدين أن كل الفريق مثلك؟ تتخلِّين عن العمل وتقضين إجازتك؟ لقد استيقظتُ في الصباح الباكر لحضور اجتماع مع شريف وأعضاء الفريق الجديد.

فريدة في تذمر: أيها الأحمق! إذا عبثت بشعرى مرة أخرى سأقتلك.

أمير: ماذا تريدين أيتها المزعجة؟

فريدة: ألست أختك الكبيرة؟ كيف تجرؤ على مناداتي بالمزعجة؟ هيا ارتدِ ملابسك لنذهب لشرب القهوة، غدًا موعد رحلتي.

أمير بنبرة سخرية: أعلم، ويا لَه من شعور بالراحة!

أشاحت فريدة وجهها وتقلب عينيها بضجر: هيا أيها المتذمر، أنا بانتظارك في الردهة.

تمضي فريدة في طريقها نزولاً إلى الأسفل أثناء نزولها، يصلها إشعار برسالة على هاتفها، آدم: لا أحب أن يلمس أحد ممتلكاتي،

هذا تحذيري الوحيد والأخير.

فريدة تتوقف لثوانٍ، تتأمل الرسالة بذهول وشيء من الحيرة، تنقر على الهاتف ترسل رسالة: ماذا تقصد؟! فأنا لم ألمس أي من ممتلكاتك.

آدم يرد برسالة: غبية.

فريدة في عبوس: لماذا أنا واقعة لمتسلط؟

فريدة تنزل إلى الردهة تنتظر أمير حتى ينتهي من تبديل ملابسه، ويذهبا إلى خارج الفندق في إحدى المقاهي القريبة منه لشرب القهوة.

فريدة في حزن: لا أصدق أن اليوم هو آخر يوم هنا لي، لقد اعتدتُّ الحياة هنا، كيف يمكنني العودة؟!

أمير يربت على شعرها في مواساة: لا تحزني فريدة، سأعود إليكِ قريبًا، ونبدأ بصنع ذكريات جديدة؛ فهذه البلد تفتقر إلى الحياة من الأساس، ذكرياتنا معًا هي من جعلتها دافئة.

فريدة أومأت برأسها في موافقة ومحجرها امتلأ بالدموع: حسنًا، أعلم أن وجودك في أي مكان سيجعل المكان يعج بالحياة.

أمير يقترب من فريدة يجتذبها إلى حضنه: فريدة، أرجوكِ لا تبدئي في البكاء؛ فدموعكِ ثمينة جدًّا عندي، أنا أحبكِ كثيرًا وسأفتقد وجودك.

فريدة تفصل الحضن، وتنظر إليه بابتسامة: أنا أيضًا، حاول أن تعود سريعًا، هيا لنذهب، لديّ شيء يجب أن أقوم به.

أمير يرفع حاجبه باهتمام: وما هذا الشيء؟

فريدة بإغاظة: هذا ليس من شأنك.

تصل رسالة إلى هاتف فريدة، آدم: لقد تجاوزتِ حدودك، ولم تنتبهي إلى تحذيري، ستكون عقوبتك قاسية.

أمير يقترب منها محاولاً النظر إلى شاشة الهاتف، فريدة تخفي الهاتف سريعًا على صدرها، وتضربه على مقدمة رأسه بيدها الأخرى، وبسخرية: ماذا بك؟! أيها المتطفل!

أمير في استنكار: فريدة أصبحَت ملكة الأسرار، ما الذي تخفينه عني؟

فريدة تبتسم بمكر وتكمل سيرها: ليس من شأنك أمير.

أمير يلحق بها: هيا فريدة، أخبريني والإ سرقتُ منكِ الهاتف واكتشفتُ بنفسي.

فريدة: حسنًا، سأخبركَ بدون تهديدات.

أمير أومأ برأسه في انتظار فريدة، وبقلة صبر: هيا فريدة تحدثي.

فريدة: أعتقد أنني أُكنّ المشاعر لأحدهم.

تسير بخطوات سريعة واسعة قريبة إلى الركض.

أمير في دهشة مصحوبة بسعادة: ماذا؟! انتظري، أخبريني من هو؟ ومتى حدث هذا؟ وكيف؟

أمير يسحب فريدة من معصمها: توقفي، هيا أخبريني بكل التفاصيل، لا تفجري قنبلة وتختفي من الأرجاء.

فريدة تبتسم في خجل: سأخبركَ بكل شيء عندما أتاكد من مشاعر الشخص الآخر.

يعود الاثنان إلى الفندق، فتسرع فريدة بالصعود إلى غرفتها لتبديل ملابسها، ترتدي فستانًا أسود طويلاً من القطن بحمالات رفيعة، وفوقه سترة جلدية سوداء تناسب الطقس الذي أصبح يميل إلى البرودة بسبب الخريف، تفردُ شعرها على طول ظهرها، وتنتعل حذاءً رياضيًّا أنيقًا، تتأمل نفسها أمام المرآة بتفاخر، وهمست لنفسها بابتسامة: لماذا أصبحتُ أكثر جمالاً، أهذا بسبب الحب؟

تضع لمسة أخيرة من أحمر الشفاه، ثم تخرج من غرفتها وتنزل، أمام الفندق تجد سيارة سوداء فاخرة بنوافذها الداكنة في انتظارها، تشعر بالحماس يملؤها وهي تصعد إلى السيارة بابتسامة مشرقة.

ينطفئ حماس فريدة عندما لا تجده في السيارة، كانت السيارة تحتوى فقط على السائق وأحد الحراس الشخصيين.

فريدة: أين السيد آدم؟

الحارس الجالس بجانب السائق في هدوء: في انتظارك سيدتي.

فريدة بإيماء ونبرة متقلبة: حسنًا.

بعد مرور الوقت تصل السيارة أمام ميناء ضخم، تنظر فريدة إلى سيارة سوداء فاخرة أخرى تقف في زواية قريبة، لتدرك على الفور مَن بداخلها، ترتسم على وجهها ابتسامة مختلطة بحماس واضح، فتسرع بالنزول من السيارة متجهة نحو السيارة الأخرى.

الرجل ذو الهيبة والعينين السوداوين يترجّل من السيارة، ممسكًا بيده عصا سوداء أنيقة، مقدمتها مصنوعة من الذهب بشكل نسر وعيناه من الذمرد الأخضر، يتجه بخطوات واثقة نحو فريدة.

فريدة والابتسامة لا تزال مرسومة على وجهها، تنظر إلى العصا بدهشة: ماهذه التحفة التي في يدك؟

آدم بغموض ونبرة حادة: سيكون لكِ رأي آخر عندما تعرفين في ماذا ستستخدم.

فريدة في تعجب: في ماذا؟

آدم: هيا لندخل.

تسير فريدة بجانب آدم، تحاول مسايرة خطواته الواثقة

والموزونة على الأرض وكأنه يحسب كل خطوة بدقة، يصلان إلى مرسى يصطفّ فيه عدد كبير من السفن مختلفة الأحجام والأشكال، لكن جميعها بلون موحد أسود.

فريدة: أي منها خاصتك؟

آدم بنبرة واثقة: جميعها.

فريدة بدهشة: ماذا؟!

آدم يشير إلى إحداها: لكن هذه ستكون مضيفتنا لهذه الليلة، فهي المفضلة عندي.

يمسك بمعصم فريدة بلطف ليساعدها على الصعود إلى السفينة، كانت السفينة متوسطة الحجم مكونة من طابقين وسطحها مصنوع من الخشب البنيّ الداكن، تزيّنها مجموعة من المصابيح ذات إضاءة خافتة تضفي عليها أجواء هادئة، بينما يسيطر اللون الأسود على تفاصيلها، مما يزيدها أناقة وغموضًا.

فريدة تصعد السفينة يتبعها آدم بهدوء، يقف الاثنان على حافة السفينة، حيث تحيط بهما ليلة هادئة تلفها نسائم البحر، السفينة بدأت بالتحرك لتشق مياه البحر تحت ضوء القمر المكتمل الذي ينير سطح السفينة بألق ساحر.

فجأة يحرك آدم العصا السوداء نحو فريدة ويضربها بها على ذراعها.

فريدة في ألم ودهشة: لماذا؟!

آدم يكرر الضربة مرة أخرى هذه المرة بقوة أكبر، آدم بصوت صارم: ما الذي أخبرتكِ به اليوم؟

فريدة تنكمش عينيها في ألم، وبصوت مرتجف: ما الذي أخبرتني به؟

آدم يقترب منها، يحرك رأس العصا صعودًا ونزولاً على طول كتفها بنبرة جادة: ألا تتذكرين كلامي؟ هذا له عقاب آخر.

يضربها مجدّدًا برأس العصا؛ مما يجعل الألم مضاعفًا.

فريدة بغضب تصرخ: توقف آدم، أنا أتذكر كلامك ولكن لم أفهم ما علاقته بهذا.

آدم بأصبعيه الإبهام والسبابة، يقبض على ذقن فريدة بينهما، لمسة لا تحمل العنف بل السيطرة، لمسة تشبه إعلان ملكيّته عليها، آدم بنبرة جادة وعيناه تراقبانها بتركيز: لقد لمسَكِ صديقك اليوم مرتين، مرة قبل تحذيرك ومرة بعدها، بل لقد احتضَنتما بعضكما اليوم.

فريدة لا تتحرك وتبقى صامتة بينما يضغط آدم على ذقنها، فهى تعلم أن مقاومتها ستكون عبثًا، ثم تبتسم برقة: أهذا ما أعاقب عليه؟

آدم يجز على أسنانه بغضب، فتبرز عروق وجهه: أتبتسمين؟

أتعتقدين أن هذا شيء بسيط يُحلّ بابتسامة؟ لا تنسي كلماتك لي فريدة، لقد قلتِها بنفسك.. امتلكني، إذًا أنتِ ملكي، وستسيرين على منهجي، لا يحق لأحد لمسك أو الأقتراب منكِ، لا يمكنكِ تصور الطرق التي تخيّلتُها في رأسي اليوم لعقابك.

فريدة تتنهد، ثم تبتسم بخجل: حقًّا أنا أعتذر، لم أكن أعلم ماذا تعني رسائلكَ اليوم، أعدك بأن هذا لن يتكرر ثانية.

آدم بنبرة جادة: جيد، لا تريدين العقاب مرة أخرى، أو تريدين؟

فريدة تومئ برأسها برفق بنبرة مترددة: لا أريد.

آدم بصرامة وهو يقترب منها قليلاً، ينظر إلى عينيها مباشرة: تذكّري أيضًا، مَن يجرؤ على لمسك سيموت بأكثر الطرق الوحشية، وسأكون أنا فاعلها.

فريدة: حسنًا.

فريدة تأوهت تمسك بذراعها في ألم: لقد آلمتَني بشدة، كيف لك أن تكون قاسي القلب هكذا؟

آدم بنبرة هادئة: فلتشكريني فريدة، أنا لم أطبّق عليكِ أي طريقة للعقاب، وكان هذا مجرد مزاح.

فريدة في سخرية: وياله من مزاح!

فريدة تمد يدها تلمس يد آدم برقة، آدم يلتفت ببطء إليها،

نظرتُه كانت أكثر حدة، فريدة تسحب يدها بسرعة.

آدم: أنتِ مُعاقبة، لا يحق لكِ لمسي يا فتاة.

فريدة في يأس: حسنًا.

يذهب الاثنان إلى سطح السفينة.

بعد لحظات من الصمت، فريدة في تردد: يمكنني سؤلك؟ كيف علمتَ بما دار اليوم؟

آدم: عندما ينتهي عقابكِ سأخبرك.

آدم ينزل الطابق الأول ليجد طاقم السفينة ويوجّههم لإعداد العشاء، في هذه الأثناء تقف فريدة على حافة السفينة، شاردة الذهن، ثوبها الأسود الطويل ينساب مع حركة الرياح وشعرها يرفرف بخفة مع نسيم البحر، عيناها تركزان على الأفق وكأنها تحاول الوصول إلى أعماق أفكارها.

تخرج من شرودها فجأة عندما تشعر بيد تحيط خصرها بقوة، تتنهد بعمق وتسند رأسها على كتف آدم الذي كان يقف خلفها.

آدم بنبرة هادئة: لماذا كل هذا الحزن؟ فأنا لم أعاقبكِ بما يكفي.

فريدة تبتسم بحزن: أيمكن أن ينتهي عقابي اليوم؟ وتسمح لي بلمسك؟

آدم ينظر إليها للحظة بصمت، ثم يومئ برأسه موافقًا.

آدم بصوت عميق: أخبريني لماذا أنتِ حزينة؟

فريدة تأخذ نفسًا عميقًا، تمد يدها ببطء وكأنها تخشَى أن تفسد اللحظة، تضع كفها بلطف على خد آدم وأطراف أصابعها تلامس بشرته الخشنة بحنان، آدم لا يُبدِي أي رد فعل واضح، لكن عضلات فكّه تسترخي بشكل لطيف، استطاعت فريدة ملاحظتها، يبقَى كفها على خده لثوانٍ طويلة وكأنها تحاول أن تنقل له مشاعرها دون كلمات، أرادت أن تظهر له أنه بالنسبة لها ليس مجرد رجل خطير، بل رجل يمكنه أن يحب بقوة.

آدم ينظر إلى عينَي فريدة بعمق، ثم يهمس فجأة بنبرة عميقة: سحقًا!

فريدة في تعجب: ماذا؟!

آدم بصوت منخفض: لا يروقني هذا.

فريدة تهز رأسها باستفهام: ماذا فعلت؟

آدم ينظر إليها وبنبرة جادة: تلك النظرة فريدة، تلك النظرة التي تنظرين بها إليّ.

آدم يبتعد عنها قليلاً، ثم يجذبها من ذراعها برفق: تعالي لنجلس يا فتاة، لنتحدث قليلاً.

يتجه بها نحو طاولة خشبية موضوعة على سطح السفينة،

يجلسان معًا.

آدم بنبرة جادة: فريدة، كما أخبرتكِ من قبل.. أنا رجل بلا قلب لا يشعر بالحب، لذا أنا لا أستطيع أن أعدكِ بشيء، أشعر بالراحة لوجودك لكنني لا أعتقد أن هناك ما يمكن أن يكون أكثر من ذلك، سنقضي الوقت معًا، سأحميكِ وأعتني بكِ وأحقق لك كل ما تتمنينه، ولكن لا أكثر من ذلك ولا أقل، في المقابل لن يكون لكِ الحق في سؤالي عن وجهتي أو مع مَن أقضي وقتي أو أي شيء يخص حياتي الخاصة، والتي لا ينبغي لكِ معرفتها، ستبقين معي وأحقق لكِ جميع أحلامك، بشرط أن لا يكون وجودكِ مصدر إزعاج لي.

فريدة تعقد حاجبيها في دهشة، تنظر بعيدًا للحظة، ثم تعود لتنظر إليه مرة أخرى، تبتسم بسخرية: ماذا؟ أتعتقد أن الأشياء المادية تهمني؟ حقًّا؟! وجدتُّ في كلامك إهانة، أظل بجوارك فقط لأنك تشعر بالراحة بوجودي؟! أيحق لكَ معرفة تفاصيل حياتي ومحاسبتي على مَن أقضي وقتي معه بينما أنتَ تقضي وقتك في أمور لا أعلم عنها شيئًا؟

ثم تنظر إليه مجدّدًا في دهشة مصحوبة بالسخرية: أنت جاد فيما تقول؟

آدم ينهض من مكانه، يتقدم نحو فريدة بخطوات ثابتة ونبرة

هادئة لكنها حازمة: أنا رجل عمليّ فريدة، وأعرف جيّدًا أنك لستِ ممن يهتمون بالمادة، لكن لكل شيء في هذه الحياة ثمن، وهذا الذي تعلمته، وأيضًا هذا ما أستطيع أن أقدمه لك.

يميل بجسده نحوها، يسند مرفقه على الطاولة أمامها ويخفض صوته بنبرة جادة: أنت واقعة لي يا فريدة، واقعة بشدة، وجودك بجوارى سيجعلك ترين الجزء المظلم منّي، ذلك الجزء الذي سيساعدك على كرهي ونسياني، وهذا في نهاية المطاف لمصلحتك.

يعدل وقفته وينظر إليها نظرة باردة قبل أن يبتعد بخطوات بطيئة: ماذا كنتِ تظنين أنني أعني بكلمة امتلاكي لكِ؟ ألم أخبركِ أنني سأكون المتحكم الأول والأخير في حياتك؟ وأنتِ اخترتِ البقاء.

يتوقف لبرهة، يلتفت إليها بنظرة مشحونة بالاستفزاز: أكانت موافقة الأطفال عند رغبتهم بالحصول على شيء؟ أترينَنِي مجرد مزحة أمامك؟

فريدة في استنكار: لا، ولكن ما تقوله ليس عادلاً.

آدم: أنا لم أخبركِ أنه عادل فريدة.

فريدة تصمت لفترة طويلة من الوقت، تفكر بعمق، ثم تخرج من صمتها: موافقة.

آدم وقد انتبه إلى كلمتها يرفع حاجيبه في دهشة: موافقة؟!

فريدة أومأت برأسها بالإيجاب بثبات: نعم، لقد راقني الجزء الخاص برؤية الجانب المظلم منك، حتى أستطيع كرهكَ ونسيانك.

آدم في بتعجب: حقًّا؟ لم يمر الوقت الكافي، ولم تري الظلام منِّي بعد، وأنتِ تريدين أن تكرهيني من الآن؟ يبدو أن الوقت معي سيمر بسرعة إذًا.

فريدة تهز رأسها بلا تعليق، بينما يبدو على ملامحها الغضب المكبوت.

يعود آدم إلى مكانه، يجلس بهدوء على الطاولة يخرج علبة سجائر فاخرة، يشعل واحدة، وتتصاعد أمامه سحابة بيضاء من الدخان، يحدّق إلى الفراغ بصمت، بنبرة هادئة: فريدة.

فريدة تهمهم كجواب.

آدم بغضب: استخدمى لسانك يا فتاة، لماذا لستِ مطيعة؟

فريدة بنظرة ساخطة: أجل، وأيضًا تُعدّ الهمهمة كلمة استخدمت فيها لساني.

آدم يعلو فمه شبح ابتسامة: ممتعة.

آدم بنبرة جادة: أريدكِ أن تستقيلي من عملك.

فريدة تنهض من مكانها بانفعال، تتحرك بخطوات متوترة

نحو الخلاء، تقف لوهلة ثم تستدير نحو آدم بعينين مشحونتين بالعتاب: هذا ما لا أستطيع قبوله أبدًا.

آدم بنبرة هادئة حازمة: لماذا؟ في ماذا ستحتاجين الوظيفة؟

فريدة تتنهد: آدم، هذا ليس مجرد عمل بالنسبة لي، إنه جزء منّي، النتيجة التي أحققها فيه هي ما تعطي حياتي معني.

آدم بنظرة متعجبة: معنى؟! هل هذا المعنى يستحق المجازفة بحياتك؟ هل تفهمين أنني أخاف عليك؟

تقترب فريدة منه بخطوات واثقة، تتحدث بثبات: أفهم خوفك آدم، لكن خوفك يحجب عنك حقيقتي، أنا لستُ ضعيفة كما تعتقد، أنا أقوى من أن يحدّد الخوف حياتي، أنا لست متهورة، أعرف تمامًا ما أفعله، أستطيع حماية نفسي؛ فأنا لستُ طفلة، بل امرأة قادرة على اتخاذ قراراتها بنفسها.

ينهض آدم من مكانه، يتجه نحو فريدة، ويطلق ضحكة ساخرة قبل أن يجتذبها بقوة من خصرها ليجعل وجهها مقابل وجهه: حسنًا، دعيني أفكر، أجل أنتِ لستِ متهورة في أن تجلسي مع زعيم مافيا حاول إيذاءكِ من قبل على سفينتِه الخاصة في المحيط الواسع، بعيدًا عن أى عين تراقبكما ليس تهورًا، أوليس؟

احمرت وجنتا فريدة من الخجل، لكنها حافظت على هدوئها

وبثقة: لقد وثقتُ بكَ وصدقت كلامك.

رفع آدم حاجبه باستهزاء، وابتسم بسخرية: هل يمكن لشخص مثلكِ أن يثق في شخص مثلي؟

ثم أخرج آدم سيجارة أخرى وأشعلها، تاركًا دخانها يملأ الفراغ بينهما، وبنبرة حادة: خطأ فريدة، خطأ عظيم يمكن أن تقعي فيه هو أن تثقي بأي شخص.

أخذ نفسًا عميقًا من سيجارته: أنا شخص لا يستحق الثقة، وأنتِ وثقتِ بي مرة وأنت تعلمين نتيجتها، وها أنت للمرة الثانية التي تثقين فيها، هذا هو المعنى الحقيقي للتهور.

فريدة تبتسم ببرود: أنا أثق بحدسي آدم، فكما أخبرتني أن ما حدث المرة السابقة كان من أجلي وكم أنت نادم على هذا، لذا لم أكن مخطئة في ثقتي بك منذ البداية.

نظر آدم إلى فريدة بجدية وهو يقول بنبرة حازمة: حسنًا لننهي هذا النقاش، سأسمح لكِ بالعودة إلى العمل لكن بشروطي، أولاً إجازة إلزامية مدتها ثلاثة شهور ستبتعدين خلالها تمامًا عن العمل، أسبوع واحد فقط تقضِينه هناك، ثم ستعودين إلى هنا لقضاء باقي إجازتك معي، كل ما أطلبه منكِ يُنفَّذ دون نقاش خلال فترة وجودك هناك، وأخيرًا ستخضعين لتدريب مكثف منّي لتعلم كيفية الدفاع عن نفسك.

اقترب منها قليلاً، وأكمل بنبرة صارمة: حتى ذلك الحين ستكونين حرة بالعودة إلى عملك مرة أخرى، ولكن ليس قبل أن أطمئن أنكِ قادرة على حماية نفسك.

تأملها للحظة منتظرًا ردها.

فريدة بدون تردد: موافقة.

آدم يبتسم بهدوء بعد أن لاحظ استسلام فريدة للاتفاق: إذًا، لقد أصبح كل شيء واضحًا الآن، هيا لنذهب لتناول العشاء.

يتجه الاثنان إلى الطاولة، يجلس آدم أولاً، مشيرًا لفريدة بالجلوس قبالته.

ترتسم على شفتي فريدة ابتسامة واسعة، بينما تدخل قطعة من اللحم إلى فمها، تغلق عينيها للحظة قصيرة تستمتع بالنكهة التي تذوب في فمها، ثم تفتح عينيها مجدّدًا وعلامات الرضا بادية على وجهها: لذيذ ورائع بمعنى الكلمة.

آدم: أعجبكِ الطعام؟

فريدة: كثيرًا، كثيرًا.

آدم بنبرة فخر: الطاهي الذي أعدَّ هذا الشعاء يعد من أمهر الطهاة في العالم، أحضرتُه خصّيصًا اليوم لإعداد العشاء لنا.

تبتسم فريدة في سخرية: متى يمكننا أن نعيش لحظات بسيطة عادية؟

آدم يرفع حاجبه وبنبرة جادة: أكثر من ذلك؟ نحن على يخت يا فتاة، ولسنا نتناول العشاء على المريخ!

فريدة تبتسم: جيد أن تناول العشاء على المريخ مستحيل، وإلا لكنتَ حجزتَ موعدنا القادم هناك.

يضيق آدم عينيه بمرح، قبل أن يبتسم بلطف: كيف يمكن لفتاة مثلكِ أن تجعلني أبتسم؟ الوقت معكِ ممتع أكثر مما أتصور.

تنظر إليه فريدة بحدة: أنا لست فتاة، أنا امرأة.

يومئ آدم برأسه مبتسمًا: حسنًا، امرأة فريدة.

فريدة: سيدي، هل تحب اللون الأسود؟ أجد دائمًا أن كل شيء تمتلكه باللون الأسود.

آدم وهو يضع قطعة أخرى من الطعام في فمه: الأسود هو لوني، لا أستطيع تخيّل لون آخر في حياتي، أعتقد أنه اللون الوحيد الذي يعبر عنّي.

فريدة تهز رأسها في إيماءة خفيفة: فهمت.

يسود الصمت بينهما للحظات، وكل منهما ينشغل بتناول طعامه، تكسر فريدة الصمت فجأة بسؤالها: لم تخبرني كيف علمتَ بما حدث اليوم؟

يرد آدم وهو يتناول قطعة طعام أخرى: أنا أرى كل تحركاتك

من لحظة استيقاظك حتى لحظة نومك.

فريدة في ذهول: ماذا؟! أتضع حرَسًا لمراقبتي؟

آدم بنبرة ثابتة: صحيح، لكن ليس في غرفتك بالطبع، غرفتُكِ تحتوى على كاميرات مراقبة.

فريدة تقذف ما في فمها هلعًا، ليخرج المشروب من أنفها، آدم رفع كأسه ويتناول مشروبه بهدوء، فريدة تنفثُ أنفاسها المختنقة تحدق بذي الهيبة بصدمة، بينما ينظر إليها بهدوء.

آدم بنبرة جادة هادئة: هل انتهيتِ؟ اهدئي، أنا لستُ ذلك النوع من الرجال، أضعكِ تحت عيني فقط وليس لأيّ غرض آخر، لم أُرِد أن أخبرك منذ البداية حتى لا تشعري بالتوتر، لكن بما أنها ليلتكِ الأخيرة هنا توجَّبَ عليّ إخبارك.

فريدة تنهدت بيأس: حقًّا أشعر أنّني أفقد السيطرة على حياتي الآن.

آدم ينظر إليها بثبات: وماذا كنتِ تعتقدين؟ أنها مزحة؟ هيا لننتهِ من العشاء بعد ذلك تذهبين لترتيب أغراضك والحصول على بضع ساعات من النوم؛ فطائرتك في الصباح الباكر.

فريدة تهزّ رأسها بالنفي: لا، موعد رحلتي غدًا بعد منتصف الليل.

آدم وهو يضع كأسه على الطاولة: الطائرة التي ستقلكِ

ستكون غدًا صباحًا، ليس لي شأن بموعد الرحلة الذي حدّده عملك.

تهمهم فريدة بضيق وبنبرة سخرية: بالطبع، كيف يمكنني السفر في الرحلة التي تم تحديدها بدون موافقتك! لا بُدّ أن أسافر في الرحلة التي اخترتَ موعدها أنت.

آدم يرمقها بحدة وبنبرة صارمة: فريدة، توقّفي، هل ستتذمّرين بشأن كل شيء؟ عن ماذا تحدثنا؟! كل خطوة أقوم بها هي لحمايتك، لا أحبّذ السفر في الليل؛ فالليل صديق كل جريمة.

فريدة بسخرية: مَن تذمَّر؟ أسمعتَ أحدًا يتحدث حتى؟

آدم بنفس النبرة الصارمة: اقتربي.

تنهض فريدة من مكانها ببطء، تستقر واقفة أمام الكرسيّ الذي يجلس عليه آدم، ينهض من مكانه يقترب منها بخطوات ثابتة، ثم يقرصُ من وجنتها برقة، وبنبرة هادئة: ماذا قلتُ لكِ؟ ألم آمرك بالتوقّف عن التذمر؟ لماذا لا تكونين فتاة مطيعة؟

فريدة بهمس وبنبرة مرتجفة تدل على التوتر: أنا فتاة مطيعة.

يتنهد آدم بعمق بالقرب من أذنها: كم يعجبني بشدة تأثيري عليكِ، ولو بمجرد قربي منك.

ثم يميل برأسه ليقبّلها بلطف قبلات خفيفة على جبينها، ثم

على أنفها وصولاً إلى شفتيها في قبلة قوية ورقيقة في آنٍ واحد متلهفة، بينما تتحرك يداه تتجوّلان على أركان جسدها بحركة لا تخلو من شعور الامتلاك.

فريدة تصل أمام الفندق بعد أن ودّعها آدم وتتجه إلى غرفتها، تبدأ في جمع أغراضها استعدادًا للرحلة في الصباح، ثم تذهب للنوم، ولكن فجأة تتذكّر كلام آدم عن كاميرات المراقبة الموجودة في غرفتها، تنهض من مكانها بسرعة وتبدأ في تفحص أرجاء الغرفة بعناية.

تصل رسالة إلى هاتفها بعد دقائق من البحث، آدم: فلتخلدي إلى النوم فتاتي، لن تجديها، اطمئني أيضًا.. سأذهب إلى النوم الآن وأُطفِئ هاتفي.

تحدّق فريدة في الرسالة بسخرية، تنظر حولها في الغرفة وتهمس: حقًّا؟ أهكذا يجب أن أشعر بالطمأنينة لأنك ستذهب إلى النوم ولن تراقبني؟

تتنهد وتعود إلى السرير، تحاول تهدئة أفكارها وتغلق عينيها ببطء، في صباح اليوم التالي يرن منبه الهاتف، لتستيقظ فريدة وهي تشعر بالإرهاق، تنهض من السرير ترتدي ملابسها بسرعة، وتغلق حقائبها، تتوجّه إلى غرفة أمير تطرق الباب لتوقظه، تودّعه وتخبره بتغير موعد طائرتها حيث أنها ستذهب إلى المطار

الآن، وعليه أن يخبر الآخرين بذلك عندما يستيقظون، لا تريد إزعاجهم في هذا الوقت المبكر.

فريدة تخرج من الفندق تحمل حقائبها، لكن سرعان ما يقترب منها الحارس الشخصيّ ويحمل عنها الحقائب، تتفاجأ بوجود ثلاث سيارات سوداء فاخرة تنتظرها وليس سيارة واحدة كما اعتادت.

فريدة في تعجب: ماذا يحدث؟! لماذا كل هذا الحرس الشخصي ؟

الحارس الشخصيّ بنبرة رسمية: إنها تعليمات الزعيم سيدتي.

تومئ فريدة برأسها: حسنًا لنذهب.

تنطلق السيارات معًا في موكب منظم، حتى تتوقف أمام مطار يبدو غريبًا بالنسبة لها، فريدة تهمس إلى نفسها: هذا المطار هادئ بشكل مبالغ فيه، هل هو دائمًا هكذا؟ لا أعلم؛ فهذه المرة الأولى لي هنا، فقد وصلتُ بالقطار سابقًا.

تنزل فريدة من السيارة تتّبع الحراس الذين يحطيون بها بحرص، حتى تقف أمام طائرة ضخمة سوداء على المدرج.

تنفجر فريدة في ضحكة ساخرة: دعني أخمّن، هل هذه الطائرة الخاصة بالسيد آدم؟

أومأ الحارس برأسه بالموافقة في جدية: أجل، إنها طائرته

الخاصة سيدتي.

فريدة ترفع حاجبيها بسخرية: بالطبع هي كذلك، كيف يمكن أن تكون غير ذلك، سأسافر بطائرته الخاصة.

الحارس الشخصيّ: أجل سيدتي.

فريدة: إنّ ثراء هذا الرجل سيجعل قلبي يتوقف يومًا من كثرة الحماس.

بينما كانت تستعد للرحلة، لاحظت أن جميع الحراس صعدوا معها على متن الطائرة، نظرت حولها في دهشة: هل سيسافر كل هؤلاء الحراس معنا؟

الحارس الشخصي في جدية: إنهم حراسك سيدتي.

فريدة أومأت برأسها كجواب، وهمست إلى نفسها بنبرة ساخرة: وكأن أحدهم يعلم بوجودي في الحياة غير عشرة أشخاص فقط، وربما يكون العدد أقل حتى من ذلك، لكن لا بأس، فلتوظِّف جيشًا كاملاً لتأميني آدم.

بعد مرور بضع ساعات هبطت الطائرة بخفة على مدرج مطار خاص، مع توقف الطائرة نزل اثنا عشر حارسًا ضخمًا، جميعهم يرتدون بدلات رسمية داكنة ونظارات سوداء، وقفوا بجانب السلم بانتباه كامل، وعيونهم تراقب كل حركة حول الطائرة، فريدة تبدأ في النزول من السلم، الحارس الشخصيّ

الخاص بها يسير بجانبها كظلها، تتوقَّف لبرهة وتنظر إلى الحرس المصطفين بتعجب: هذا كله من أجلي؟

الحارس الشخصيّ: أجل، من أجل حمايتك سيدتي.

فريدة تضع كفها على فمها في ذهول، وبحماس: يا إلهي! هل أصبحتُ شخصية مهمة الآن؟!

تلمح ابتسامة خفيفة ترتسم على وجه الحارس الشخصيّ الذي يسير بجانبها، تجد ثلاث سيارات فاخرة في انتظارها تمامًا كما كان الحال في صقلية، تصعد السيارة الخلفية وتفتح هاتفها لتتفقد الرسائل الواردة على هاتفها، بينما تنظر إلى الشاشة ينساب طريق العودة أمامها بهدوء، تستغرق في شرود للحظات، لكن انتباهها يتسارع فجأة عندما تلاحظ تغيير مسار السيارة عن طريق منزلها، فريدة بذعر واضح: هذا ليس الطريق المؤدّي إلى بيتي.

الحارس الشخصيّ الجالس بجانب السائق بنبرة هادئة: لن نذهب إلى منزلك سيدتي.

تنظر فريدة نحوه بقلق: ماذا؟! إلى أين نحن ذاهبون؟

الحارس الشخصيّ: اهدئي سيدتي، نحن ذاهبون إلى قصر الزعيم.

تصيح فريدة: لماذا؟

الحارس الشخصيّ: لا أعلم سيدتي، هذه تعليماته، يمكنك سؤاله بنفسك.

يمد الحارس هاتفه نحوها: تفضّلي، تحدّثي مع الزعيم.

تلتقط فريدة الهاتف من الحارس وهي تحاول السيطرة على أعصابها، آدم بنبرة سخرية: ما هذه الضجة أيتها المشاكسة، ماذا الآن؟

فريدة: سيدي، أنتَ لم تخبرني أنّني سأمكث في بيتك.

آدم: وهل كنت ستوافقين لو أخبرتكِ؟ كنت سأستمع إلى محاضرة عن استقلاليّتِك، أيضًا فريدة لقد اتفقنا بالأمس أنني سأسمح لك بالعودة شرط أن توافقي على شروطي.

فريدة: نعم، لقد اتفقنا على ذلك، ولكن لم يكن ضمن شروطك أن أمكث في بيتك.

آدم بنبرة ثابتة: هذا الشرط الصغير يقع تحت الشرط الأساسيّ لحمايتك.

فريدة بنبرة خبيثة: حقًّا؟

آدم بنفس النبرة الخبيثة: حقًّا.

صوت ابتسامته الهادئة يصل إليها عبر الهاتف.

فريدة: ماذا؟! أحقًّا تبتسم الآن؟

آدم: أجل، فأنتِ أصبحتِ تتحدثين بطريقتي الآن.

فريدة: ليس هكذا، أنتَ فقط نسيتَ أن تخبرني بهذا الشرط من البداية، والآن تتلاعب بالكلمات لتغطي على خطئك.

آدم بنبرة حادة: فريدة، لا يجوز التحدث إليّ بهذه الطريقة، أنا أعلم جيدًا ما الذي يجب إخبارك به وما الذي لا يجب.

فريدة تهمهم بيأس: أعلم أعلم.

آدم بنبرة صارمة: يكفي تدلّلاً الآن أيتها الفتاة، سأنهي المكالمة، أنا في منتصف اجتماع هام، ولا تنسي لا تتشاقي، أحذرك.

فريدة تنهي المكالمة وتعيد الهاتف إلى الحارس، ثم تصل إلى القصر، تتفاجأ بأنه مطابق للقصر الموجود في صقلية، تقف أمام القصر في دهشة: ماهذا؟! إنه نفس الشيء الموجود في صقلية، هل هذا الرجل مريض أم ماذا؟

يمر اليوم بهدوء دون أحداث تذكر، في المساء تجلس فريدة في الحديقة الكبيرة تتأمل السماء بشرود، لكن صوت هاتفها يقطع صمت اللحظة معلنًا عن مكالمة واردة، ترفع الهاتف لتسمع صوت صياح: أيتها التافهة الخائنة، أنا حقًّا أكرهك بشدة.

تبعد فريدة الهاتف عن أذنها منزعجة من الصوت العالي: اهدئي أيتها المرأة العجوز.

ليلى في غضب: أنا امرأة عجوز أيتها الشمطاء! هل عدتِّ

منذ الصباح الباكر ولم تخبريني بذلك؟ كيف يمكنك فعل ذلك؟! ألم تشتاقي إلى صديقتك العزيزة؟

ثم تضيف ليلى مصطنعة بالحزن: يبدو أن هناك مَن حلَّ محلي!

فريدة بنبرة حنان: لا يوجد أحد يحل محلك عزيزتي ليلى، أنتِ الأولى والأخيرة، أعتذر كثيرًا لعدم إخبارك، لكن الآونة الأخيرة كانت صعبة للغاية، وعند وصولي اليوم أردت أخذ وقت لتجميع أفكاري وترتيبها.

ليلى: حسنًا لقد سامحتُكِ، أين أنت؟ أنا بالخارج يمكنني المرور عليك الآن لنشرب القهوة معًا ونتحدث قليلاً.

فريدة: أنا لستُ في المنزل، سأمرّ عليكِ غدًا لنتحدث كثيرًا.

ليلى: أين أنت؟

فريدة: غدًا سنتحدث عن كل تلك التفاصيل، فأنا بحاجة للحديث معك.

ليلى: حسنًا، هل أنتِ بخير؟

فريدة: أجل، لا تقلقي.

ثم تنهي فريدة المكالمة وتذهب إلى غرفة النوم لتخلد إلى النوم، تستلقي على السرير وتبدأ في تفقد هاتفها تحدث نفسها: لماذا لم يرسل لي أي رسائل طوال اليوم، هل هو بخير؟ هل

حدث له مكروه؟

ثم بنبرة حازمة: فريدة، اذهبي إلى النوم الآن، اتركي هذه الأفكار، فهو لم يحدث له مكروه، إنما لم يشعر بغيابك عنه فقط.

تستيقظ فريدة في الصباح الباكر، ترتدي ملابسها وتتناول فطورها، يمر نصف اليوم دون أي خبر وارد منه، مما يثير غضبها بسبب تجاهله، تتصل بصديقتها ليلى لتخبرها بأنها ستأتي إلى منزلها، تخرج فريدة من المنزل متجهه إلى السيارة برفقة حارسها الشخصيّ، بينما باقي السيارات في وضع الاستعداد للانطلاق.

فريدة في تذمر: لا أحتاج إلى كل هذه الحراسة، أنا ذاهبة إلى منزل صديقتي، يكفي أن تكون معي أنت فقط.

الحارس الشخصي: أعتذر منكِ سيدتي، هذه تعليمات الزعيم لا يمكنني مخالفتها.

تنهّدَت فريدة بانزعاج: وأين هو زعيمك بحق الجحيم؟

عند وصولها إلى منزل ليلى يصطف الحراس حول المكان، تطرق فريدة الباب بينما يقف الحارس بجانبها، تفتح ليلى الباب فتظهر على وجهها علامات دهشة ممزوجة بالصدمة، وبنبرة متوترة: مَن هذا؟!

تلتفت فريدة إلى الحارس، وبنبرة جادة: يمكنكَ الانتظار في

السيارة، سأخبركَ عند عودتي.

أومأ الحارس برأسه كجواب وتوجه نحو الخارج.

تغلق الباب خلفها لتجد ليلى تحدّق بها بدهشة بعدما رمقَت الحارس بنظرات متفحصة قبل ذهابه، وبنبرة منخفضة: يا إلهي ما هذا؟! حارس شخصي؟ هل أنت رئيسة دولة ولم تخبريني؟

فريدة في سخرية: ما هذه المقابلة الباردة ليلى؟! أنتِ مَن لم يشتاق إليّ.

ليلى تعقد ذراعيها وباستنكار: أظن أن لديكِ قصة وراء كل هذا، هيا لنسمعها.

فريدة بنبرة سخرية: حسنًا، أعلم، لنجلس أولاً.

فريدة وليلى في الحديقة الخلفية من المنزل، يجلسان على مقاعد خشبية، كانت فريدة تضع يدها على فنجان قهوتها الباردة، أصابعها ترسم دوائر صغيرة على سطحه الأملس، عيناها غارقة في تفكير عميق، ليلى بصبر واضح على وجهها تنتظر بصمت حديث فريدة، إلى أن تنتهي فريدة من صمتها: أتدرين كم حارسًا يقف بالخارج الآن غير الذي كان معي قبل قليل؟

ليلى تهز رأسها بالنفي: كم؟

فريدة: اثنا عشر يا ليلى.. اثنا عشر.

تأخذ نفسًا عميقًا، وبنبرة مهزوزة: أشعر أنّني عالقة.

ليلى بنبرة قلقة: أخبريني ما الذي يحدث فريدة؟ ولماذا لديك جيش صغير أمام منزلي؟

تنهّدَت فريدة بعمق، ثم بدأت في سرد الأحداث التي تدور بينها وبين آدم، صوتها كان يرتجف بين الحين والآخر، استمعَت ليلى بانتباه إلى كلام فريدة، في بعض الأحيان كانت تقاطع حديثها لتُلقي بسؤال أو مستفسرة عن شيء ما، حينما انتهت فريدة من الحديث حلّ الصمت بين الطرفين لفترة قصيرة.

ليلى في تردّد: حقا مشاعري متضاربة تجاه ما أخبرتِني به فريدة، هناك جزء منّي يريد أن يصرخ قائلاً لاحقي حبك، لكن هناك جزءًا آخر أكثر خوفًا يريد أن يصرخ بقوة ليخبرك بالهروب والابتعاد قبل أن تغرقي.

فريدة تنظر إليها بحيرة: هذا لا يساعدني ليلى.

ليلى في جدية: وإذا أخبرتُكِ أن تهربي فريدة، هل ستهربين؟

فريدة بنبرة ثابتة: لن أهرب يا ليلى، لقد أصبح قلبي تحت سيطرته الكاملة؛ لهذا أقبَل بكل تلك الأفعال.

ليلى تتنهد بعمق: لنتحدث بصراحة فريدة، أنا أعلم، أيضًا أمير يشُكّ، اختفاؤك لساعات طويلة في الأيام الماضية كان

مريبًا، وما حدث بينك وبينه في الملهى رد فعلك كان غريبًا، أنا صديقتك وأعرف جيّدًا كيف يكون ردك في مواقف مثل هذه، اكتئابك في غرفتك لأيام هذا حديث عليك فريدة، وأنا أفهم جيّدًا أن ما يفعله قد يثير جنون أي امرأة يجذبها ويجعل قلبها يرفرف، ولكن بقربِه لا أعتقد أنكِ في أمان، إنه يراكِ لعبة مسلية له، وعندما يملّ منك سيتركك وعندها ستكونين أنتِ المُحطَّمَة، إنها المرة الأولى التي أراكِ تُسلّمِين قلبك لأحد وأرى أنكِ سلَّمتِه بقوة.

فريدة بسخرية: لا أعرف مِن دونك كيف كنت سأتوصل إلى هذه النتيجة العبقرية؟

ليلى تنهدت في يأس: لا أعلم ماذا عليّ أن أخبرك فريدة، لكن بغضّ النظر عن كونه رجل مافيا ومجرمًا، فإن طريقة اهتمامه بك تجعل الفراشات تحلق في معدتي كأنّني أقرأ رواية حب تدور حول فتاة تقع في حب رجل مافيا.

فريدة ابتسمت بحزن: إنه يجعل الفراشات تحلّق في معدتي منذ اليوم الأول الذي رأيتُه فيه يا ليلى دون عمل أي شيء.

تمضي الصديقتان الوقت معًا دون فعل أي شيء محدد، فقط تتحدثان لساعات طويلة حتى ينتهي الوقت وحان وقت الرحيل، وقفَت فريدة أمام الباب تنتظر وصول الحارس

الشخصيّ.

ليلى: هل ستأتين إلى العمل غدًا؟

فريدة: نعم، كما أخبرتُكِ أنا بحاجة إلى إجازة.

ليلى أومأت برأسها: أعلم أعلم.

ودَّعت الصديقتان بعضهما وانطلقت فريدة عائدة إلى القصر هناك، توجَّهَت إلى غرفتها واستعدت للنوم محاولة التخلص من أفكارها المتشابكة، إلا أن هاتفها قطع صمت الغرفة بوصول رسالة، آدم: كيف حال فريدتي؟ لقد خرجتِ اليوم من المنزل دون إخباري، تُرَى هذا يستحق العقاب؟

تنفست فريدة بعمق وردت بغيظ: لا أرى أنه يستحق العقاب، فريدتُكَ رأت أنك لم تكن مهتمًا بما يكفي لتزعجك بأمور تافهة كهذه.

لم تمر لحظات حتى جاءتها مكالمة منه، آدم بنبرة حادة: أنا من يحدد يا فريدة ما هو التافه وما هو المهم.

فريدة بانفعال: إذًا اعذرني سيد آدم، فأنا لم أتلقَّ منكَ أي رسائل أمس أو طوال اليوم، لا أعلم أنكَ ما زِلتَ مهتمًّا بأموري التافهة.

آدم تلين نبرته: هل أنتِ منزعجة؟

خفضت فريدة نبرة صوتها قليلاً، محاولة كبح غضبها: ربما

قليلاً فقط، اختفاؤك أمس واليوم أزعجني.

آدم: اعتقدتُّ أن هذا سيسعدك، أردتُّ أن أترك لكِ المجال لتكوني حرة قليلاً.

فريدة بنبرة جادة: أنا لا أريد أن أكون حرة.

آدم: حسنًا.

فريدة في تعجب: ماذا؟! ألستَ غاضبًا بسبب نبرة صوتي المنفعلة؟

آدم بنبرة هادئة: لا، لستُ غاضبًا منكِ، أخبريني كيف قضيتِ اليومين الماضيَين؟

بدأت فريدة تسرد تفاصيل يوميها لآدم، وكأنها تحكي قصة مليئة بالتفاصيل الصغيرة، ثم توقفت فجأة.

آدم: لماذا توقفتِ؟

فريدة في تردد: ألا تشعر بالملل؟

آدم: لا يمكنني الشعور بالملل معكِ فريدة.

فريدة بابتسامة مرحة: هل أنا محظوظة اليوم أم ماذا؟ أنت تفاجئني بدلالك.

آدم بنبرة جادة: لا تعتادي على هذا الدلال، أنا رجل متقلب المزاج، لا أضمن لكِ شيئًا.

فريدة تضحك بخفة: حسنًا حسنًا، أعرف ذلك، لكن لديّ

سؤال، لماذا يشبه هذا القصر قصرك في صقلية؟

آدم: أولاً القصر في صقلية لم يعُد ملكي، لقد أصبح ملككِ أنتِ، أما عن التشابه فلأنّني رجل يصعب أن يعجبني شيء، ولكن عندما يعجبني شيء لا أتخلَّى عنه مهما حدث.

فريدة تهمهم بخفوت: فهمت.

استمر الحديث بينهما لفترة حتى أنهى آدم المكالمة، فريدة توجهت إلى السرير وغرقت في النوم.

في صباح اليوم التالي..

استيقظت فريدة، ارتدَت ملابسها ونزلت إلى المطبخ لتتناول فطورها، بعد ذلك استعدَّت للذهاب إلى عملها في الجريدة.

عند خروجها من القصر التقَت بالحارس الشخصيّ الخاص بها: صباح الخير، أعلم أن لديك تعليمات بمرافقتي طوال الوقت، لكن اليوم مختلف؛ فأنا ذاهبة إلى عملي، ويجب ألا يلاحظ زملائي وجودكم، لا يمكنني تبرير ذلك.

الحارس الشخصي: أفهم ذلك تمامًا سيدتي، سأتحقق فقط.

ابتعد الحارس الشخصيّ لإجراء مكالمة هاتفية، ثم عاد إليها بعد دقائق.

الحارس الشخصي: حسنًا الزعيم لم يعترض، لكنني سأرافقك مع حارسَين آخرَين، سنكون بعيدَين عنكِ ولن تلاحظي

وجودنا.

فريدة أومأت برأسها كجواب: حسنًا، لنذهب.

تحركت السيارتان نحو مقر الجريدة حيث تعمل فريدة، نزلَت من السيارة واتجهت إلى داخل المبنى، كان زملاؤها في انتظارها؛ فاستقبلوها بترحيب حار، لكن الاحتفال لم يدُمْ طويلاً، إذ وصل رئيس التحرير ونظر إلى الجميع بنظرة غاضبة.

رئيس التحرير بصرامة: كفَى! ليذهب الجميع إلى مكاتبهم، فلن نقضي اليوم بأكمله في الترحيب بفريدة.

شعرت فريدة بالإحراج الشديد، وبنبرة تحمحم فيها: أنا أؤيد هذا الكلام، يكفي إضاعة للوقت.

انصرف الجميع بسرعة إلى أماكنهم، بينما ظلَّت فريدة مترددة للحظات قبل أن تطرق باب مكتب رئيس التحرير.

فريدة: أيمكنني التحدث معكَ لبضع دقائق؟

رئيس التحرير: تفضلي.

دخلت فريدة وجلست على كرسي مقابل مكتب رئيس التحرير، الذي كان يحدّق بها بصرامة واضحة.

فريدة بابتسامة رسمية: كيف حالكَ أستاذي؟

رئيس التحرير ببرود: بخير فريدة، لكنني أعتقد أنكِ لم تأتي لتسألي عن حالي.

فريدة: صحيح، سأتحدّث دون مقدمات حتى لا أضيع وقتك، أريد الحصول على إجازة.

رئيس التحرير: إجازة؟! وما السبب؟

فريدة: أشعر بالإرهاق، كما أن لديّ بعض الأمور الشخصية التي تحتاج إلى إنجازها.

ابتسم رئيس التحرير ابتسامة استهزاء: دعيني أكون صريحًا معكِ يا فريدة، لقد كنت أُعدُّكِ موظفة كفؤة، لكن ما حدث في آخر مهمة غيّرَ وجهه نظري تمامًا، أداؤكِ كان مُخيّبًا للآمال، لقد كنتِ السبب في الفوضَى التي حلَّت بالفريق، وأيضًا في تأخره، كنتِ مُهمِلة لعوبة، واستغلَلْتِ فرصة السفر لأهداف شخصية والاستمتاع بوقتكِ بدلاً من العمل الجاد، لقد كُنتِ عائقًا لفريقك بأكمله.

حدقت فريدة به في صدمة محاولة الدفاع عن نفسها: هذا غير صحيح أستاذي، لم أفعل أي شيء من هذه التهم التي توجّهها لي.

رئيس التحرير بنبرة حادة: لن تحصلي على الإجازة فريدة، هذه فرصتك الأخيرة ولن أضمن وجودكِ في هذا المكان بعدها، والآن عودي إلى عملك.

خرجت فريدة من مكتب رئيس التحرير والغضب يتملّكها،

وصلت إلى مكتبها حيث كانت ليلى تنتظرها.

ليلى: ماذا حدث صديقتي؟ وجهكِ متجهم، هل أنتِ على وشك البكاء؟

انكمش كتفا فريدة، بدأت دموعها تتساقط ببطء في البداية، لكنها تدفقت سريعًا كالشلال من البكاء.

ليلى في قلق: فريدة ماذا حدث؟ أخبريني.

فريدة بصوت متحشرج: سأذهب لاستنشاق الهواء وأعود مرة أخرى.

نزلت فريدة من مبنى الجريدة تمشي في الشارع تحاول الهروب من حزنها، كانت تبكي بغزارة، رن هاتفها فجأة مما زاد من قلقها، حاولَت تعديل نبرة صوتها وهي تجيب، فريدة بصوت متماسك: مرحبًا.

آدم (الرجل ذو الهيبة) بنبرة جادة: ماذا حدث؟

فريدة: لم يحدث شيء، لقد رفضَ رئيس التحرير منح الإجازة.

آدم بنبرة حادة: لماذا؟!

فريدة بصوت متردّد: قال إنني كنت مهملة لعوبة وعائقًا لفريقي.

آدم بنبرة غاضبة وحادة: اللعين، كيف يجرؤ على التحدث

مع امرأة آدم بهذه الطريقة، هل تبكين؟

فريدة بصوت مرتعش: لا، لست أبكي.

آدم بنبرة حادة: فريدة، اقبلي مكالمة الفيديو الآن، لا تختبري صبري لأزداد غضبًا.

فريدة وضعت الهاتف أمامها، ليظهر آدم جالسًا خلف مكتبه يبدو غاضبًا، ظهر وجه فريدة عبر الشاشة وجهها منتفخ من البكاء، عيونها متورّمة تغطيها خيوط رفيعة من الماسكارا السوداء المتلطّخة، أنفها أحمر وشعرها مبعثر حول وجهها، دموعها لا تزال تسيل على خديها اللذين تحوّلا إلى اللون الوردي الباهت من شدة البكاء، كانت تحاول كبح دموعها.

فريدة بصوت مختنق: أنا.. أنا لم أفعل شيئًا آدم، لقد عملتُ بكل قوتي، ولكنه ظلمني، لم يصدقني.

قالتها بين شهقات بكائها، كانت كلماتها مختلطة بأصوات بكائها، فشلت في كبح دموعها: أعلم أنني مقصرة لكن ليس لهذه الدرجة، كل المهمات التي طُلِبَت مني نفّذتُها، لكنه لم يرَ ذلك.

آدم: فتاتي، توقّفي عن البكاء، سأصلح كل شيء من أجلك.

فريدة تمرّر أصابعها على وجهها تمسح بقايا الدموع المتبقية وتومئ برأسها بسرعة.

آدم: أعلم أنني قلتُ لكِ من قبل ألا تثقي في أحد ولا حتى فيّ، لكن هل يمكنك الوثوق بي هذه المرة فقط؟

فريدة أومأت برأسها بالموافقة: حسنًا.

آدم: أريد منكِ أن تُقدّمي استقالتك.

فريدة: سيدي، لقد تحدثنا في هذا الموضوع من قبل.

آدم: أعرف فريدة، لكن ثقي بي ولن تندمي أبدًا، أنا لن أجعلكِ تقومي بشيءٍ ضد رغبتك، لذا لا تقلقي.

فريدة: حسنًا.

آدم: عودي إلى الجريدة، اكتبي استقالتك وقدميها، ثم اذهبي إلى منزل.

أنهيا المكالمة واتجهت فريدة لتنفيذ التعليمات التي أعطاها آدم، عادت إلى القصر بعد مرور سبع ساعات، يدخل أحد الحراس الشخصيِّين إلى المكتب الذي تعمل فيه فريدة ويسملها ظرفًا، تفتحه فريدة؛ فتعلو ملامح الصدمة وجهها، بعدها تتلقى مكالمة هاتفية.

آدم: ما رأيكِ فريدتي في هذه المفاجأة؟

فريدة ما زالت ملامح الصدمة تسيطر على وجهها: سيدي، كيف هذا؟

آدم: لا يوجد شيء لا يستطيع سيدُكِ فعله من أجلك فتاتي،

حزنُكِ ليس أمرًا هيّنًا بالنسبة لي.

فريدة في ذهول: حقًّا؟! هل أصبحَت الجريدة ملكًا لي؟

آدم بنبرة ثابتة: أجل.

فريدة في تعجب: لكن كيف؟ إنها ليست جريدة خاصة، كيف اشتريتها؟

آدم: هذا ليس من شأنِك، المهم الآن أنها أصبحَت ملكك، يمكنكِ إذلال وإهانة من تسبَّبَ في حزنك أمام الجميع ثم طرده بعد ذلك.

فريدة: لا أستطيع.

آدم: لماذا؟

فريدة: لسببَين: أولاً إنه رجل كبير في السن ولا يمكنني فعل ذلك به، ثانيًا لا يمكنني طرده؛ فهو أكثر شخص يحتاج إلى الوظيفة، ابنته مريضة وعلاجها مُكلّف جدًّا.

آدم بنبرة جادة: هذا ليس من شأنكِ فريدة، كان عليه التفكير قبل أن يتحدث معكَ بهذه الطريقة.

فريدة: لن أشعر بالراحة إذا فعلتُ هذا.

آدم: حسنًا، كما تشائين.

فريدة في حماس: حقًّا لا أصدّق، هل أصبحت الجريدة لي بالفعل؟

آدم بنبرة فخر وحنان واضح: سأحرق الأرض لأجلكِ إذا تطلَّبَ الأمر فريدة.

تبتسم فريدة بسعادة غامرة، وقد ملأَت الفرحة قلبها، تنتهي المحادثة بينهما.

يمر اليوم بسلام، في المساء تتجه فريدة إلى غرفتها استعدادًا للنوم، يرن هاتفها فجأة.

ليلى: هل نمتِ؟

فريدة: كنتُ على وشك الذهاب إلى السرير.

ليلى: انتظري قليلاً، هناك قنبلة سأفجّرها الآن.

فريدة: ماذا حدث؟

ليلى: لقد بِيعَت الجريدة منذ ساعات.

فريدة همهمت كجواب.

ليلى في تعجب: ماذا؟ هل كنتِ تعلمين بالأمر؟

فريدة: أجل.

ليلى: أيتها الشريرة، كيف يمكنكِ إخفاء خبر كهذا؟

فريدة بنبرة خبيثة: لأنني أستطيع أن أخبرك خبرًا أكثر إثارة من ذلك.

ليلى في فضول: تحدثي.

فريدة: أتعرفين من هو مالكُها الجديد؟

ليلى: مَن هو؟ هذا الخبر ما زال طيّ الكتمان.

فريدة: حسنًا، المالك الجديد هو فريدة سليم.

ليلى في صدمة: ماذا؟!

فريدة: كما سمعتِ أيتها الموظفة، فأنتِ تتحدثين إلى مديرتك الآن.

فريدة وليلى بقهقهة عالية.

ليلى: ما هذا الجنون؟ كيف حدث هذا؟

فريدة تبتسم بلُطف: بعد نزولي من الجريدة تحدّثَ معي آدم، كنت أبكي بشدة، طلب منّي تقديم استقالتي فورًا، وبعد ساعات جاءَني مظروف يحتوي على أوراق تثبت ملكيتي للجريدة.

ليلى في ذهول: ما هذا الرجل؟ إنه يفقدني صوابي بكل تلك الأشياء الجيدة التي يفعلها من أجلك، بهذه الطريقة قد ينال موافقتي على علاقتكما، لكن كيف استطاع شراء الجريدة، إنها ليست ملكية خاصة؟!

فريدة: سألتُه، لكنه رفض إخباري بأي تفاصيل.

تنهدت فريدى بعمق: لكن دعيني أخبركِ شيئًا ليلى، ذلك الرجل ترك بصمة قوية على قلبي، أشعر وكأن جزءًا مني أصبح مرتبطًا به إلى الأبد، ولستُ مستعدة للتخلّي عن آدم.

ليلى بنبرة جادة: أعرف ذلك فريدة، والحقيقة أنه لا يمكن

لأحد أن يلومك.

فريدة: أظنّ مع كل الأشياء الجيدة التي تحدث لي يملأ الخوف قلبي أكثر، أخاف من فكرة أنه قد يغادرني يومًا، أخاف من فكرة أن أفقد هذه البصمة التي تركها على قلبي.

ليلى تنهدت بحزن: أنا أيضًا أخاف عليكِ فريدة، لا أستطيع أن أقول لكِ إنه يحبك؛ فلا تقلقي، لن يغادر بل استمتعي، ولا أستطيع أن أقول إنه لا يحبك، فهذا سيكون ظلمًا لما يفعله من أجلك، إنه شيء صعب حقًّا تحديده، لكن فريدة يكفي ما عشتِه طوال حياتك من وحدة وألم، دعي المستقبل للمستقبل، واستمتعي بالحاضر الذي تعيشينه الآن.

فريدة: أتعتقدِين أن هذا خيار صحيح؟

ليلى: لا يوجد أمامكِ خيار آخر، ثقي بما لديك الآن.

استمر الحديث بين الصديقتين لفترة طويلة، تنقّلا بين الضحك والجدية، مع مرور الوقت أنهَت فريدة المكالمة وذهبت إلى النوم.

مرت الأيام المتبقية من الأسبوع بهدوء دون أحداث تذكر، استغلت فريدة تلك الفترة في وضع خطّة عمل لفريقها أثناء غيابها الذي سيستمر ثلاثة أشهر، وحرصت على التحدث مع آدم يوميًّا، كما خرجَت مرتين مع أصدقائها لتناول العشاء

والاستمتاع بالوقت قبل سفرها.

اليوم الأخير قبل السفر...

فريدة أمسكت هاتفها وأجرت مكالمة مع ليلى.

فريدة: مرحبًا يا موظفة.

ليلى بنبرة مازحة: نعم يا مديرة، لماذا تتحدثين معي في يوم عطلتي؟

فريدة تضحك بصوتٍ عالٍ: المديرة يمكنها التحدث في أي وقت يا موظفة، أليس كذلك؟

ليلى: ماذا تريدين؟

فريدة: أعلم أن اليوم الفتاتين مع زوجك في زيارة لجدهما؛ لذا أنت متفرغة، ما رأيك في الذهاب للتسوق؟

ليلى بصياح مليء بالحماس: أخيرًا شيء ممتع، هيا لنذهب.

توجهت فريدة وليلى إلى المركز التجاري للتسوق، يتنقلان بين المتاجر ويتبادلان الأحاديث المرحة.

ليلى تنظر إلى فريدة أثناء اختيارها للملابس: لماذا أردتِّ التسوق دون مناسبة أو حدث هام؟ هذا ليس من عاداتك.

فريدة: أريد تغيير أسلوب ملابسي.

ليلى في دهشة: وما خطب أسلوب ملابسك الحالي؟

فريدة: غير جذاب.

ليلى تهمهم موافقة، تنتبه ليلى لشراء فريدة كل الملابس باللون الأسود.

ليلى في سخرية: فريدة، ألا تعتقدين أنك اشتريتِ كل القطع السوداء الموجودة في المركز التجاري، يكفي يا امرأة! لماذا الأسود فقط؟

فريدة بابتسامة هادئة: أعلم، ولهذا السبب اخترتها.

ليلى في سخرية: إذًا كان قصدكِ من تغيير أسلوب ملابسك أن تشتري كل شيء باللون الأسود؟

أومأت فريدة بالموافقة.

ليلى: لماذا الأسود؟

فريدة تبتسم بلطف: لأن آدم لا يحب غير الأسود، وأتمنى أن يكون مظهري مُحبّبًا لعينيه.

ليلى تبتسم بمكر وتغمز لفريدة وتضربها برفق على ذراعها: أيتها الشقية، لقد أصبحتِ ناضجة وتضعين خططًا للإيقاع برجلك.

فريدة تضحك: هذا ما أتمناه، صديقتى العزيزة.

انتهى يوم التسوق بضحكات مرحة بين الصديقتين، وفي المساء خرجت فريدة مع باقي أصدقائها إلى أحد المقاهى لتوديعهم قبل السفر.

فى يوم السفر، استيقظت فريدة وهي تشعر بحماس يسيطر عليها، أكملت إغلاق حقائبها، تناولت إفطارها ثم بدأت في الاستعداد للخروج.

ارتدت فستانًا أسود طويلاً من الصوف ذا رقبة مرتفعة، ينساب على جسدها بشكل ملائم، يبرز أناقتها بصورة جيدة، اهتمَّت فريدة بتصفيف شعرها، جمعت شعرها الطويل الكثيف في ذيل حصان مرتفع، استخدمت منتجًا للشعر ليضيف له لمعة هادئة، كانت جميع الخصلات مرتبة بشكل مثاليّ.

تحلق الطائرة الخاصة في السماء تحمل فريدة في طريقها إلى صقلية، ومع اقتراب الطائرة من الهبوط كانت ضربات قلبها تتسارع، مزيج من الحماس والتوتر يتملّكها، تنهدت بعمق محاولة تهدئة نفسها قبل أن تنزل، تهمس إلى نفسها: تمالكي يا فريدة، لا تدعي الحماس يفضحك.

عندما نزلت من الطائرة لفت انتباهها سيارة سوداء تصطف في ركن بعيد، كما هي عادة آدم المفضلة، ابتسمَت بسعادة بينما تسير بخطوات واسعة متحمسة نحو السيارة متمتمة: ما بال هذا الرجل وعشقه لعادة التسلّل هذه؟!

عندما وصلت إلى السيارة انخفض زجاج النافذة سريعًا،

وظهر آدم بنظرته المعتادة الواثقة.

آدم يحاول كبح ابتسامته: مرحبًا أيتها المرأة الباكية.

ارتفعت حواجب فريدة بتجهم مصطنع، وضغطت على شفتيها بأسنانها وكأنها غاضبة.

آدم يمد يده يخرجها من النافذة ليربت على شعرها بلطف: لا تغضبي، فأنا لا أريد رؤيتك تبكين الآن، هيا اصعدي إلى السيارة.

فريدة ببرود مصطنع: يبدو أنك أخطأتَ في الشخص سيد آدم، أنا لست امرأة باكية.

آدم في سخرية: أوه، هل تعتقدين ذلك؟ إنها المرة الثالثة فقط التي أراكِ فيها لا تبكين، قلت اصعدي، هيا.

دارت فريدة حول السيارة وصعدت إلى المقعد الخلفي بجواره، لكنها أبقت على ملامح التجهم: حسنًا، أعلم أنكَ رأيتني أبكي كثيرًا، وماذا بها؟ أنا امرأة أحب البكاء.

آدم بنبرة هادئة: أعلم.

فريدة: إذًا ما...

قاطعها آدم فجأة، يجتذبها من خصرها لتسقط في حضنه، آدم بخفوت: يكفي ثرثرة، ألم تشتاقي إليّ؟

فريدة بصوت متهدج: اشتقتُ كثيرًا.

تلتف أصابعها حول رقبته مجتذبة رأسه ناحيتها ليقترب منها، حتى بات كل منهما يحدق في عيني الآخر بعمق، استنشقَت فريدة عطرَه المعتاد الذي ارتبطت رائحته في ذاكرتها بأحاسيس الدفء والأمان، كانت أجسادهما ملتصقة لدرجة أنهما يسمعان نبضات قلوب بعضهما.

وضعت فريدة كفها برفق على صدره متلمّسة نبضات قلبه، فريدة في تعجب وهمس: هل ينبض هكذا بسببي؟

شعر آدم بالارتباك لأول مرة، أمسك يدها بلطف، أبعدها قليلاً وعاد إلى مكانه بجانبها محاولاً السيطرة على ملامحه، وبنبرة ثابتة: كيف كانت رحلتك؟

فريدة بابتسامة ناعمة: أنتَ لطيف للغاية.

آدم بنبرة حادة: سأغفر لكِ هذه المرة فقط وصفي باللطيف، فلا يمكن لأحد أن يراني هكذا.

فريدة تبتسم برقة: إذًا لا أحد يراك بشكل صحيح.

آدم يحمحم ليعيد جديته، بعد لحظات من الصمت.

آدم بهدوء: لقد تذكرت.

أخرج شيئًا من جيب معطفه، كانت فريدة تتفقد هاتفها لتتفاجأ عندما شعرت بلمس أصابعه الدافئة بشرتها ووضع شيء حول عنقها، مدَّت يدها لتتلمس ما ارتدته؛ فاكتشفت

أنها قلادة، كانت القلادة تحفة فنية حقيقة، مصنوعة من البلاتين الأبيض النقيّ، يتدلَّى منها حجر ماسيّ لامع يشبه قطرة ندى متجمدة.

انبهرت فريدة بجمال القلادة، أمسكَت بها بين أصابعها تديرها ببطء لتتأمل تفاصيلها الدقيقة، فريدة بحماس وإعجاب خافت: يا لجمالها!

آدم: أعجبتكِ؟

فريدة: كثيرًا، إنها أكثر من رائعة.

آدم: ألا تذكّركِ بشيء؟

فريدة تنظر إلى قلادتها بتمعن، ثم تهز رأسها نافية.

آدم في سخرية: دموعك.

فريدة تبتسم باستنكار.

آدم بنبرة جادة: لا يحق لأي شخص أن يكون سببًا في نزول دموعك ما عداي.

فريدة في دهشة: ماذا؟! أيحق لكَ أن تكون سببًا لحزني ونزول دموعي.

آدم في ثبات وثقة: إذا كنتُ أنا السبب الوحيد فلا مانع عندي.

فريدة تقهقه بصوت عالٍ: لا أعلم إن كان هذا شيئًا جيّدًا

أم سيئًا.

ساد الصمت بينهما حتى توقفت السيارات أمام القصر.

آدم: فريدة لا أستطيع مرافقتك، كل شيء مُعدٌّ من أجلك هنا لا تقلقي، حتى غرفتك جاهزة، ستقوم رئيسة القصر بمساعدتكِ في كل ما تحتاجين إليه، أنا لديّ عمل مهم لا يمكنه الانتظار أكثر من ذلك.

فريدة أومأت برأسها كجواب: حسنًا، أتمنى لكَ يومًا جيّدًا إذًا.

تنزل من السيارة متجهة نحو القصر، يرافقها الحرس الخاص، دخلت القصر واستقبلتها رئيسة القصر إلى غرفتها، بعد قضاء يوم هادئ وطويل داخل القصر بدأت فريدة بالتجول واكتشاف أرجائه، وخلال جولتها وجدَت مكانها المفضل إلى الأبد.. المكتبة الكبيرة، المكتبة كانت تحفة فنية تجسد الطراز الفيكتوريّ، تتميز بجدرانها المغطاة برفوف خشبية داكنة تضم مجموعة متنوعة من الكتب النادرة، السقف المرتفع كان مُزيَّنًا بنقوش معقدة تتدلَّى منه ثريات كريستالية بديعة، الأرضيات المصنوعة من خشب البلوط اللامع كانت مفروشة بسجاد فاخر، فيما تسمح النوافذ الكبيرة بدخول الضوء الطبيعي ليُضفي دفئًا على المكان، في زوايا المكتبة كانت هناك كراسي

جلدية أنيقة، وفي المنتصف أريكة كبيرة مريحة من الجلد، تجعل المكان مثاليًا للاسترخاء.

فريدة بإعجاب مصحوب بالدهشة: ما هذا؟ هل أنا في النعيم؟

بدأت رحلتها في تصفح الكتب بحماس، حتى وقعت عيناها على كتاب كانت تظن أنه مجرد أسطورة وغير موجود في الواقع، حملته وبدأت تقرأه بشغف، بعد فترة من القراءة استلقَت على الأريكة وقدماها معلقتان في الهواء، وعيناها مثبتتان على صفحات الكتاب، ملامح وجهها عكست تركيزًا عميقًا.

في هذه اللحظة كان آدم متكئًا على الجدار، وذراعاه معقودتان أمام صدره وعيناه تراقبان فريدة بتأمل عميق، كان يحاول فهم عالمها الداخلي بهدوء، فيما حرص على أن تكون أنفاسه بالكاد مسموعة حتى لا يخرجها من عالمها.

مر الوقت والاثنان في نفس الوضع، في لحظة غير متوقعة، حتى استنشقت فريدة رائحة تفقدها صوابها مألوفة أعادتها إلى الواقع، توقّفَت عن القراءة ورفعت عينيها نحو الجدار.

آدم يرفع حاجبيه في تعجب: ماذا؟! هل أعيش مع كلب بوليسى الآن؟

فريدة تضحك: تلك الرائحة لا يمكنني أن أتخطاها.

آدم: حقًّا؟! وما السبب؟

فريدة تبتسم برقة: تتذكر عندما سألتكَ في ثاني لقاء لنا عن سرّ هذه الرائحة؟ أخبرتَني أنها عطر صُنِعَ خصّيصًا لك، لكن هذا ليس ما يميزه.

فريدة تبعث بخصلات شعرها: الرائحة التي تنبعثُ منك هي ما أجدها مميزة، إنها تشبهك تجمع بين رائحة الفصول الأربعة، رغم برودة الشتاء هناك دفء الصيف الذي يذيب صقيعه إلى حرارة، الزهور التي تزدهر في الربيع بألونها وجمالها تصلحُ كآبة الخريف وتساقط أوراقه، وكأنها تحتفل بحياة جديدة، هذا الرائحة تعبر عنك أنت.

ساد صمت قصير قبل أن يقترب آدم من الأريكة، بينما فريدة ما زالت مستلقية، أمسك قدمها برفق وسحبها نحوه يقربها منه، فريدة نظرات الدهشة تملأ عينيها، آدم انحنَى قليلاً، مضيفًا بعض القبلات الرطبة على طول عنقها؛ مما جعل فريدة ترتجف بخفة.

آدم بنبرة عميقة: كيف يمكن لفتاتي أن تكون بهذا الإغراء وهي تتحدث عن عطري؟

فريدة تبتسم بعفوية: ربما لأنها تتحدث عن شيء يخصك أنت.

اجتذبها آدم من معصمها برفق، لتنهض من مكانها، آدم بنبرة دافئة: هيا لنذهب لتناول العشاء.

انتقل الاثنان إلى طاولة الطعام الكبيرة، وبدآ في تناول العشاء وسط أجواء هادئة.

آدم بنبرة جادة: اليوم تركتكِ لتستريحي، لكن غدًا سنبدأ تدريبنا.

فريدة في دهشة: أي تدريب.

آدم في سخرية: التدريب الذي تحدَّثنا عنه قبل سفرك، هل نسيت؟

فريدة تهمهم: أجل أجل، لقد تذكرت.

آدم: سيبدأ التدريب غدًا في السادسة صباحًا.

فريدة في توتر: ماذا؟! السادسة صباحًا؟! لماذا؟! هل تعاقبني؟ لا أريد التدريب.

آدم: لا تتدلَّلي، فريدة إنه الوقت المناسب حيث تكونين في نشاطك.

فريدة تتذمر كطفلة صغيرة: حسنًا.

آدم يكتم ضحكته: أعجبتكِ غرفتك؟

فريدة في حماس: كثيرًا.

انتهى الاثنان من تناول العشاء، وتبادلا بضع كلمات قبل

أن يتجه كلٌّ منهما إلى غرفته للنوم.

في اليوم التالي، تستيقظ فريدة في الوقت المحدد، ترتدي ملابسها وتتوجه للأسفل.

آدم: صباح الخير فتاتي.

فريدة وما زال النعاس يسيطر عليها: صباح الخير سيدي، ألا يمكن أن نلغي التدريب اليوم؟ أريد النوم.

آدم بصرامة مختلطة بالمزاح: هيا فريدة، لنذهب.

يسحبها من معصمها برفق ويخرجان من القصر، عند النزول تصل إلى ساحة واسعة أمام القصر مربعة الشكل، أرضيتها ترابية مدكوكة ومستوية نسبيًّا من السقف يتدلَّى منه حلقات مصنوعة من حبال سميكة وقوية، في أحد الجوانب يُقام جدار منخفض من سياج شائك مثبت على أرضية الساحة، الأسلاك الشائكة حادة، مُشكّلة اختبارًا واضحًا للسرعة والمهارة، إمكانيات المكان تركز على التدريب البدنيّ القويّ والتحديات التي تُنمّي المهارات البدنية والذكاء الحربي.

فريدة وهي تنظر حولها في ذهول: هل سأتدرب في هذا المكان؟

آدم يومئ برأسه بموافقة، وبنبرة واثقة: هيا فريدة، ليس لدينا النهار بطوله.

فريدة بوجه متجهم تضع يديها في منتصف صدرها تلتقط

نفسَهَا، تنظر إلى أدوات التدريب الملقاة حولها بتذمر، وبصوت يملؤه التعب: سيدي، أليس هذا التدريب مفرطًا في اليوم الأول؟

عبثَت بخصلات شعرها بتوتر، وتنهدت بعمق: لا أعتقد أنّني أستطيع الاستمرار بهذه الوتيرة.

آدم نظر إليها وأخذ نفَسًا عميقًا: أعلم أن الأمر قد يكون مرهقًا، لكنه ضروريّ، أنت فتاة تملكين قدرات هائلة، وأنا واثق بأنكِ تقدرين على المزيد، هذه التدريبات تهدف إلى تطوير مهاراتك في الدفاع عن نفسك في وقت قصير؛ لذلك قد تبدو قاسية الآن، لكنها لصالحك.

فريدة في سخرية: لمَ قد التي تعبر عن الشك؟! أليس كل هذا أكيد؟ حسنا سأبذل ما في وسعي سيدي.

انتهى التدريب وغادر الاثنان للاستحمام، أنهَت فريدة استحمامها أولاً وقررت التوجه إلى غرفة آدم لتخبره بعض الأمور العالقة، طرقَت الباب عدة مرات ولم تتلقَّ ردًّا؛ ففتحت الباب ودخلت، لأول مرة وقعت عيناها على غرفة آدم، التي غلب عليها الطابع الداكن، الألوان كانت مظلمة يغلب عليها الأسود العميق، والأثاث الفاخر كان مصنوعًا من الخشب الداكن بنقوش دقيقة، في منتصف الغرفة كان هناك سرير ضخم أمامه أريكة وإلى جانبه مرآة مزخرفة، الأقمشة المخملية

السوداء غطت كل شيء، مما أضفَى على المكان شعورًا بالفخامة والغموض، نافذة كبيرة في منتصف الجدار تسمح بمرور الضوء الطبيعي، لكن ستائر سوداء ثقيلة حجبَت معظم النور، في أحد الزوايا كانت هناك مدفأة قديمة تحيط بها شموع مشتعلة؛ مما أضاف للمكان سحرًا خاصًّا.

تأملت فريدة الغرفة بدهشة، وهمست إلى نفسها: يا إلهي! لم يكن يمزح عندما قال إن الأسود يشبهه.

قطع دهشتها شعور مفاجئ، عندما شعرَت بيد قوية تجذبها من خصرها، استدارَت لتجد آدم واقفًا خلفها يلف جسدها لتصبح وجهًا لوجه معه.

آدم بصوت أجش صارم ليس غاضبًا: من سمحَ لكِ بالدخول يا فتاة؟

يده ما زالت تحيط خصرها بإحكام، بينما شعرت فريدة بالتوتر يسيطر عليها وهي تحدق في مظهره، لم يكن يغطي جسده سوى منشفة تلفّ نصفه السُّفليّ، وشعره المبتل تناثرت عليه قطرات الماء التي انسابت على كتفيه وصدره.

ابتلعت فريدة ريقها بصعوبة تحاول أن تسيطر على أنفاسها المتسارعة، آدم دفعها نحو النافذة لتتكئ بظهرها عليها، نظر إلى عينيها بثبات، واقترب منها حتى شعرت بحرارة أنفاسه على

وجهها، همس في أذنها: تحدثي.

فريدة تأملته بعينين واسعتين، عواطفها تتلاعب بها، قلبها ينبض بشدة كأنها تسمعه، برودة النافذة خلفها زادت من إحساسها بالحرارة التي سببها قربه منها، بصوت متقطع ومرتبك محاولة استجماع كلماتها: لم.. لم يمسح لي أحد سيدي.

تزيح عينيها وتنظر إلى الأرض: طرقتُ الباب مرات عديدة ولم أسمع رد فدخلت، أعتذر.

آدم في خبث اقتربَ قليلاً أكثر: لكن، يبدو أنكِ لستِ خائفة، أو ليس؟

فريدة تهز رأسها بالنفي: لا، لست خائفة.

آدم: فريدة، انظري إليّ فتاتي، هل وجهيّ بشع لدرجة أنك لا تستطيعين النظر إليه؟

فريدة دون تردد رفعت عينيها أخيرًا إلى وجهه، وبنظرة تملؤها العاطفة بحركات خفيفة بدأت تحرك أناملها على وجهه، تلامسه برقة ونعومة، تتأمّل تفاصيل وجهه بإعجاب، أطراف أصابعها تتبع خطوات فكه القويّ، وعينيه السوداويْن العميقتين، وهمست: كيف لك أن تهين تلك التحفة الفنية؟

آدم تنهد بعمق محدّقًا بها بعاطفة غامضة وهو يحاول يخفي

تأثير كلماتها ولمساتها عليه: اللعنة على تلك النظرة فريدة!

لكن فجأة ترك خصرها وسار بخطوات واسعة بعيدًا عنها، وبصوت صارم: اخرجي.

فريدة في صدمة خرجت مسرعة من الغرفة وهي تتمتم: ما الذي فعلتُه؟ هل هو مريض بانفصام الشخصية؟ يبدو كذلك، سحقًا لحظّكِ فريدة، زعيم مافيا ومريض نفسيّ؟! ما هذا؟!

جلست فريدة على طاولة الطعام تنتظر آدم لتناول الفطور، وما إن نزل آدم وانضم إليها حتى بدأ الاثنان في تناول الطعام بصمت، حمحمت فريدة وبنبرة خافتة: هل أنت بخير؟

آدم رفع نظره إليها دون اهتمام: ماذا؟ تحدثي بصوت واضح.

فريدة في توتر: أسألُكَ هل أنت بخير الآن؟

آدم بنبرة جافة: وما الذي كان بي؟

فريدة في ارتباك: بدا وكأنك غير مرتاح منذ قليل.

آدم وهو يضع الشوكة جانبًا وينظر إليها بحدة: نعم أنا بخير، وغير مرتاح بسببك.

فريدة في صدمة: أنا؟! لماذا؟ ماذا فعلت؟!

آدم ببرود: لا يهم، أخبريني لماذا أتيتِ إلى غرفتي؟ هل كنتِ بحاجة إلى شيء؟

فريدة: لا، كنتُ فقط أريد إخبارَكَ أنني سأقابل أمير اليوم.

آدم بتذمر واضح: لم يمرّ على وجودكِ هنا غير يوم واحد، وتريدين الخروج لمقابلة أصدقائك، هل أنا بهذا الملل؟

فريدة تبتسم برقة تمدّ يدها وتقرص وجنته بدلال، آدم رمَى فريدة بنظرات سقيع مميتة.

فريدة ترتبك وتبتعد: أعتذر لم أقصد ذلك.

وتحمحم في خجل: بالطبع لا سيدي، أنتَ لست مملاًّ أبدًا، لكن أنا أحب قضاء الوقت مع أمير، إنه مثل أخي الصغير.

آدم بنبرة حادة: أعرف، لكن التزمي بالقوانين، وعليكِ العودة قبل أن أعود.

فريدة أومات بالموافقة، وما إن انتهت من تناول الإفطار عادت إلى غرفتها لتستعد، وصلت فريدة إلى المقهى وهي تحمل حقيبة قماشية، أثناء دخولها تلقَّت رسالة على هاتفها، آدم: لا تنسي.. أنا أراكِ في كل مكان، ولأذكّركِ أيضًا لا أحب أن يلمس أحدٌ شيئًا ملكي.

ابتسمت فريدة بملل وهي تتمتم: أعلم ذلك آدم.

دخلت فريدة إلى المقهى لتجد أمير جالسًا على إحدى الطاولات، اقتربَت منه بنبرة غاضبة مصطنعة: سأقتلكَ إذا شربت القهوة بدوني.

أمير دون أن يرفع عينيه عن هاتفه ابتسم ابتسامة واسعة،

وبنبرة عالية: أيتها المزعجة!

نهض من كرسيه واقترب من فريدة، فتح ذراعيه ليحتضنها، فريدة تراجعت خطوة للخلف في توتر.

أمير في صدمة: ماذا؟!

فريدة بارتباك: أنا مصابة بالإنفلونزا، لا أريد نقل العدوى لك.

أمير بسخرية: جيد ما فعلتِ.

قهقه الاثنان بصوت عالٍ قبل أن يقترب أمير مرة أخرى ويحتضنها: إنفلونزا ماذا أيتها العجوز؟! لقد اشتقتُ إليك.

بعث بخصلات شعرها.

فريدة ارتبكَت بوضوح، وأزاحَت يده بعنف عن شعرها، وبنبرة غاضبة: توقف أمير.

وتبتعد عنه.

أمير بصدمة مصحوبة بدهشة: ماذا بكِ فريدة؟

فريدة تصطنع الهدوء: أخاف عليكَ أخي الصغير، هيا لنجلس .

جلس الاثنان، بينما كان أمير ينظر إليها بدهشة، وضعت فريدة الحقيبة القماشية أمامه: خذ أغراضك أيها المتعب.

أمير فتح الحقيبة وتفحص محتوياتها بابتسامة: شكرًا لكِ

أختي العزيزة.

بعد قضاء بعض الوقت في الحديث عن المهمة ونتائجها، والتي اعتقد أمير أنها مضيعة للوقت، غرق الاثنان في تفاصيلها، لكن أمير قطع الحديث فجأة.

أمير يميل بفضول نحو فريدة: هيا أخبريني ما هي القصة؟ ولماذا عُدتِّ؟ وماذا يحدث في حياتك هذه الفترة؟

فريدة وهي تتنهد وتشرب من فنجان القهوة ببطء: سأخبركَ كل شيء؛ فأنتَ أخي الصغير ولا يمكنني أن أخفي عنكَ شيئًا.

نظرت إلى أمير وكأنها تزن الكلمات في عقلها قبل أن تبدأ، تخبر فريدة أمير عن علاقتها بآدم، لتتحول أجواء اللقاء من حديث هادئ إلى نقاش حاد سريعًا.

أمير بصوت مرتفع: لقد كنتُ أعلم منذ البداية، لكن لم أستطع تأكيد إحساسي، الآن أصبح واضحًا.

فريدة بتذمر وهي تعقد ذراعيها: ما بال الجميع؟ إذا كان الكل يعلم، لماذا تجبروني على التحدث؟

أمير بنبرة لائمة: كيف سمحتِ لنفسكِ بالوقوع هكذا فريدة؟ إنه كان مهمة لديك.

فريدة: هذا شيء لا يمكن التحكم فيه أمير، ولم أكن أعلم حقيقته في البداية، وعندما اكتشفتُ لم أستطع الانسحاب.

أمير يسخر بغضب: حقيقته! جيد أنكِ ما زلتِ تتذكرين حقيقته، لكن الأسوأ أنك تعيشين في منزله بكل ثقة، ألا تخشِين أن تستيقظي يومًا لتجدي أعضاءكِ موزعة في أجسام مختلفة؟!

فريدة بسخرية: آدم لا يحتاج إلى هذا النوع من العمل أمير.

أمير في استنكار: حبًّا في الله فريدة، هذا رجل مافيا! ماذا تتوقعين أن يكون عمله؟ طبيبًا في مشفى؟ مستحيل، أهو ماله الذي أغراك؟

فريدة في غضب: ما الذي تقوله أمير؟ هل فقدتَّ عقلك؟

أمير بنبرة يملؤها خيبة الأمل: لا أعلم ماذا أقول بحق، لكنني لا أجد أيضًا أي سبب مقنع لما تفعلينه، كيف يمكن أن تخوني فريقك؟

فريدة تصرخ بغضب: توقف، أمير لا تتجاوز الحدود، عن أي خيانة تتحدث؟ هل تعتقد أن آدم يهتم أساسًا بوجودنا؟ لقد قررتُ الانسحاب من المهمة قبل قرار عودتي إلى صقلية وبقائي مع آدم، مهمة مثل هذه كانت تدمّرني من كل الجوانب.

أمير وهو ينهض بنبرة حادة: لا أستطيع تصديق أي كلمة مما تقولينه فريدة، وربما علينا ألا نرى بعضنا لبعض الوقت، هذا ليس صائبًا لمهمتي، وأيضًا لن أكون موجودًا لأجلكِ عندما يجرحكِ بشدة، كما تعلمين هذه ليست المرة الأولى.

فريدة في صدمة: ماذا تعني بذلك؟

أمير ببرود: أنت تعرفين جيدًا ما أعني، لا داعي للتوضيح فريدة.

خرج أمير من المقهى، تركها تجلس في صمت غارقة في أفكارها، غير قادرة على التنفس بشكل جيد بسبب يأسها من حديثها مع أمير، فجأة انقلبَت صدمتها إلى دهشة عندما جلس أمامها صاحب الهيبة.

فريدة في دهشة: سيدي، ماذا تفعل هنا؟

آدم بنبرة هادئة: عندما تكونين مستعدة للرحيل أخبريني لنعود إلى المنزل.

أومأت فريدة برأسها: أنا مستعدة، فلا يوجد شيء أنتظره هنا.

نهض آدم بثبات وتبعته فريدة، متجهَين إلى السيارة الرئيسية، أثناء الطريق كانت فريدة تسند رأسها على زجاج النافذة شاردة والحزن مخيم على وجهها.

فجأة مد آدم يده وأمسك خصرها بلطف يسحبها نحوه، ويضع رأسها على صدره.

فريدة بدهشة وهي ترفع عينيها إليه: سيدي!

آدم بنبرة دافئة وهو يحني رأسه ليقترب منها أكثر: لتستريحي

هنا.

أغمضت فريدة عينيها لتستسلم للنوم أخيرًا، كانت تبدو ملامحها هادئة وكأنها مرهقة من واقعها الذي تعيشه، آدم يسرق نظرات إليها بين الحين والآخر، كان يمرّر يده على شعرها بحنان ورفق.

آدم بنبرة عميقة يحدث نفسه: هل أنا السبب في كل هذا الحزن فتاتي؟ إنها المرة الأولى التي لا أستطيع فيها فعل الصواب، لماذا دائمًا تكون المرة الأولى لأي إحساس أشعر به معكِ أنت؟ وجودك بجواري أصبح يشكّل خطرًا لي أكثر من الخطر الذي أشكله عليك.

وصلت السيارة إلى القصر، وكان الحارس الشخصيّ ينتظر عند البوابة، آدم بحركة هامسة صارمة: هس، اصمت.

ترجل آدم من السيارة، ثم فتح باب فريدة، انحنى قليلاً وحملها بين ذراعيه، ضامًّا إياها إليه برفق، كانت إحدى يديه تحتضن خصرها، والأخرى تسند ظهرها بحنوٍ بينما ساقاها تستريحان على ذراعه، سار بخطوات ثابتة نحو غرفتها، عندما وصل فتحَ باب الغرفة بحذر كي لا يوقظها ووضعها على السرير بلطف، شعرَت فريدة بالحركة وبدأت تفتح عينيها ببطء.

آدم بنبرة هادئة: لم أقصد إزعاجك، فلتحاولي النوم مجددًا.

غادر الغرفة بهدوء، تاركًا فريدة لتكمل نومها بسلام.

مرت ثلاثة أيام في هدوء تام، كانت فريدة تستيقظ مبكرًا لتدريباتها اليومية، ثم تتناول وجباتها مع آدم، معظم الوقت كانت تقضيه بين المكتبة وحديقة القصر الكبيرة، لم تكن تدرك أن آدم يراقبها في كثير من الأحيان من بعيد محاولاً ألا تشعر بأنه يتطفل عليها.

في مساء اليوم الثالث كانا يتناولان العشاء معًا، كانت فريدة تأكل بصمت، بينما آدم يراقبها.

آدم يحمحم: هل أنتِ بخير؟

فريدة بهدوء: أجل.

آدم: أترغبين في الانسحاب؟

فريدة بدهشة: الانسحاب؟! من ماذا؟!

آدم: من وجودك معي.

فريدة ظهر عليها الاستياء: يكفي سيدي، أنت لم تجبرني على البقاء هنا، لذا هذا اختياري، وأنا مَن أرغب في ذلك بشدة، لكن هل أنتَ من يريد انسحاب؟

آدم بهدوء وثبات: لا.

عاد لتناول طعامه، بينما ارتسمت على وجهه طيف ابتسامة صغيرة، بالكاد تُلاحَظ.

فريدة بابتسامة رقيقة: لن نتحدث في هذا الموضوع مرة أخرى، حسنًا؟

آدم بنبرة هادئة: حسنًا.

ارتسمت السعادة على وجه فريدة.

آدم وهو ينظر إليها بتركيز: لماذا؟

فريدة ما زالت تبتسم: لا شيء.

آدم: أخبريني ما سبب هذه الابتسامة؟

فريدة في إعجاب: أنت تبدو لطيفًا للغاية عندما تخفي ابتسامتك، كما أن نبرة صوتك تتغير عندما تشعر بالسعادة، كأنك طفل صغير.

آدم وهو يميل بجزعه نحوها، مستندًا على الطاولة بإحدى يديه والأخرى تلامس ذقنها برفق: ألم أخبركِ من قبل ألا تدعِيني باللطيف؟ وأيضًا طفل؟! هل تشتاق فتاتي إلى العقاب وأنا لا أعلم؟!

فريدة تنهض من مكانها: لا، لا أشتاق إلى العقاب، وأنتَ لست سوى رجل عجوز مخيف، أجيد هكذا؟

ارتسمت ابتسامة واسعة على وجه آدم: عجوز؟!

اقترب أكثر منها، ثم حملها من خصرها ورفعها من على الأرض: أخبريني الآن، من العجوز؟

فريدة وهي تقهقه بصوت عالٍ: أنزلني، أنا كنت أمزح فقط.

قضى الاثنان وقتًا يمزحان فيه معًا، قبل أن يجذب آدم فريدة من معصمها فجأة: هيا، أنا في مزاج جيد اليوم، سأعزفُ لكِ شيئًا لطيفًا.

فريدة تتبعه وقد ارتسمت علامات التعجب على وجهها: ماذا؟ تعزف؟!

دخل الاثنان إلى غرفة كبيرة فارغة لا تحتوي على أي أثاث سوى بيانو أسود في منتصفها أمامه مقعد صغير، كان ضوء الغرفة خافتًا، يُضفِي جوًّا من السكون والحميمة.

فريدة في دهشة: أتستطيع العزف؟

آدم أومأ برأسه كجواب.

فريدة تبتسم: هذا شيء غير متوقع.

آدم: لماذا؟! هل لأنني رجل مافيا يعني ذلك أنني لا أجيد سوى استخدام السلاح؟!

تغيّرَت ملامح فريدة فجأة إلى القلق والتوتر: لا، لا، أنا لا أقصد ذلك، أعني أنك رجل صارم، فظننتُ تلك الأشياء لا تهمك.

آدم بنبرة هادئة: اهدئي فريدة، لا داعي للقلق، أفهم قصدك، أنا أعزف على البيانو لتقليل الضغط فقط، إنه طريقتي للهرب

من الضوضاء في رأسي.

جلس آدم على المقعد أمام البيانو، وألقى نظرة على فريدة الواقفة في مكانها.

آدم: هيا اجلسي.

فريدة وهي تنظر حولها: لا يوجد سوى مقعد واحد.

آدم يفرق بين ساقيه قليلاً: فريدة لن تحتاجي إلى مقعد وأنا هنا، إن المسافة بيننا لا تروقني.

اقتربت فريدة ببطء، جلست على حجرِهِ بين ساقيه مستندة برأسها على صدره: أتريحكَ هذه الوضعية أثناء العزف؟

آدم بنبرة حنونة: لم أكن مرتاحًا من قبل كما الآن.

ابتسمَت فريدة برقة مستسلمة للأجواء التي باتت هادئة ومريحة، وضع آدم أصابعه الطويلة شبه المنحوتة بالرقص فوق المفاتيح البيضاء والسوداء، كانت حركته سلسلة لتخرج من تلك المفاتيح لحنًا رقيقًا كهمسات تلامس الروح، كأنها تخاطب الجروح بلطف وتحثها على الاستيقاظ، كانت فريدة مستمتعة صامتة ومنصتة للَّحن، بدأت بعض من دموعها في التمرد وسقوطها ببطء من مقلة عينيها، توقفَ آدم فجأة عن العزف عندما شعر بحرقة دموعها التي سالت على عنقه، وضع يده على وجهها برفق وأمسك ذقنها ليرفع رأسها قليلاً،

آدم بصوت عميق: هيا أخبريني عن جروحك فتاتي.

تنهّدَت فريدة بعمق محاولة السيطرة على نفسها: لم أبكِ بسبب جروح، ولكن لحنك مؤثر للغاية.

رفع آدم حاجبه قليلاً، وبصوت عميق: مؤثر لأنه يعبر ألمي، وهذا يعني أنه لمسَ ألمكِ أيضًا.

فريدة: إذًا أخبرني عن ألمك وسببه.

آدم: عندما يحين الوقت سأخبركِ بكل شيء تريدين معرفته، الآن أريد معرفة كيف كانت طفولتك؟

ابتسمت فريدة بحسرة: كانت طفولة عادية ليس بها أي شيء مميز، لقد انفصل والداي وأنا طفلة رضيعة، عشتُ مع جدتي، ذهبَت أمي وتزوّجَت برجل آخر، وفعل أبي الشيء نفسه، كلاهما بدأ في تكوين أسرة سعيدة، لكنني لم أكن ضمنها، مرت السنوات ثم اكتشفَت جدّتي مرضها الذي وصل إلى مرحلة متقدمة، أخبرَت والدَيّ بذلك، وكل ما استطاعا فعله هو زيادة المال الذي كانا يرسلانه شهريًّا لرعايتي.

بدأ صوت فريدة يرتجف، عواطفها كانت واضحة في تعابير وجهها، يبدو الرجوع إلى تلك الذكريات كان يؤلمها بشدة.

آدم مسَّدَ على خصلات شعرها بدفء ورقة: فريدتي، أنا معك.

أومات برأسها سريعًا محاولة كبح دموعها، ثم أكملت حديثها بصعوبة.

فريدة ارتجف جسدها بينما دموعها تساقطت بغزارة، وصوت بكائها واضح، بدأت التحدث بين شهقات بكائها: أنا لم أكن حزينة بسبب مرض جدتي ولا بسبب تخلّي أهلي عنّي، ما آلمني حقًّا هو أنها كانت الشخص الوحيد الذي لم يتخلَّ عني وأنا لا أستطع مساعدتها، كنت عاجزة تمامًا عن تخفيف ألمها، الإحساس بالعجز كان يفتكُ بي، كانت أسوأ لحظاتي عندما أستيقظ ليلاً للذهاب إلى الحمام وأجدها ملقاة على الأرض غائبة عن الوعي، ظننتُ في كل مرة أنها قد فارقت الحياة.

حاولت أن تخفف من وطأة الحديث، وبابتسامة وسط دموعها: لكن يمكنني أن أخبرك بشيء مضحك وسط هذه الكآبة، أتود سماعه؟

أومأ آدم برأسه، وبصوت هادئ: بالطبع أخبريني.

ابتسمت فريدة في انكسار: أتتني دورتي الشهرية لأول مرة عندما كنتُ في الحادية عشر من عمري، لم أكن أعلم عنها شيئًا، عندما رأيتُها أصابني الفزع وخرجتُ أركض من المنزل إلى بيت جارتنا، طرقتُ بابها بكل قوتي وأنا أبكي بحرقة والهلع يستحوذ عليّ، صرختُ بأنني مصابة بنزيف خطير، ضحكَت

جارتنا وبدأت تشرح لي ما يحدث، لكنّني لعدة شهور كنت أخشى أن أصيب جدتي بعدوَى تلك الدورة اللعينة.

ضحكَت بخفة، وأكملت بصوت مبحوح: كنتُ أتمنَّى أن أكون طفلة همها الأكبر ألّا تُحرَم من الذهاب إلى مدينة الملاهي.

اقترب آدم منها أكثر، وضغط على خصرها بحنان، وضع رأسه على كتفها، وبصوت عميق متعاطف: فتاتي فريدتي ملكتي، توقّفي عن البكاء، سأعوّضُكِ عن كل تلك الأيام القاسية، سأجعلكِ طفلة مدلّلَة، طفلة لا تعرف الألم؛ لذا لا تتألّمي بمفردك، أنا هنا لأشاركك كل آلامك.

ابتسمت فريدة رغم آثار الدموع التي لا تزال على وجهها، أمسك آدم بيدها بلطف وحرك أصابعه على جلدها بدفء يشعرها بالأمان، انحنَى قليلاً برأسه وقَبَّلَ كفها بحنان.

فريدة نظرت إلى آدم بامتنان، وقد غمرَتْها مشاعر الراحة والسكينة: أشكركَ كثيرًا سيدي.

آدم بنبرة هادئة: هيا أخبريني ما هو لونك المفضل؟ وفصلكِ المفضل؟ خططكِ للمستقبل؟ ما الذي تفضلينه وما الذي تكرهينه؟ تحدّثي، دعيني أتعرف عليكِ أكثر.

فريدة في دهشة: أحقًّا تهتم بمعرفة تلك الأمور؟

آدم بثقة: أجل.

فريدة تبتسم في سعادة: لوني المفضل؟! في الحقيقة لدي لونان مفضّلان، الأبيض والوردي.

آدم: حقًّا؟ أتعلمين؟ إنهما يشبهانك كثيرًا، الأبيض يعكس صدقك وبساطتك، أما الوردي فهو يدل على حنانك وجمالك.

فريدة تهمهم.

آدم بحدة لطيفة: فريدة كم مرة تحدثنا عن هذا؟ استخدمي لسانك.

فريدة: حسنًا، ولكن لماذا تكره الهمهمة؟

آدم: مجدّدًا؟! لقد أخبرتكِ من قبل أنني لا أكرهها، أنا فقط لا أريد أن أضيع فرصة لسماع صوتكِ، وأيضًا أتمنَّى أن تهمهمي طوال الوقت، حتى أجد فرصة لعقابك.

فريدة تحدق في عينيه بتحد: وكيف ستعاقبني؟

آدم بنظرة غامضة، بينما أحد ذراعيه ما زال يحيط خصرها، استخدم إبهامه ليداعب شفتها السفلى ويقرصها برفق: هناك مليون طريقة أودّ أن أعقابك بها، هل تودين تجربة إحداها؟

فريدة أومأت برأسها، دون أن تدرك تأثير تلك الإيماءة.

بلمحة مفاجئة اقترب آدم بشفتيه منها، وكان زفيره الحار يلسع شفتيها مما سبَّبَ لها الخمول، افترس شفتيها يقبّلُها بشغفٍ وعنف، كانت يداه تحتضنان قفا عنقها معتصرًا

خصرها، فريدة رفعت يدها بحركة عفوية ولفَّتْها حول رقبته، آدم يسحب يدها أبعدَها برفق وفصَل القبلة.

آدم بنبرة عميقة: غير مسموح لكِ بلمسي.

فريدة بدهشة: لماذا؟!

آدم بعينيه اللتين تحترقان بشيء لا تستطيع فريدة وصفه: لأن هذا عقاب يا فريدة، أعلم أنه يبدو عقابًا لطيفًا، ولكن ليس كل عقاب سيكون لطيفًا مثله.

آدم أمسكها مجدّدًا، ومرّر يده على طول ظهرها ليقربها منه مرة أخرى، أسند جبهته على جبهتها، وهمس بنبرة خافتة تحمل بحّة عميقة: شفتاكِ تجعلاني أسيرًا لهما فريدة.

فريدة تتنهد بعمق: لقد أصبحتُ أسيرة لكَ بالكامل سيدي.

أمسكت وجهه بين كفيها بنعومة، بينما آدم يحاوط ظهرها بساعدِه ممسكًا نهاية خصرها بكفه.

آدم: لم تخبريني ما هو فصلكِ المفضل؟ كتابكِ المفضل؟ وأيضًا حلمك المستقبلي؟

فريدة بابتسامة مشرقة: فصلي المفضل هو الخريف، وكُتبي المفضلة هي القصص الخيالية، حيثُ كنت أبحث عن فارسي بداخلها.

آدم بنبرة هادئة: وكيف يكون فارسك؟

فريدة بثبات: يشبهك.

ضحك آدم بخفة: إن هذا اللسان خارج من الجحيم ليلعنني.

فريدة تخجل وتكمل حديثها في الماضي: كان حلمي أن أصبح كاتبة.

آدم: وماذا حدث؟

فريدة: الحياة لديها دائمًا خيارات أخرى.

آدم يعقد حاجبيه: لمَ كان في الماضي؟

فريدة: لا أعلم.

آدم بنبرة جادة: أنا لا أحب استخدام كلمة الماضي مع كلمة حلم في الوقت نفسه، طالما أنه ما زال داخل رأسك فهو لم يتحوّل إلى ماضٍ، هذا سيكون مستقبلكِ، وسأحرص على جعله حاضرك.

فريدة تبتسم بسعادة: حسنًا.

آدم: هل أصبحتِ تشعرين بتحسّن الآن؟

فريدة: كثيرًا.

آدم: جيد، هيا اذهبي إلى النوم، فلن أكون متساهلاً مع تأخّرُكِ بعد الآن عن التدريبات.

فريدة في تذمر: لكنني لا أتأخر.

آدم بصوت صارم: اذهبي إلى غرفتك فريدة.

فريدة تتجه إلى غرفتها حيث يرن هاتفها.

فريدة بمرح: مرحبًا صديقتي.

ليلى في سخرية: اشتقتُ إليك فريدتي.

فريدة في غضب متصنع: أيتها الحقيرة لا يحقّ لك استخدام هذا الاسم، إنه ملكٌ لشخص واحد فقط.

ليلى تضحك بصوت عالٍ: حسنًا، حسنًا أنا أمزح فقط، أخبريني كيف حالك؟ وكيف تسير الأمور؟

فريدة: لا شيء جديد، سوى غضب أمير وأنّه لا يريد رؤيتي أو حتى التحدث معي.

ليلى في دهشة: ماذا؟ ما الذي حدث؟

فريدة: لقد أخبرتُه عن علاقتي بآدم؛ فانفعل بشدة وأعربَ عن عدم قبوله، ولم يعد يثق بي، يظن أنني خائنة.

ليلى في هدوء: أعلم ما قد يشعر به أمير، في الأخير أمير رجل، والرجال لا يفكرون بعاطفة مثلنا، لن يتمكّن من فهم مشاعرك أو حتى الأمور الجيدة التي يفعلها سيد مافيا من أجلك، امنحِيه بعض الوقت، عندما يهدأ غضبُه سيعود كل شيء إلى طبيعته.

فريدة تتنهد: حسنًا.

ليلى: والآن أخبريني كيف تسير الأمور مع آدم؟

فريدة: لا شيء جديد كما قلت، تدريب في الصباح وقضاء

باقي اليوم بمفردي في المكتبة أو الحديقة، لا شيء مختلف وكأنني في معكسر تدريبي!

ليلى في ذهول: ألم تخرجا في موعد بعد؟

فريدة: لا، لكن ليلى حدث اليوم شيء غريب جدًّا.

ليلى بفضول: ما هو؟

فريدة: سألنى آدم عن لوني المفضل وفصلي المفضل وكتابي المفضل، وحتى عن حياتي السابقة، مع أنه أخبرني من قبل أنه لا يهتم بتلك التفاصيل ولن يهتم بها.

ليلى في حماس: حقًّا؟ هذه خطوة جيدة، يبدو أن خطتكِ مع الأسود لم تكن سيئة أبدًا.

فريدة في شك: لا أعلم، أظن أنه لم يلاحظ الأمر.

يستمر حديث ليلى وفريدة لفترة من الوقت، حتى تنتهي المكالمة بينهما، تتوجه فريدة إلى النوم.

اليوم التالي، ظهر آدم في مكتبه بالشركة، الباب يُفتَح لتدخل مساعدته الشخصية، ينظر إليها بطرف عينه علامة على انشغاله.

المساعدة الشخصية في هدوء: لقد وصل سيدي.

آدم: حسنًا، أدخليه.

يدخل أمير المكتب ببرود مسيطر على ملامح وجهه.

آدم: تفضل بالجلوس.

أمير يجلس بدون أي تعليق، يخيم الصمت بين الطرفين وكأن هناك حربَ نظرات خفية بينهما.

آدم: بدون مقدمات، لنتحدث بصراحة، ما هو سبب الخلاف بينك وبين فريدة؟

أمير في نبرة حادة: ما بيني وبين فريدة ليس من شأنك.

آدم يحدق بأمير بنظرة سامة وتعلو وجهه ابتسامة ساخرة: من تتحدث عنها هي امرأتي، وكل ما يدور حولها من صغيرة وكبيرة من شأني؛ لذلك دعنا لا نتحدث عن هذا الأمر مجددًا.

أمير: إذًا ما الذي تريد التحدث عنه؟

آدم بنبرة صارمة: لقد طرحتُ سؤالاً ولم أجد إجابة، وهذا شيء أبغضه بشدة، سأعيد سؤلك بشكل مختلف، هل أنتَ غاضب من فريدة بسبب علاقتها بي؟

أمير بنبرة غاضبة: أكثر مما تتخيل، كيف أشعر بالراحة وهي على علاقة برجل مافيا تربطها صلة به وتعيش في منزله، أنا لا زلتُ أتذكر جيّدًا الخلاف الذي كان بينكما لتستفيق بعدها وتجد نفسها ملقاة في الشارع وجسدها مرسوم عليه كل أنواع التعذيب، ربما ظنَّت فريدة أن صمتها سيخفي حقيقة الأمر، لكننا جميعًا نعلم الحقيقة.

آدم بنظرة حادة وبنبرة حاقدة: لا تتحدث عن شيء تجهله.

أمير: وماذا عن تركها للمهمّة بسببك؟

آدم ببرود: هذا الأفضل لها.

أمير في سخرية: أرأيت؟ هذا ما أتحدث عنه.

ينهض آدم من مكانه ويتجه إلى أريكة جلدية بجوار مكتبه، ويجلس عليها بارتياح ظاهر، وبنبرة جافة باردة: دعني أسألك سؤالاً أمير، هل تعتقد حقًّا أن وجودكم سيؤثر عليّ؟ لا أقصد الإهانة بالطبع، لكن هل ترى أن فريقًا مكوّنًا من خمسة صحفيين قادر على القبض على زعيم مافيا أو إيقاف عملية اغتيال؟

أمير يلتزم الصمت بينما يفكر في كلام آدم، وهو يعلم بداخله أن ما يقوله صحيح.

آدم بهدوء: ولا أعلم كيف لخمسة أشخاص أن يصدّقوا هذا الهراء، لأخبرك شيئًا.. فريدة ليست الخائنة، بل هي من تعرَّضَت للخيانة.

أمير في ذهول: ماذا تقصد؟

آدم بنبرة صارمة: يكفي علمكَ لهذا الحد، فريدة لن تجد شخصًا يحميها مثلي، أيضًا لا أحب أن يقلق شخص آخر على امرأتي أيًّا كانت نوع العلاقة بينهما، تلك مشاعر القلق والحماية

من المشاعر التي لا أحب أن أشاركها مع أحد، يكفي أنّني أسمح بأنها تشاركك وقتًا خاصًّا كان من المفترض أن يكون لي وحدي.

أمير بنبرة حادة: فريدة ليست ملكًا لك لتتحدث عنها بتلك الطريقة، سأشعر نحوها بما أريد ومتى شئت.

ينهض آدم من مكانه ويتحرك نحو أمير والغضب واضح في ملامحه: لقد حذرتك.

أمير يهز كتفيه بلا مبالاة ويخرج من المكتب.

في المساء كانت فريدة تقف في الحديقة أمام العدم شاردة، بينما بدأت قطرات المطر في النزول، يصل آدم إلى القصر ويبدأ في البحث عنها، يجدُها في الحديقة تقف تحت المطر، يقترب منها بخطوات هادئة، ثم يمد يديه ليحيط خصرها من الأمام ليصبح ظهر فريدة مقابلاً لصدره، آدم بصوت هادئ دافئ: فيمَ شاردة فتاتي؟

فريدة تضع يدها بلطف فوق يده التي تحتضن خصرها، ثم همست له: كنتُ أفكر بك.

آدم: حقًّا؟! وما الذي تفكرين فيه بشأني؟

فريدة: كيف يمكن لسيدي أن يتركني بمفردي في هذا القصر الكبير كل يوم؟ هل يجب أن أعاقبه؟

آدم يضحك ضحكة صاخبة تبرز أسنانه البيضاء: هكذا

إذًا؟ كيف لك التمرد على سيدك يا فتاة؟

فريدة تنظر خلفها على وجه آدم في دهشة: إنها المرة الأولى التي أراكَ تضحك فيها بهذه السعادة.

آدم بابتسامة دافئة: هذا لأنكِ فتاة مسلية، وأحب قضاء الوقت معك.

فريدة تبتسم دون تعليق، آدم يميل نحوها امتصَّ عنقها برقة، ثم أسفل حنجرتها، وهمس بصوت عذب: اشتقتُ لفتاتي.

فريدة متأثرة: وأنا اشتقتُ إليكَ كثيرًا كثيرًا كثيرًا.

آدم يرفع حاجبه وهو يبتسم: لهذه الدرجة؟

فريدة: نعم، بالكاد أراك وقت التدريب والعشاء فقط.

آدم: حسنًا، سأعوّضكِ عن ذلك لا تقلقي.

فريدة ترد بابتسامة رقيقة، في تلك اللحظة يبدأ المطر بالهطول بغزارة.

آدم: هيا لندخل، ستصابين بالزكام.

فريدة تومئ برأسها موافقة، يمد آدم يده الأخرى ممسكًا بباقة من الورود، ويحمحم بتوتر: خذيها.

فريدة بسعادة مصحوبة بالدهشة: هل اشتريتَ لي وردًا؟

تنظر إلى الباقة فتجدها من زهور التوليب.. النوع المفضل لديها باللونين الأبيض والوردي.

آدم يحاول إخفاء ارتباكه: كنتُ أسير بالسيارة ووجدتُّ رجلاً يبيع الزهور في هذا الجو الماطر؛ فاضطررتُ أن أشتري منه لمساعدته.

فريدة وهي تضحك في سخرية: كم أنا محظوظة، كان صدفة أن الرجل يبيع زهور التوليب المفضلة لديّ وبألواني المفضلة في منتصف الطريق.

آدم يبتسم وهو يضع يديه في جيوبه: اصمتي ولا تتشاكسين، أنا من اشتريتُه، هيا للداخل.

يدلف إلى الداخل بينما تلحق به فريدة بخطوات واسعة وهي تتشبث بذراعه متأملة الورود في سعادة، آدم يلاحظها.

آدم يصعد إلى غرفته لتغيير ملابسه، يسمع طرقًا على الباب.

آدم: ادخلي.

تدخل فريدة بخجل: مرحبًا.

آدم ينظر إليها باستغراب: مرحبًا.

فريدة: جئتُ لأشكركَ على الورود، إنها أعجبتني بشدة.

آدم بابتسامة هادئة: على الرحب فتاتي، لكنكِ شكرتِني من قبل، فما الذي أتى بك؟

فريدة في حرج تحاول إخفاؤه: حسنًا، صحيح أنّني شكرتك، لكن في الحقيقة في المرة الماضية عندما كنتُ في غرفتك لمحتُ

وشمًا على ظهرك، ومنذ ذلك الوقت والفضول يقتلني لمعرفة شكله وقصته.

آدم: إذًا لكِ ما طلبتِ فتاتي.

يخلع قميصه ليظهر الجزء العلويّ من جسده عاريًا، ثم يدير ظهره نحوها.

كان الوشم بارزًا بدقة مميزة على ظهره، مرسومًا على شكل ذيل عقرب، كان تصميمًا معقد التفاصيل، يجسّد الذيل بشكل واقعيّ.. اللون الأسود هو الذي طغَى على التصميم، داخل هيكل الذيل امتدَّت خطوط ملونة بألوان مختلفة.. الأحمر والبرتقالي وخط واحد باللون الذهبي.

فريدة تلمس الوشم بأطراف أصابعها برقة، وفي دهشة: يا إلهي! إنه مرسوم بدقة وكأنه حقيقة، تفاصيله الصغيرة مذهلة.

آدم: أعلم.

فريدة في فضول: لماذا ذيل عقرب؟ وماذا تعني الخطوط الملونة داخله؟

آدم في جدية: ذيل العقرب لأنه أقوى جزء فيه وأخطره، أما الخطوط فهي عدد الأشخاص الذين أمرتُ بقتلهم، سواء كانوا أبرياء أو ضحايا أو لا يستحقون القتل، أبقيها على جسدي لأتذكر دائمًا ما فعلتُه وألّا أنسى أبدًا.

فريدة تنظر إليه بصمت، لم يعلم آدم بماذا تفكر، بينما يرتدي قميصه الرياضيّ مجدّدًا، آدم في ثبات مصحوب بغضب: لقد أجبتُكِ على سؤالكِ، هيا للأسفل، سأكون مستعدًا خلال دقائق لتناول العشاء.

تخرج فريدة من الغرفة، تجلس على طاولة الطعام منتظرة آدم، يتناول الاثنان عشائهم وسط أجواء هادئة.

اليوم التالي تستيقظ فريدة كعادتها مبكرًا للتدريبات، أثناء جلوسها يصلها إشعار على هاتفها برسالة من أمير: صباح الخير، أعلم أنك تستيقظين مبكرًا، أودّ مقابلتك اليوم لأتحدث معك.

فريدة ترسل رسالة: بماذا؟

أمير: عندما نتقابل ستعلمين.

فريدة وأمير يحدّدان المكان والوقت للقاء، ترتدي فريدة ملابس التدريب وتنزل للأسفل.

فريدة وصلت أمام المقهى مع حارسها، تترجّل من السيارة، لم يكن أمير قد وصل بعد، تطلب قهوتها وتبدأ في شربها.

أمير يصل إلى المقهى: أرى أنكِ بدأتِ شرب قهوتك بدوني.

فريدة بنبرة حادة: لم أكن أعلم أن هذا أصبح يهمك بعد.

أمير: فريدة، لا تتصرفي هكذا.

فريدة بنبرة متجهمة: إذًا بأي شكل تريدني أن أتصرف؟ هل

يعقل أنك لا تتذكر كلامك في المرة السابقة؟

أمير (يحك ذقنه بتوتر): بخصوص هذا الأمر، أعتذر بشدة، فأنتِ تعلمين إلى أي مدى أحبّك، لقد شعرتُ بقلقٍ شديد وخفتُ من أن يصيبك مكروه مع هذا الرجل، كما أنّني مرعوب من أجدك محطمة القلب بسببه؛ فأنا أعلم جيّدًا أنك تحبينه بقوة، وحينها سأكون عاجزًا عن مساعدتك، فجرح القلب لا يشفَى بالمساعدة يا فريدة، وأنت خير من يعلم ذلك، لذا أرجوكِ سامحيني على ما حدث المرة السابقة، أعلم أنها كانت قاسية عليك، ولكنها كانت قاسية عليّ أيضًا؛ فأنا لا أتحمل حزنك أو بعدكِ عنّي.

فريدة ببرود: حسنًا.

أمير بسخرية: فقط حسنًا؟! يبدو أنك تحتاجين إلى عناق قويّ لتغفري لي.

فريدة بتوتر: لا لا، لقد سامحتك حقًا.

أمير يقهقه بصوت عالٍ: لا تقلقي لن أعانقك، أصبحت لديّ فكرة واضحة عن رفضك للعناق، فأنتِ مع رجل متسلط متحكم.

فريدة تضحك بنبرة مرتفعة: شاب ذكيّ، كيف عرفت؟

أمير: لقد قابلتُه.

فريدة في قلق: ماذا؟ متى حدث هذا؟ وهل تشاجرتُما؟

أمير: اهدئي لم يحدث شيء، كانت مجرد محادثة عادية، لقد طلب رؤيتي، وذهبت إلى مكتبه، كان النقاش يدور حول الخلاف الذي حدث بيننا، وأراد توضيح أنكِ لم تخلطي بعلاقتِكِ به وبين المهمة ولم تحاولي مساعدته.

فريدة تضرب أمير على مقدمة رأسه: أيها الغبي، وهل شخص بهذه القوة والنفوذ يحتاج مساعدتي؟ هل هذا ما جعلك تتحدث معي؟

أمير في تذمر: فريدة هذا يؤلمني، لا، لقد اشتقتُ إليكِ، هذا ما جعلني أرسل لكِ، كما شعرتِ بالاطمئنان قليلاً لوجودكِ معه؛ فقد لمحتُ الصدق في كلامه ومشاعره، وأدركت أنه يهتم لأمرك.

فريدة تبتسم بسعادة: لكن كيف علم؟

أمير: ألم تخبريه أنتِ؟

فريدة تهز رأسها نفيًا: لا، لم أخبره شيئًا.

مضى اليوم والصديقان يجلسان يتشاركان الحديث والضحك المستمر حتى ينتهي اللقاء، تودع فريدة أمير، وتعود إلى القصر، تذهب إلى غرفتها لتبديل ملابسها؛ فتُفاجأ بآدم جالسًا على الأريكة بجوار سريرها ممسكًا بعصاه السوداء.

فريدة في دهشة: آدم! ماذا تفعل هنا؟

آدم بهدوء حاد: أنتظرك.

فريدة تبتسم برقة وتقترب منه، آدم يبتعد عنها بنظرات متكهفرة وفكّه مشدود.

فريدة نظرت إليه باستفسار: لماذا هذه النظرات؟

آدم رصّ على حروفه ليجيب بنبرة بطيئة: كم مرة أخبرتُكِ عن خرق القوانين؟

فريدة في تعجب: أيّ قوانين خرقتها؟

آدم بنبرة غاضبة: ماذا؟ لا تعترفين بخطئكِ أيضًا؟

فريدة تشهق بألم لشفتَيه التي قبّلَت عظام عنقها من الخلف بقوة، بينما أمسك بخصرها بعنف ليؤلمها بنبرة خشنة بجوار أذنها: كيف لامرأة ناضجة مثلك أن تكرّر الأخطاء نفسها مرارًا وتكرارًا؟ هل ظننتِ بسبب دلالي لكِ أن القوانين انتهَت وأن العقاب سيكون على هواكِ، مخطئة فريدة.

يحرك آدم عصاه بلطف على فخذها المشكوف بفعل شقّ الفستان الأسود الذي ترتديه، ثم يضربها بقوة على فخذها.

فريدة تتأوه بألم: سيدي، أنت حقًّا تخيفني.

آدم: جيد؛ فالخوف مطلوب.

فريدة متألمة: اتركني، أنت تؤلمني.

آدم في ببرود: تألّمي لتتعلمي.

فريدة بدأت في ذرف الدموع بغزارة، بينما آدم كان يحدّق بها بصرامة، أمسك على ذقنها بقوة وألقى كلامه بنبرة بتسلّط: توقّفي عن ذرف الدموع؛ فهي لن تنفعك الآن، أمامك خمس ثوان لتعترفي بأخطائك وإلا عاقبتُكِ بقسوة لا تتخيليها.

سيطرت على فريدة علامات الذعر، تفكّر في كلامه، بينما شهقات بكائها تختلط مع كلماتها المرتعشة: لقد خرجتُ من المنزل دون أن أُعلِمَك.

آدم: جيد، مدّي يديك إلى الأمام.

مدت فريدة يديها ببطء، بينما رفع آدم العصا بحذر وضربها بخفة ضربة غير مؤلمة، لكن استياء فريدة من تصرفاته كان أقوى على قلبها من أي ألم جسدي.

آدم بنفس النبرة المتسلطة: ماذا أيضًا؟

فريدة ونبرة صوتها ترتجف من كثرة البكاء: لمستُ أمير بيدي.

اشتعل الغضب في صوت آدم فجأة: إذًا أنتِ تعلمين، لماذا تتظاهرين بالغباء فريدة؟

ثم أمرها بصرامة: يديكِ إلى الأمام.

مدَّت فريدة يديها مرة أخرى، ولكن هذه المرة زاد آدم من قوة الضربة.

آدم: أكملي، يبدو أنّ العقاب ينعش ذاكرتك.

فريدة كانت تختنق من كثرة البكاء: حقًّا لا أعلم ماذا أيضًا؟

آدم بنبرة هادئة لكنها مشحونة بالسيطرة: لقد عُدتِّ إلى المنزل بعد عودتي، وهذا شيء غير مقبول.

فريدة بصوت مرتجف وشهقات عالية: حسنًا، لم أكن أعلم بهذا القانون.

آدم بنبرة صارمة: لماذا؟! لقد أخبرتكِ به من قبل.

وبنبرة صارمة: هيا اعتذري فريدة.

فريدة صمتَت ولم تنطق؛ مما جعل آدم يجزّ على أسنانه بعصبية: فريدة!

فريدة بصوت ضعيف ومخنوق: آسفة.

ترك آدم الغرفة وغادرها، بينما علا صوت بكاء فريدة بشدة، تمتمت بغضب: أيها الساقط اللعين، ماذا تظن نفسك لتفعل بي هذا؟

قضت فريدة ليلتها في الغرفة دون تناول العشاء.

اليوم التالي، رن منبه هاتفها لتستيقظ على صوت رسالة، آدم: لا تتأخري على التدريب؛ فهذا ليس له علاقة بعقابك.

فريدة بتذمر وغضب مسيطر عليها: لا يعقل أن يكون هذا إنسانًا.

استعدت وارتدت ملابسها من أجل التدريب، انتهى اليوم دون أحداث تذكر، قضَت يومها في المكتبة ثم ذهبت للنوم.

أثناء نومها، استيقظت فريدة بفزع على صوت الرعد؛ حيث كان لديها رهاب البرق والرعد منذ طفولتها، قرّرَت الخروج من غرفتها لتتجول في طرقات القصر، حيث يساعدها المشي في تخطّي الصوت لعلَّها تهدأ قليلاً، لكن المشي في القصر الكبير بممراته المظلمة زاد من خوفها.

كان آدم قد خرج من مكتبه متجهًا إلى غرفته، عندما لمح ظلاً يتحرك بخفة تبعه بحذر حتى تأكد أنها فريدة.

فريدة ما زالت تسير بدون وجهه واضحة والخوف يسيطر عليها، تفاجأت عندما سحبَها آدم من الخلف، أغمضَت عينيها وأطلقت صراخًا عاليًا بينما بدأ جسدها يرتجف بقوة، جذبها آدم إلى حضنه وأخذ يربت على ظهرها صعودًا ونزولاً بحركة مهدئة واضعًا ذقنه على رأسها، وبصوت هادئ ودافئ: شش، اهدئي فتاتي، هذا أنا، ما السبب وراء هذا الذعر؟

رفعت فريدة بصرها إليه، وعيناها مليئتان بالخوف، وجسدها ما زال يرتعش بشدة: أنا خائفة جدًّا آدم.

شدّد آدم من احتضانها ضاغطًا على جسدها بقوة أكبر حتى التحم جسده بجسدها داخل حضنه ليمنحها شعورًا بالأمان:

مِمَّ تخافين؟ أنت هنا بأمان.

فريدة بصوت مبحوح: أعلم، لكن لديّ رهاب البرق والرعد منذ طفولتي.

آدم: لا تقلقي فريدتي، أنا معكِ.

يمسكها من معصمها: هيا، ستنامين في غرفتي الليلة.

فريدة تتذكر غضبها من آدم، فتترك يده: لا، سأنام في غرفتي.

آدم: أعلم أننا متخاصمان، لننسَى خصامنا الليلة وفي الصباح عند هدوء العاصفة يمكننا أن نتخاصم من جديد.

فريدة تومئ برأسها بالموافقة: حسنًا موافقة.

آدم يسحب فريدة من كفها، يشبك أصابعه بأصابعها معًا ويذهبان إلى غرفته، فريدة ما زال جسدها يرتجف مع كل صوت يصدره الرعد، آدم يجلسها على الأريكة المقابلة لسريره ويضع لها سماعات الأذن: هيا اسمعي هذه الموسيقى، سأذهب للاستحمام سريعًا، هل ستكونين بخير لوحدك؟

فريدة تومئ برأسها بالموافقة.

آدم يربتُ على رأسها: فتاة جيدة، لن أتاخر.

يذهب آدم للاستحمام، فريدة تظلّ جالسة في مكانها حتى يخرج، آدم يقترب من فريدة ينزع عنها السماعات، آدم: هيّا فريدة لنذهب إلى النوم.

فريدة: لا، سأنام هنا على الأريكة.

آدم: فريدة، لقد اتفقنا بشأن خصامنا.

فريدة تومئ برأسها بالرفض.

آدم يرفع حاجبه بملل: حسنًا كما تريدين.

يذهب إلى سريره ويحضر لها غطاء.

آدم ببرود: خذي؛ فالطقس يصبح أكثر برودة ليلاً.

فريدة: شكرًا.

تستلقي على الأريكة تعدل من نومها، تمضي فترة قصيرة من الوقت، فريدة تحاول النوم مرة أخرى، لتجد آدم يمسّد على شعرها برفق، آدم بنظرات غامضة لم تستطع فريدة فهمها، وبنبرة هادئة: لنتصالح، اشتقتُ إليك!

فريدة: ليس الآن آدم؛ فقد كان عقابك قاسيًا وما زلتُ متألمة منه.

آدم في توتر: ماذا؟! أين يؤلمك؟ أخبريني.

فريدة: ليس جسدي ما يؤلمني، بل قلبي.

آدم: أتعلمين ما هو أجمل ما في العقاب؟ المكافأة التي تأتي بعده.

فريدة: لا أفهم.

آدم: أنتِ الآن معاقبة؛ فشعرت بحزن، ثم سآتي لمصالحتك

فيتحوّل كل الحزن الذي شعرتِ به إلى سعادة تغمركِ، وهذا أجمل شعور، أو ليس؟

فريدة: لكنني لن أحصل على مكافأتي.

آدم: إنه ليس أمرًا اختياريًّا فريدتي، فكما عاقبتكِ سأكافئكِ.

ما كانت فريدة تلفظ كلمة حتى اصطدم شفتاه بشفتَيها بعنف، أغمض آدم عينَيه يمتص شفاه فريدة بتلذّذ، أخذت فريدة تحرك رأسها يمينًا ويسارًا رافضة تقبيله، ضغط آدم على عنقها بيده يمنعها من الحركة، رفع ساقَها لتحيط خصره معتصرًا فخذها بخشونة؛ لتصبح فريدة جالسة في حضنه، كان آدم يحدّق في عينيها بحنان وبصوت دافئ: هيا لنتحدث، يكفي عنادًا فريدة، ألم تشتاقي إلى ملكتي؟

فريدة هزت رأسها بالرفض، وبنبرة حادة: لا لم أشتق إليك، بل اكتشفتُ أيضًا أنّني أكرهك بشدة.

اقترب آدم وأمسك ذقنها بأطراف أصابعه بلطف، وطوق خصرها بذراعه: توقّفي فريدتي عن هذا الكلام السيئ، أعلم أنكِ غاضبة؛ فهذا شيء جديد ولم تختبرِيه من قبل، ولكننا تحدثنا عن هذا الأمر سابقًا وأخبرتُك، أو لا؟

فريدة بنبرة ساخطة: أجل لقد أخبرتني، لكنّكَ لم تخبرني أن العقاب سيكون جادًّا إلى هذا الحد.

نظر إليها آدم بملامح مظلمة، وبنبرة صارمة: وهل تظنين أنني رجل يمزح فريدة بشأن كلامه.

ثم لانت ملامحه فجأة: أنا أشعر بالسوء وأنا لا أتحدث معكِ، ولا أتناول طعامي بشكل جيد وأنتِ لستِ بجواري، وعندما أعود إلى المنزل ولا أجدكِ في انتظاري يجعلني أشعر بالخنقة.

فريدة بنبرة متأثرة: آدم، أنا أحاول دائمًا إرضاءكَ، لكنك لا تتوقف عن التذمر بشأن أفعالي.

أمسك آدم بيديها وقبَّلَ ظهرهما برقة، وبنبرة حنان: أعلم فريدة، أعلم ما تمرين به بسببي.

قرب آدم شفتيه من شفتيها وعيناه تعانقان عينيها، وهمس: أريدكِ هكذا دائمًا، لا تحرميني من وجودك، أنتِ مِلكي فريدة، ملكي وحدي.

فريدة منحَتْه ابتسامة صغيرة: وأين يمكنني الذهاب؟ أنا أنتمي إليك.

آدم بنبرة جادة: أجل أنتِ تنتمين لي أنا فقط.

ألقت فريدة زراعيها حول عنقه، وأخذت تداعب شعره من الخلف، صارت نظراته ناعسة وهو يجذبها إلى حضنه بشوق، تنهَّد آدم بعمق ومسد على شعرها صعودًا وهبوطًا، وهمس: اشتقتُ إليكِ كثيرًا.

فريدة سحبت يديه وشبّكَت أصابعها بأصابعه، وبنبرة دافئة: أنا أيضًا اشتقتُ إليك.

قبض آدم على أناملها بلطف وجفناه يعانقان عينيها بشغف.

فريدة في تعجب: ماذا تعني هذه النظرة؟

آدم بنبرة هادئة: لا تهتمي.

بعد فترة بين الطرفين، آدم: أتدرين فريدة؟ شعركِ الطويل هو أحد الأشياء التي أحبها كثيرًا فيكي.

ابتسمت فريدة في خبث: لم أكن أعلم أنكَ من هذا النوع من الرجال.

ضحك آدم بصوت رنان: يا لكِ من فتاة فاسقة مشاكسة.

ثم داعب ذقنها بإبهامه: أنا لست ذلك الرجل الذي يستخدم العنف ليؤلمك، يمكنني أن أجعلكِ تتألمين دون أن ألمسكِ، لكن الألم لا يليق بالملكات، وبما أنك ملكي يا فريدة فأنتِ ملكة.

وضع آدم جبينه على جبينها، وبملامح مخدرة: أنفاسي على جسدك كفيلة بأن تأخذكِ إلى النعيم فريدة، كلّ نفس يخرج مني يعبر عن إحساسك أنتِ، فكيف يكون إحساسكِ وهو يضرب جسدك؟ إنه الألم الممتع، أوليس؟

نظرت إليه فريدة بعمق، واعتصرت أنامله الملتفة حول أناملها بشدة، وهمسَت: أعتقد ذلك.

مرر آدم أنامله يتلمس شفتيها: سأخبركِ لماذا أحب شعركِ الطويل، عندما تنامين بجواري على السرير ستكون هذه أول مرة أشارك فيها أحدًا سريري، أنا شخص متملك للغاية فريدة، وأحب عندما نتشارك السرير نتشارك كل شيء.. أنفاسنا.. لمساتنا.. هوائنا.. حتى أحلامنا، وعندما أفتح عيني أريد أن يكون وجهكِ وجسدكِ أول ما تقع عليه عيني، وشعرك الطويل هذا سيحقق لي ما أخطط له.

فريدة في دهشة: وكيف ذلك؟

آدم: لنذهب إلى النوم وسأريكِ، أيضًا تأخر الوقت كثيرًا.

فريدة: حسنًا.

يجتذب آدم يد فريدة بلطف من معصمها ويقودها إلى السرير، آدم بنبرة واثقة: هيا افردي شعركِ على الوسادة باتجاهي.

فردَت فريدة شعرها الطويل، بينما تمدَّد آدم بجانبها على السرير، وضع رأسه على شعرها المفرود، آدم بنبرة هادئة: هكذا أصبحتِ حبيسة سريري ملكتي.

ابتسمت فريدة، واقتربت منه لتقبّل جبينه برقة: كيف يمكنني ألا أحبك؟

رد آدم وهو يغمض عينيه: ومن قال لا تحبيني؟

فريدة في دهشة: ماذا؟ أتريدني أن أحبك؟

آدم بنبرة غامضة همهم كجواب.

فريدة في تردد: ولكن قد أخبرتني أن الأمر مجرد وقت حتى تشعر بالملل، وكل منّا يمضي في طريقه.

آدم بثبات: لم أقل أبدًا أنني سأشعر بالملل فريدة، ولن تذهبي، ستبقين أسيرة لديّ إلى الأبد، وسأحرص على ذلك.

فريدة بملامح متعجبة: أصبح فهمُكَ صعبًا جدًّا.

آدم بنبرة جادة: يمكنكِ أن تحبيني فريدة، والآن إلى النوم، لن أتساهل معكِ إذا تأخرتِ عن الاستيقاظ غدًا، حتى لو نمتِ متأخرًا.

فريدة في تذمر: أنت بلا قلب.

ابتسم آدم وقضم باطن وجنتيه ليمنع نفسه من الضحك: نامي.

بعد فترة، أغمضَت فريدة عينيها واستغرقت في نوم عميق، عندما استيقظَت رأت آدم واقفًا مرتديًا قميصًا أسود بأكمام قصيرة وسروالاً رياضيًّا أسود.

فريدة بصوت ناعس: صباح الخير.

آدم بصرامة: صباح الخير، أمامكِ اثنتا عشرة دقيقة ليبدأ التدريب، والتأخر دقيقة على التدريب يمدّ من وقته نصف ساعة، أنتِ تعلمين هذا؛ لذا أنصحك بالنهوض سريعًا.

فريدة في تذمر: ما هذا الصباح؟ يا لك من مزعج!

ضحك آدم بصوت عالٍ، كان صوت ضحكته رنانًا كالموسيقى، وكأنه يضحك بسعادة للمرة الأولى، وبنبرة هادئة: غبية.

ابتسمت فريدة بدورها لضحكته العذباء: حسنًا، يبدو أن الأمور تبدأ في التحسن.

اقترب آدم منها، داعبَ شعرها، وقال بحنان: هيا استعدي.

نهضَت فريدة للاستعداد، ومر اليوم بين التدريبات والقراءة.

اليوم التالي...

في المساء، كانت فريدة في المكتبة جالسة على أريكتها المفضلة غارقة بين صفحات كتابها، فجأة سمعَت صوت حمحمة خفيفة، رفعَت رأسها لتجد آدم يقف عند الباب، نهضت فريدة بسرعة وسارت نحوه بشوق، طوّقَت خصره بذراعيها ودفنَت وجهها في صدره تستنشق رائحته بعمق: لقد أتيتَ، كنتُ أفكر بك كثيرًا طوال اليوم.

آدم بنبرة خشنة: وأنتِ لم تغادري عقلي طوال اليوم.

ابتسم آدم وهو يقدم لها باقة من زهور التوليب المفضلة عندها باللونين الأبيض والوردي.

ابتسمت فريدة بسعادة وهي تتأمل الزهور: قد أعتاد على هذا الدلال، وسأرهقكَ به.

آدم في نبرة جادة: أنا رجل متقلب المزاج، لكن سأحرص على تدليلكِ معظم الوقت.

آدم حبس ذقنها بين أنامله وأراح خدّه على خدها، التقط شفتَيها بين شفتَيه وقبّلهُما برقة، وهمس بصوت خافت: ما الذي فعلتِه بآدم يا فتاة؟ شيء يحدث لي ويغيّرني من الداخل بسببك ولا أحب هذا، أصبحتُ لا أشعر بأنفاسي إلا باستنشاق أنفاسك فريدة.

وضعت فريدة كفها على وجهه بحنان، انحنى آدم وقبّلَ باطن كفها، ثم أراح برأسه عليه، فريدة همست: هذه هي الفوضَى التي أحدَثْتَها بداخلي آدم، أول مرة رأيت تلك السوداوتين علمتُ أنني لن أتحرر منك.

أخذ آدم باقة الزهور من يدها ووضعها على الطاولة الصغيرة بجانب الأريكة، ثم رفع فريدة عن الأرض وجعل ساقيها تلتفان حول خصره، واتجه بها على الأريكة: هيا أخبريني ملكتي كيف كان يومك؟

فريدة بدأت تتحدث بحماس: وجدتُّ كتابًا نادرًا اكتشفتُه بالصدفة بين الكتب، وكان لديّ فضول كبير لقراءته.

لكن آدم كان ضائعًا في ملامحها، شاردًا لا ينتبه إلى حديثها.

فريدة ابتسمت برقة: سيدي، هل أنت معي؟

أومأ آدم برأسه وتنهد بعمق: وأين يمكنني أن أكون؟ فريدة أخبريني ما هي الأمور الرومانسية التي أردتِّ تجربتها مع فارسك؟

فريدة همهمت، ثم قالت بتأمل: حسنًا، دعني أفكر قليلاً، أريد الرقص معه تحت المطر والمياه تغرقنا، السير في الشوارع الفارغة ليلاً، مشاهدة فيلم معًا، رؤية شروق الشمس وغروبها، إعداد الطعام له، وهناك شيء آخر.. قرأتُ مرة في رواية عن عشاء بين حبِيبَيْن داخل غواصة تحت الماء، أردتُّ تجربة هذا الشعور كثيرًا، لكن لا أعلم إن كان هذا ممكنًا أو لا.

آدم بنبرة هادئة: وماذا أيضًا تريدين؟

فريدة هزت رأسها، وقالت بابتسامة: يكفي هذا الحد فقط.

آدم: فريدة، أريد أن أسألكِ شيئًا.. أيعقل أنكِ ترتدين الأسود في كل ملابسك مؤخّرًا بالصدفة؟

فريدة ابتسمَت بلطف: أيعقل أن أغيّر ملابسي كلها إلى اللون الأسود صدفة؟

آدم: لا يعقل.

فريدة بنبرة واثقة: منذ أن رأيتُكَ علمتُ أنك الشخص الذي سأغيّر حياتي من أجله، وأنا مستعدة لتغيير كل تفاصيل حياتي من أجلك، حتى ملابسي، اخترتُ الأسود لأنني أعلم أن كل ما تقع عليه عينك باللون الأسود تحبه وتحتفظ به، أردتُّ تجربة

حظّي لعل عينك تقع عليّ يومًا وتحتفظ بي.

آدم: ستقع عيني عليك بأي لون كنتِ فيه.

مدت فريدة أناملها على صدره تتحسّسه وبصرها شاخص إلى مقلتيه: هل يعجبك التغيّر؟

آدم: أصبحتِ مثيرة بشكل مثير، أجمل أنثى وقعَت عليها عيني هي أنت.

فريدة تبتسم ابتسامة مليئة بالإعجاب.

آدم: هيا لنذهب لتناول العشاء، أنا جائع.

ذهبا معًا لتناول العشاء وانتهى اليوم.

اليوم التالي...

استيقظت فريدة على صوت منبه الهاتف المزعج من أجل التدريبات، بدأت تنهض ببطء، ثم أرسلت رسالة إلى آدم: صباح الخير سيدي، لن أتمكن من حضور التدريبات اليوم، أشعر أنني لست بخير.

رد آدم مسرعًا: ما بكِ؟ كيف تشعرين؟ استعدي لنذهب إلى الطبيب.

فريدة أجابت برسالة: لا يوجد شيء خطير، أشعر فقط بالإرهاق، سأستريح اليوم في غرفتي وسأكون بخير.

بعد فترة قصيرة بينما كانت فريدة مستلقية في غرفتها، رن

هاتفها.

فريدة: صباح الخير.

أمير بنبرة مرحة: صباح الخير، لا أصدق أنك تستيقظين مبكرًا وأنت لا تذهبين إلى أي عمل.

فريدة بجفاء: أمير، لم أسامحك بعد على ما فعلته، حقًّا أشعر بالخيانة.

أمير: أعتذر كثيرًا، لكنك تأخرتِ في الرد على رسائلي فاضطررتُ إلى تغيير خططي.

فريدة في حزن: تخلّفتَ عن موعدك معي من أجل أصدقائك الجدد.

أمير: لماذا تبالغين؟ كأنها المرة الأولى، هل أنتِ بخير؟

فريدة تدمع عينيها، وبصوت غاضب: أيها الخائن، لا أريد التحدث معك الآن.

أغلقت الهاتف بعصبية.

طرق آدم باب الغرفة ودخل: جئت لأطمئن عليك.

فريدة بهدوء مصطنع: أنا بخير.

نظر إليها آدم بفضول: إذًا لماذا كنتِ تصرخين في الهاتف على صديقك.

فريدة في حدة: وما شأنُكَ أنت؟

آدم في دهشة، ثم بدا وكأنه عثر على إجابة لفضوله، وهمهم: لم تستطيعي القدوم إلى التدريبات صباحًا، وهناك الكثير من تقلبات المزاج، هل أنتِ في دورتك الشهرية يا فتاة؟

احمرّ وجه فريدة خجلاً، أمسكت وسادة ورمتها نحوه صارخة: تبًّا لكَ أيها الوقح.

آدم مال بجسده سريعًا لتجنب الوسادة، وبنبرة سخرية: لو لم تكن تقلبات مزاجك لكنت عاقبتك على فعلتك هذه ولسانك السليط.

فريدة: هيا اخرج من غرفتي.

آدم: اهدئي فتاتي، سأطلب منهم أن يحضروا الفطور إلى غرفتك، لديّ بعض العمل لأنجزه في المكتب وسأكون متفرغًا لكِ.

خرج من الغرفة وأغلق الباب خلفه.

بعد مرور بعض الوقت طرقت فريدة باب المكتب.

آدم: ادخل.

دخلت فريدة وكانت ترتدي ملابسها استعدادًا للخروج.

آدم في استفسار: إلى أين تذهبين؟

فريدة: سأذهب لشراء بعض الأغراض.

آدم: ما هي الأغراض التي تحتاجينها.

فريدة في تذمر: أغراض خاصة بالسيدات.

آدم: حسنًا، لا تزعجي نفسك، سأشتريها من أجلك.

فريدة: أنت سيء للغاية.

آدم: أعلم، الآن انتظريني في غرفتك وارتاحي.

صعدت فريدة إلى غرفتها وجلست تشاهد التلفاز، بعد مرور الوقت طرق الباب، دخل آدم وهو يحمل العديد من الأكياس في يديه.

نهضت فريدة نحوه وأمسكت الأكياس في دهشة: ما كل هذه الأكياس؟!

آدم: لم أعلم أي نوع تفضلين؛ فاشتريت كل الأنواع.

فريدة ضربته على كتفه بخفة: بغيض.

ابتسم آدم بخبث وأعطاها كيسًا مختلفًا عن البقية: هذا بعض الكعك والشوكلاتة، علمتُ أنها أشياء مهمة أثناء دورتك.

احمرّ وجه فريدة خجلاً، وضعت كفيها على وجهها لتغطّيه وركضت نحو السرير: يكفي، اخرج من غرفتي.

اقترب آدم من السرير، جلس بجانبها، مد يده وبدأ يمسد على شعرها بلطف: ما بكِ فريدتي؟ لماذا أنتِ متقلبة المزاج هكذا؟ هل هناك شيء يؤلمك؟

هزت فريدة رأسها نفيًا: لا.

رفع آدم قميصها الأسود ذا الحملات الرفيعة قليلاً لأعلى، وبدأ بتدليك أسفل بطنها.

فريدة في صدمة: ماذا تفعل؟

آدم في نبرة هادئة: علمتُ أيضًا أن تدليك أسفل البطن يساعد على تخفيف التشنجات التي تصيبك.

ارتجف قلب فريدة الساكن من اهتمامه.

ابتسم آدم بشرود، فريدة في تعجب: لماذا تبتسم؟!

آدم: لقد جعلتِ من زعيم مافيا أن يذهب ويشتري الفوط الصحية.

فريدة في دهشة وسخرية: لماذا لم ترسل أحد رجالك لشرائها؟!

آدم في صرامة: هل يمكن لشخص آخر أن يطّلع على خصوصية امرأتي؟ أنا فوق القانون، فوق النفوذ، فوق الجميع، لكن أنتِ فوقي ملكتي.

شعرت فريدة بارتجاف داخلي من كلمة امرأتي، وكأن الفرشات تحلق في معدتها.

أبعدت يديه عن أسفل بطنها، وبنبرة خجلة: يكفي، أنت تشعرني بالإحراج.

لكن آدم أعاد يديه إلى مكانها مرة أخرى، وبنبرة حازمة:

توقفي فريدة، أنا رجلكِ يا فتاة، مَن سيفعل هذا إن لم أفعله أنا؟! لنشاهد فيلمًا معًا بما أن اليوم ممطر ولا يوجد شيء آخر لنفعله.

فريدة: ألستَ ذاهبًا إلى عملك؟

آدم: لا، اليوم ملككِ أنتِ فقط.

استلقَى آدم بجانب فريدة على السرير، وجذبَها ناحيته لتسقط في حضنه، فريدة أحاطت خصره بذراعيها، وأراحت رأسها على صدره.

انتهى اليوم بقضاء آدم وفريدة وقتًا هادئًا، يشاهدان التلفاز معًا بينما صوت المطر بالخارج يضفي جوًّا من السكينة والرومانسية.

اليوم التالي..

فريدة تستيقظ على صوت الهاتف يرن، أجابت وهي ما زالت تحت تأثير النعاس: صباح الخير.

آدم بنبرته الجادة: صباح الخير، ارتدي ملابسك، لدينا شيء لنقوم به.

نظرت فريدة إلى الساعة لتجد الوقت مبكرًا للغاية، في تذمر: في هذا الوقت؟

آدم: هيا فريدة، لا تضيّعي الوقت.

نهضت فريدة من على السرير، استعدَّت سريعًا ثم نزلت إلى الأسفل.

فريدة: إلى أين نحن ذاهبون في هذا الوقت؟

آدم أمسك فريدة من معصمها وسحبها: ستعرفين الآن.

صعد آدم إلى السيارة وجلس في مقعد السائق، بينما جلست فريدة بجواره.

فريدة في تعجب: هل سنذهب نحن الاثنان فقط؟

آدم أوما برأسه كرد، وصلا إلى الميناء الخاص بآدم، نزل الاثنان من السيارة، وأمسك آدم بذراع فريدة وشبّك أصابعهما معًا، وبنبرة هادئة: أتينا لمشاهدة الشروق معًا.

وقفت فريدة في مكانها مصدومة وسعيدة في آن واحد: ماذا؟!

آدم يبتسم بلطف، يسحبها وراءه: هيا فريدتي تحرّكي، لا نريد أن يفوتنا الشروق.

تحركت فريدة وهي ما زالت تحت تأثير الصدمة، والعديد من الأسئلة تدور في رأسها: هل هذا زعيم المافيا الذي لا يملك قلبًا ولا يستطيع أن يحب، كيف هذا؟!

ابتسم آدم بسخرية: هل تسألينني؟ أم أن صوت تفكيرك عالٍ دون قصد؟

فريدة شعرت بالإحراج، وردت مسرعة: ماذا؟! أعتذر، لم أعلم أن صوتي عالي.

آدم: أعلم، لكن ما لا أعلمه هو الإجابة على سؤالك، كيف حولتِني إلى هذا الشخص فريدة؟

صعد آدم إلى السفينة، ومد يده لمساعدة فريدة على الصعود، أمسك يديها ورفعها ثم وضعهما على وجهه ومال برأسه يسند عليها: لا أعلم مَن أنا عندما أكون معكِ، لكن ما أعلمه هو أنني أريد أن أقدّم لك المزيد والمزيد، أريد رؤيتكِ مبتسمة دائمًا وحمايتك بكل ما أملك.

ابتسمَت فريدة برقة وطوّقَت عنقه بذراعيها: أنا سعيدة جدًّا بوجودك في حياتي آدم بدون بذل مجهود، لكن إذا أردتَّ موتي بشدة فتخلَّى عني.

آدم انحنى بجسده ناحيتها واحتضنها بقوة ليتلحم جسدهما معًا: هيا لنذهب ملكتي.

شاهد الاثنان الشروق معًا في سعادة، ثم تناولا الفطور على متن اليخت قبل أن يعودا إلى القصر.

أثناء العودة في السيارة وضع آدم يديه على فخذ فريدة طوال الطريق دون أن يشعر بالتعب أو الملل، عند وصولهما إلى القصر كانت السماء تكتسي بلون رماديّ عميق، وفجأة بدأت قطرات

المطر في التساقط.

فريدة في خبث: أهذه إشارة؟

آدم: لا ليست إشارة، هيا لندخل.

فريدة تمد شفتيها إلى الأمام متظاهرة بالحزن: حسنًا.

لكن أثناء دخولهما تساقطت الأمطار بغزارة، آدم: سحقًا! إنها حقًّا إشارة.

ابتسم آدم وأطلق ضحكة خافتة: لكِ ما أردتِّ فتاتي.

لف ذراعه حول خصرها وبدأ في الرقص تحت السماء الممطرة، تساقطَت قطرات المطر على شعرهما وملابسهما، كانت فريدة تتألّق تحت المطر، يضفي عليها لمسات من الجمال وضحكتها تتعالى في الهواء، بينما كان آدم ينظر إليها بإعجاب، ملتقطًا كل لحظة في ذاكرته، كانت الأمطار تزداد غزارة، بينما بدأت فريدة تدور حول نفسها وشعرها المبتل يتراقص حول وجهها، آدم اقتربَ منها وانحنى برفق وهمس في أذنها: لن تكوني ملكًا لأحد غيري فريدة، وحتى إن كنتُ غير موجود، لا يحقّ لأحد غيري رؤية سحرك أو الاستمتاع بوقته معك، فقط أنا من يجب أن تلمسيه بهذه الأيدي الرقيقة، أي شخص غيري يلمسكِ سيفقد حياته.

فريدة وقفت في مكانها بدهشة وذعر: ماذا؟!

آدم أمسك بمعصمها بلطف: هيا لندخل، قد تصابين بالبرد.

دخل الاثنان إلى القصر، ذهب آدم إلى غرفته لتبديل ملابسه استعدادًا للعمل، بينما نزلت فريدة إلى المطبخ لتحضير صندوق طعام من أجله، بعد وقت قصير خرج آدم من غرفته وبحث عن فريدة في الأرجاء، وألقى نظرة سريعة على ساعته، رفع صوته بلطف: فتاتي أين أنتِ؟ سأذهب إلى العمل الآن.

ردت فريدة بصوت مرتفع: انتظر قليلاً.

ظهرت وهي تحمل صندوق طعام صغير: ها هو صندوق طعامك، أعدَدتُّه لكَ خصيصًا، فأنا أعلم أنك لم تتناول فطورك جيّدًا على متن اليخت.

نظر آدم إلى الصندوق بدهشة ممتزجة بالامتنان، وكأن هذا التصرف البسيط أثَّر فيه بعمق؛ فهو ليس معتادًا على تلقّي مثل هذه اللفتات، ولم يستطيع إخفاء سعادته: لم أكن أتوقع هذا، سأحرص على إنهائه كله.

ضم الصندوق بين يديه وكأن ما يحمله ليس صندوق طعام، بل كنز ثمين.

آدم: فريدة تعالي معي إلى الخارج قبل أن أذهب.

فريدة تخرج مع آدم لتجد مجموعة من السيارات البيضاء تقف أمام مدخل القصر، نظرت باستفهام: ما هذا؟! هل

هناك أحد قادم إلى القصر؟

هز آدم رأسه نافيًا بابتسامة واثقة.

فريدة وقد بدا الحيرة على وجهها: إذًا لمن هذه السيارات البيضاء؟

آدم بتفاخر: إنها ملكي.

تقدمت فريدة خطوة إلى الأمام، ملامح الدهشة تغطّي وجهها وهي تحاول استيعاب الأمر، تمتمت بنبرة هامسة: سيارات بيضاء؟!

وبصوت مليء بالدهشة: سيدي، إنها سيارات بيضاء!

أومأ آدم برأسه بابتسامة هادئة وصوت عميق: أعلم أنها سيارات بيضاء.

تقدم آدم نحو فريدة بخطوات واثقة، وأمسك بيديها الاثنتين برفق وحنان، ثم رفعها ببطء ليطبع قبلة دافئة على كل يد، همس بنبرة عميقة: أردتُّ أن أخبرك أن عيني لا تقع إلا عليكِ.

وقفت فريدة أمام السيارات تتأملها بعمق وعيناها تلمعان بالدموع، تمتمت بصوت مرتعش: سيدي، هل حقًّا فعلتَ كل هذا من أجلي؟

ابتسم آدم برقة ونظر إليها نظرة عميقة، وبنبرة هادئة: هل تعتقدين أنني ذلك الرجل البسيط الذي سيتجاهل ما فعلتِه

حين غيرتِ ملابسك إلى اللون المفضل لدي فقط لتلفتي انتباهي؟

أمسك يدها برفق: لهذا لا تندهشي إذا كنتُ مستعدًّا لتغيير كل شيء -وليس السيارات فقط- إلى لونكِ المفضل.

اقتربت فريدة من آدم أكثر، تأملته بعينين مفعمتين بالحنان، ثم رفعَت يديها بخفة وأمسكت بيديه، وجذبت يديه نحوها تلف ذراعها حوله واحتضنته بقوة، عيناها مغلقتان وهي تهمس بصوت خافت: لقد هربَت مني كلماتي أمام تصرفاتك، لا أستطيع أن أخبرك عما يدور داخلي.

آدم شفتاه تتجوّلان على عنقها دون لمس بشرتها، وأنامله تتمايل على خصرها برفق، وأنفاسه تلفح أذنها: أنا رجل لا يؤمن بالكلمات فريدتي، لذا لا تحتاجينها، لا تنسي أنا سيدك وسعادتك واجبي.

شعرت فريدة بالقشعريرة تسري في جسدها، أناملها تلاطف خصلات شعره من الخلف، وهمست برقة: ويا لَكَ من سيد تمنحني شعورًا سماويًّا لا مثيل له.

بعد لحظات من الصمت همهم آدم، لتستفق فريدة من شعورها: أعتذر، لقد أخّرتُكَ عن العمل.

آدم: لا تعتذري يا فتاة، يمكن للعمل أن ينتظر.

ودَّعَته فريدة ودخلت القصر.

مر أسبوعان هادئان، فريدة تمارس تدريباتها مع آدم، تقضي معظم الوقت مع صديقها أمير، بينما آدم مشغولٌ في عمله في إحدى الليالي وصل إلى هاتفها رسالة من آدم: استعدي عند الساعة الثامنة، سآتي لاصطحابك، سنذهب في موعد.

صرخت فريدة في حماس: يا إلهي! أخيرًا سنذهب في موعد.

توجهت نحو خزانة ملابسها وبدأت تراجع ما لديها من ملابس، حتى استقرت على فستان أسود طويل يناسب الموعد، عند حلول المساء وقفت فريدة أمام المرآة تتأمل نفسها تراجع تفاصيل مظهرها، كان الفستان مصنوعًا من قماش ناعم ولامع، ضيّق يبرز تفاصيل جسدها بشكل أنيق، بأكمام طويلة شفافة ورقبة مفتوحة بطريقة جذابة، وصل الفستان إلى الأرض مع شق صغير على الجانب، كشفَ لمحة عن ساقها وأضاف لمسة من الإثارة، شعرها كان منسدلاً بخفة على ظهرها، ومكياجها أكمل إطلالتها بإتقان.

تنهَّدَت فريدة وهي تهمس لنفسها: أعتقد الآن أنني مستعدة.

فريدة تنظر إلى الساعة تجد أن هناك بعض الوقت، فتحت هاتفها واتّصلَت بصديقتها ليلى عبر مكالمة فيديو، جلست أمام كاميرا هاتفها ورفعت أطراف فستانها، فور ظهور صورة ليلى

على الشاشة.

فريدة: ماذا تعتقدين؟ هل هو مناسب؟

راقبَت ليلى الفستان بتركيز، ثم انفجرت ضاحكة ضحكة مليئة بالإعجاب والدهشة: يا إلهي فريدة! هذا الفستان أكثر من رائع، يبدو وكأنه صُنع خصّيصًا لكِ، حقًّا يليق بكِ بشكل لا يوصف.

فريدة في قلق: حقًا؟ هل تعتقدين أنه مناسب للموعد؟ أريد أن أبدو مثالية الليلة من آجل آدم.

ليلى في حماس: بالطبع، أنتِ في قمة الجمال دون مبالغة، لا تحتاجين شيئًا لإثارة إعجابه؛ لأنكِ بالفعل رائعة.

تنهَّدَت فريدة براحة وبابتسامة ممتنة: شكرًا لكِ صديقتي، أشعر وكأنكِ دائمًا تعرفين كيف تهدئين من روعي.

ضحكت ليلى مرة أخرى في سعادة: هذه هي مهمة الأصدقاء، أليس كذلك؟ الآن اذهبي وأبهريه بجمالك، ولا تجعلي التوتر يؤثر على استمتاعك بالليلة.

فريدة تبتسم بلطف: المرأة للمرأة أيتها المرأة، أنتِ مُحقّة، سأذهب الآن وأستمتع بالليلة.

أغلقت المكالمة مع ليلى، لتستقبل رسالة من آدم: اخرجي، أنا أنتظرك بالخارج.

شعرت فريدة بالتوتر، حملت حقيبتها وخرجت من غرفتها، أخذت نفَسًا وزفيرًا طويلاً مُحدّثة نفسها: ماذا بكِ فريدة؟ هذه ليست المرة الأولى؛ فلِمَ كل هذا التوتر؟!

خرجت من بوابة القصر الضخمة لتجد آدم واقفًا أمام القصر ويحمل بيديه باقة من زهور التوليب المفضلة لديها.

فريدة في إعجاب: هل هذا الرجل الوسيم مع تلك الباقة المذهلة في انتظاري؟

آدم أومأ برأسه بابتسامة لطيفة: أجل سيدة فريدة.

قدم لها باقة الزهور وفتح لها باب السيارة لتصعد، بعد أن جلسَت ظل آدم ينظر إليها بغموض، وعيناه لا تزيغان عن وجهها، شعرَت فريدة بالارتباك، وسألته وهي تتفحص نفسها: ماذا هناك؟ ألا يبدو مظهري جيّدًا؟

آدم ما زال يحدق في وجهها بنظرة عميقة، يتأمل تفاصيل ملامحها، وبنبرة جادة: كيف؟! كيف تفعلين ذلك فريدة؟! في كل مرة أراكِ أشعر وكأنكِ شخص جديد، كأنك زهرة تتفتح أمامي ولا أستطيع أن أشبع من النظر إليكِ، ولا أمَلُّ من اكتشاف تفاصيل جمالك، ليس مجرد مظهرك، بل هو كالسحر الذي يتجدّد مع كل لحظة، أعلم أن هناك جروحًا كثيرة عشتِها أكثر مما أخبرتِني، لكن هذه الندبات بداخلكِ تأسر قلبَ مَن حولك

بمجرد النظر إليك، كيف يمكن لتلك الندبات أن تزيدك جمالاً؟ كيف يصبح الحزن الذي بداخلك إشعاعًا يضيء وجهك.

فريدة ابتسمت بخجل، شعرت بحرارة تجتاح وجنتيها، بينما نظرت إلى آدم بعينين مليئتين بالامتنان، وردَّت بصوت خافت مرتبك تحاول فيه إخفاء توترها: كلماتُكَ تجعلني أشعر بإحساس لا أستطيع وصفه، أنت تجعلني أشعر أنّني حقيقة، هذه الكلمات تكفي لأن تمحو أي ألم شعرتُ به.

آدم ابتسم بسخرية: مَن كان قد يتوقع أن المرأة الجريئة التي رأيتُها أول مرة ستحمر وجنتاها الآن خجلاً من الغزل؟

فريدة ضحكت بخفة، وردت بمكر: ومَن كان يصدق أن الرجل البارد الذي قابلتُه أول مرة هو من يتغزّل بي الآن ويُخجلني بكلامه المعسول؟

آدم ابتسم برقة: لا أحد سيصدق ما يخرج مني.

فريدة بنبرة هادئة: آدم.

آدم همهم كإجابة.

فريدة بنبرة حنونة: لقد أصبحتَ ملاذًا لروحي المرهقة.

آدم نظر إليها بعمق وحنان: وأنتِ كل ما أحتاجه لأشعر بالحياة.

فريدة ابتسمت بلطف، وقالت بحماس: هيا أخبرني، إلى أين

نحن ذاهبان؟

آدم: لا يمكنني إخبارك، ستعلمين حين نصل.

فريدة: لا أستطيع الانتظار، أريد أن أعلم الآن، أخشى أن فضولي سيقتلني قبل الوصول.

آدم بملامح هادئة كالعادة، نظر إلى فريدة بطرف جفنه: عليكِ أن تتعلمي الصبر يا فتاة.

صبَّ تركيزه على الطريق، بينما أدار المقود بمهارة.

فريدة في تذمر: حسنًا.

ظلت السيارة تسير بهما والهدوء يخيم على المكان إلا صوت المحرك، أخيرًا توقفت السيارة أمام الميناء الخاص بآدم.

فريدة في حماس: إذًا إنها رحلة على اليخت.

آدم ألقى عليها نظرة خاطفة وهو يطفئ محرك السيارة، وبنبرة مازحة: ألم أقل لكِ أن تتحلِّي بالصبر؟ هيا انزلي.

نزل آدم من السيارة وأخرج من جيبه شيئًا يشبه لوح تحكم صغير، تبعته فريدة بخطوات متحمسة بينما كانت الدهشة تعتلي ملامحها، سارا وسط الظلام، والرصيف البحري الممتد يضيق من حولهما، حتى توقفا عند نهايته.

آدم ملتفتًا نحو البحر: مستعدة؟

فريدة في تعجب: مستعدة؟! مستعدة لماذا؟! فأنا لا أعلم

لماذا نحن واقفان في نهاية الرصيف ولا يوجد أمامنا يخت؟!

آدم بابتسامة غامضة: هل قلتُ لكِ إنها رحلة على اليخت؟

فريدة في ارتباك: لا.

آدم أشار بيده إلى الأمام: انظري أمامكِ.

أدارت فريدة رأسها نحو البحر، فوقع بصرها على جسد أسود هائل يطفو بهدو على سطح الماء كان شكله مذهلاً، منتصب عملاق معدنيّ يلمع تحت ضوء القمر، هيكله الطويل المستدير يبرز فوق الماء، في منتصفه يرتفع برج القيادة.

فريدة في صدمة: أخبرني أنها ليست ما أظنه.

آدم ابتسم بهدوء كجواب.

ركلت فريدة قدمها في الأرض بحماس، وقفَت أمام الغواصة في صدمة، عيونها متسعة وقلبها ينبض بسرعة، لا تعرف ما الذي تشعر به.. الخوف أم الحماس أو ربما كليهما معًا، مدَّت يدها إلى جانبها وأخذت نفسًا عميقًا قبل أن تلتفت إلى آدم وعيناها تتألقان بدهشة وحماس بنبرة مفعمة بالمشاعر مختلطة بين الحيرة والفرح: غواصة؟! آدم؟! في البحر؟! كيف؟! ماذا يمكنني أن أقول؟ هذا.. هذا أكثر من مثاليّ، أشعر وكأنني أعيش في قصة خيالية.

آدم ضحك بخفة وبنبرة فخر: إنها هنا من أجلك.

فريدة: هل فعلتَ هذا من أجل أمنيتي في تناول العشاء على متن غواصة؟

آدم بابتسامة عميقة: نعم، نحن هنا اليوم لتحقيق أمنية من أمنياتك.

فريدة في صدمة لا تصدّق ما تسمعه، دفعة من الحماس المتسارع تجتاح قلبها: هل تعني أنك فعلت كل هذا من أجلي؟ غزوتَ البحر فقط لتحقيق أمنية صغيرة كانت في قلبي.

آدم نظر إليها بعمق، وبنبرة هادئة: ليس هناك شيء صغير فيما يخصك فريدة، كل ما تتمنينه من أحلام صغيرة وكبيرة سأجعل منها واقعًا لكِ؛ لأنكِ تستحقين أن تعيشي تلك اللحظات الاستثنائية، كل شيء هنا من أجلك.

فريدة في تأثر همسَت بصوت خافت: هل يمكنني أن أبكي الآن؟

آدم ضحك وهو يقودها إلى داخل الغواصة، بينما كانت خطواتهما تتردد في المكان الذي تحيط به الجدارن الزجاجية، وبنبرة سخرية: لا ليس الآن، فلنستمتع بوقتنا واجعلي البكاء لوقت آخر.

عندما دخل الاثنان إلى الغواصة، كان الداخل فسيحًا، مُزيّنًا بأثاث عصريّ فاخر يعكس ذوقًا رفيعًا، الجدران كانت مصنوعة

من زجاج مزدوج أتاحت رؤية بانورامية للبحر، حيث الشعب المرجانية والمخلوقات البحرية تتراقص في الأعماق، كانت هناك أضواء هادئة تخرج من أسطح الغواصة؛ مما جعلها تضيء المياه من حولهما بخيوط فضية وكأنها نجوم تسبح في بحر مظلم.

المقاعد مبطنة بجلد فاخر، تنقلب تحتها الأرائك المصممة خصّيصًا للراحة والاسترخاء، الطاولة التي سيجلسان عليها من خشب الأبنوس الأسود كانت تزينها شموع ملونة دقيقة، وأمامها الجدار الزجاجي الذي بدا وكأنه نافذة إلى أعماق المحيط كأنهما يجلسان في وسط عرض من الطبيعة البحرية الساحرة.

كانت المياه تحيط بهما من جميع الجهات، والموسيقى الهادئة التي تُعزَف في الخلفية أضافت على العشاء أجواء من الرومانسية الفائقة.

فريدة في دهشة نظرت حولها، وهمست بصوت خافت: سيدي، هذا يبدو كحلم.

آدم مد يده بلطف وأمسك بكف فريدة ونظر إليها، وبنبرة عميقة: اليوم أنا رجلُكِ فريدة، لستُ سيدك، ناديني باسمي.

فريدة اقتربت منه بنعومة، ونظرت في عينيه بنظرة مفعمة بالحنان، رفعت يدها ولمست وجنته بأناملها برقة: أنت رجلي في كل وقت آدم.

آدم ابتسم بلطف: هل أعجبَتْكِ؟

فريدة أومأت بحماس: كثيرًا.

آدم: جيد، هذه هديتي لك الليلة، يمكنك دعوتي فيها لعشاء آخر في الوقت الذي تفضلينه.

فريدة: لا أحتاج إلى الهدايا آدم.

آدم في ثقة: لستِ من تقرّرين فريدتي، هذه مكافأتكِ لتلقيكِ العقاب بشكل جيد.

فريدة: حسنًا، يمكنك مكافأتي بحقيبة أو قلادة، لكن ليس غواصة! هذا كثير.

آدم أمسك يدها، ثم وضع يده الأخرى حول خصرها وجذبها نحوه بحركة مليئة بالشغف، انحنى قليلاً ليقترب من أذنها، وهمس بصوت خافت مليء بالإثارة: أو لا تستحق رؤية تلك الابتسامة على وجهكِ خسارة بعض ملايين الدولارات؟

ثم أشار إلى الطاولة: هيا فريدتي لنجلس.

تقدم آدم نحو الكرسيّ أمام طاولة الطعام، مد يده بلطف وسحب الكرسي للخلف: تفضّلي ملكتي.

فريدة تقدمت بخطوات مرتبكة، تأثرت بمعاملته الراقية لها وعيناها تلمعان بعاطفة ورقة، تجلس على الكرسي، ثم دفع آدم الكرسي للأمام برفق ليكون قريبًا من الطاولة، ثم جلس في

الكرسي المقابل لها.

فريدة في تذمر: أنا لا أوافق على قبول الغواصة آدم.

آدم يتنهد بهدوء: اسمعي فتاتي.. أنا لستُ رجلاً يملك سفينة فاخرة، بل أنا رجل يملك أسطولاً من السفن الفاخرة، لا أملك تلك الشرفة الفارهة الضخمة في آخر المبنى، بل أملك المبنى كله، سأصنع لكِ ذكريات لن تعلمي عنها إلا في كتبك المفضلة التي تقرئينها، ستكون هداياي لكِ هدايا تنقش لها مكانًا في قلبك، أنا رجل لا يملك إلا المال، مالاً لا يمكن لبنكٍ عدّه، لكنك تملكين ما هو أهم من المال، أنتِ تملكين قلبَ صاحب المال هو وماله ونفوذه وأسطوله رهن إشارة أصبعك، لذا إذا أهديتُكِ قصرًا أو أهديتك غواصة ليس الأمر شيئًا عظيمًا يجب أن نتحدث عنه كل مرة، هذه إحدى مهام الرجل حتى وإن لم يكن يملك مالاً، فمَن امتلك قلبه سيفعل من أجله المستحيل ليبصر طرف ابتسامة على وجهه، إن نظرتي في العلاقات مختلقة قليلاً، فريدة كيف يمكنني أن أجعلكِ تُحلّقِين ولا أفعل هذا؟ وبالمناسبة سيمنحني هذا شعورًا جيّدًا، أنا أرى أن الأنثى خُلِقَت من أجل الرجل، ولا أقصد بذلك إهانتها، بل تعظيمًا لها؛ فقد كانت إحدى مهامها أن تُشعِر الرجل برجولته من خلال أنوثتها، وأنا أجد هذا معكِ.

فريدة تصمت قليلاً، تحاول ترتيب كلماتها بتوتر: لقد حاولتُ ترتيب كلماتي لكي أستطيع الرد ولكنني فشلت، داخلي لا يتوقف عن سؤالي، هل أنا واقعة في حب شخصية خيالية؟ أقسم أن كل كلمة تقولها لي تجعل قلبي يحلّق عاليًا، كيف يمكنني الآن الاستمتاع بقراءة كتاب وأنا واقعة في حب فارس؟ كنتُ دائمًا أتصور أن الفارس الذي أقرأ عنه في كتبي سيظل حبيسًا بداخلها لن يرى النور أبدًا.. مجرد حلم في خيال كاتب أخرجَهُ على ورق ليجعل ملايين من قلوب الفتيات يحبونه، لم أكن أعلم أن الواقع يمكن أن يهزم الخيال، فدائمًا يبدو الخيال أجمل بكثير، حتى رأيتُكَ لتهدم بداخلي هذه الصورة.

آدم: هل أنتِ واقعة في الحب فريدة؟

فريدة تنهض من مكانها تقترب من آدم، وتقف خلفه، تنحني بجسدها لتهمس في أذنه: أنا أنصهر من الحب آدم.

آدم يدير رأسه نحو فريدة دون سابق إنذار، أسَرَ شفتيها بين شفتيه، يأخذها في قبلة عنيفة، يداه تجوب ظهرها صعودًا ونزولاً، وطوَّقَ خصرها بذراعيه، فريدة تشبَّثَت بقميصه الأسود، حملها عن الأرض وحوَّطَت ذراعيها حول عنقه، طبع قبلاً رطبة على عنقها، ثم جلس على الكرسي وفريدة تجلس في حجره.

آدم يطوّق عنق فريدة يضغط عليه، وبصوت أجش: أنتِ ملكي بالمعنى المادّيّ والمجازيّ فريدة.

فريدة تلهث أنفاسها: كيف يمكنني أن أكون ملكًا لأحد غيرك آدم؟

آدم يدفن أنفه في شعرها مستنشقًا رائحتها، ثم يسند جبهته على جبهتها، ويتنهد بعمق: سحقًا فريدة! لا أستطيع مقاومة هذا الشعور وكأنكِ تسلبينني كل ذرة من صبري، كنتُ أعلم من أول دقيقة تحدثنا فيها أنكِ أنثى فريدة من نوعها، ذلك النوع البريء الممزوج بالجرأة الذي لا نراه، لكن الآن أصبحتُ أعلم أنكِ الأنثى المناسبة لي.

فريدة وجنتاها متوردتان من الخجل، تبتسم إلى آدم برقة وتستعد للنهوض.

آدم يجتذبها من خصرها ويرجعها إلى مكانها مرة أخرى: إلى أين يا فتاة؟

فريدة في تعجب: سأعود إلى مكاني لكي نتناول العشاء.

آدم بمكر: هل نسيتِ؟! هذا مكانك وستتناولين العشاء من هنا.

فريدة: هذا غير مريح آدم.

آدم: يبدو مريحًا لي كثيرًا، هل هو غير مريح بالنسبة لكِ؟

فريدة تصمت؛ فهي تعلم أن الاعتراضات لا تجدي نفعًا أمام كلام آدم.

أثناء تناول الطعام، آدم: أخبريني فريدة، ما هو الاسم الذي ستطلقينه على الغواصة؟

فريدة تهمهم: أعتقد أنني سأسميها بلوتو.

آدم في دهشة: بلوتو؟ لِمَ بلوتو؟

فريدة: لأنها تشبهه كثيرًا، فمنذ البرهة الأولى عند رؤيتها تشعركَ أنها عالم صغير غامض تغمره البرودة، لونه تحت إضاءة القمر شاحب كأنه رماد، تشعر أنه سينبذُكَ إذا اقتربت منه حتى لا ترى حقيقته، بمجرد دخوله سترى الدفء والاحتواء داخله، سيكون متنوع الألوان ممتلئًا بظلال زاهية، فكما نرى الآن عندما رأيتُ الغواصة شعرتُ بالظلام، لكن بداخلها أستطيع أن أرى جمال المحيط، أنا أرى أن بلوتو يجب أن يكون بهذا الشكل، أيضًا أنتَ تشبه بلوتو كثيرًا، من الخارج بارد ومن الداخل دافئ.

آدم ينهض بتعجب: اللعنة على ذلك العقل فريدة، يجب أن تكتبي كتبكِ في أسرع وقت، أنا أستطيع أن أرى كم أنتِ موهوبة.

فريدة تبتسم بلطف: شكرًا لك، لنرى ماذا يخبئ لنا المستقبل.

آدم وفريدة ينتهيان من العشاء ورحلتهما البحرية، تحرّكا من الغواصة للعودة إلى المنزل.

فى السيارة، فريدة: أين هم الحرس الخاص بك آدم؟ لقد أصبحنا منذ فترة بمفردنا، أليس هذا خطرًا؟

آدم: لا أحتاج إلى مشاركة موعدي معكِ مع أحد، فأنا أستطيع حماية امرأتي.

فريدة عند سماع كلمة امرأتي مرة أخرى شعرَت بشيء يشبه التيار الكهربيّ يمر في أوصالها، وتبتسم ابتسامة عريضة لا تحاول إخفاءها.

آدم في تعجب: لماذا تبتسمين؟

فريدة: أيمكنني أن أخبركَ سرًّا؟

آدم يومئ برأسه.

فريدة: في كل مرة تقول لي امرأتي أشعر أن قلبى يرتجف بين ضلوعي، كطائر صغير يحاول الطيران للمرة الأولى، أحسّ بفوضى خفية تتحرك في أعماق معدتي كأن أسرابًا من الفراشات تتراقص باضطراب هناك.

آدم ينظر إلى فريدة نظرة جانبية أثناء قيادته السيارة، فريدة تلمح شبح ابتسامة على وجهه، وبنبرة حازمة: أنتِ امرأتى رغبتِ بذلك أم لا.

فريدة تبتسم بسعادة: وهذا شيء جيد.

كان آدم يضع يده على فخذها أيضًا طوال الطريق يتلامسه دون تعب أو ملل.

فريدة: كم مرة ستفعل ذلك؟

آدم: ماذا؟! أفعل ماذا؟!

فريدة تشير برأسها على يده وهي تتلمس فخذها.

آدم في سخرية: ربما أفعلها ألف مرة، وربما أكثر.

فريدة تبتسم بدفء: ألا تتعب من ذلك؟ ألا تملّ؟

آدم بنبرة عميقة: كل لمسة، كل مرة أضع يدي عليكِ أشعر أنّني أقترب من روحك، لا أفعل ذلك لأني أريد فقط ألمسك، بل لأني أحتاج أن أشعر أنكِ لي هنا معي دائمًا.

صمتَت فريدة للحظات، ثم وضعَت يدها فوق يده على فخذها، تضغط برفق وكأنها تشاركه هذا الشعور: لكن لا تجعلني أعتاد هذه اللمسة؛ فأنا أخشى أن أحتاجها دائمًا.

آدم: لا تقلقي فتاتي؛ فأنا موجود دائمًا من أجلك.

فريدة تهمس إلى نفسها: إنه محق فيما يقول، لقد اكتشفتُ أن الرجل عندما يحب وجودكِ أو يشعر بالسلام والهدوء والأنتماء، يفعل هذا دون قصد، يريد ملامستكِ في أي جزء منكِ حتى يشعر بقربه منكِ، ومن أنّ لا شيء يمكن أن يفصل بينكما.

تمر الأيام وتسير كما هي دون جديد، قبل نهاية المهمة بأسبوع لعودة باقي فريق (F70).

اليوم الأول مساءًا آدم يعود إلى القصر غاضبًا وكأنه عاصفة على وشك الانفجار، عيناه تشتعلان ببريق حاد كأن صدره بركان يغلي في الداخل، وقف آدم في الحديقة الخلفية للقصر يحاول احتواء حالته الغاضبة والابتعاد، يمرر يده في شعره ويحدق في الأفق محاولاً استعادة سيطرته.

فريدة كانت تراقب من بعيد حالة آدم الغاضبة، كانت تصارع شعورها بالخوف من الاقتراب منه، وأيضًا كانت تريد أن تهون عليه تلك الحالة، فتقرر أن تكسر حدة غضبه بطريقة غير متوقعة، وأن تعيد له بعضًا من هدوئه بطريقتها الخاصة، دخلت مكتبه، أطفأت أضوائه وأغرقت الغرفة بنور الشموع التي أضاءتها ووضعتها في جميع أنحاء زوايا المكتب، ثم شغَّلَت موسيقى هادئة اختارتها بعناية تحمل إيقاعًا مفعمًا بالشغف.

ارتدت فريدة فستانًا أسود قصيرًا من الستان الداكن، كان ضيّقًا حول خصرها بلا أكمام كاشفًا عن كتفيها وعنقها مع شعرها المرفوع إلى الأعلى على هيئة ذيل حصان مرتفع، وبعض الأقراط الصغيرة اللامعة.

فريدة تمسك هاتفها تبعث رسالة إلى آدم: آدم، هناك شيء

يجب أن أخبرك به مهم، هل يمكن أن تأتي إلى مكتبكَ في أسرع وقت؟

تمر فترة قصيرة من الوقت، وعندما دخل آدم مكتبه المضاء بالشموع توقَّفَ فجاءة وقد بدت على وجهه ملامح دهشة لم يستطع إخفاءها، ظل ثابتًا للحظات يستوعب المشهد أمامه، وجَّهَ آدم نظره نحو فريدة حيث كانت مشعّة وجميلة بشكل يخطف الأنفاس للحظة، نسِيَ الغضب الذي كان يتملكه وتلاشت أفكاره المتعبة.

ابتسم بلطف وبنبرة هادئة: فريدة، ماذا تفعلين؟

اقتربت منه فريدة بابتسامة ساحرة، ومدت يدها نحوه بدفء: هيا أيها الرجل المثير، ارقص معي، لا تدعني أنتظر طويلاً.

رد آدم والبسمة لا تفارقه: لكن رجلكِ لا يستطيع الرقص فتاتي.

فريدة في ثقة: لا يوجد شيء لا يستطيع رجلي فعله، هيا لنرقص.

جذب آدم كفيها بكلتا يديه، وضعهما على صدره، ثم أنزل كفيه يسحبها من خصرها ويقربها له: معكِ أنت فقط أفعل أي شيء.

فريدة همست بالقرب من أذنه: في كل مرة نتلامس أحس وكأنها المرة الأولى، وفي كل مرة نقبّل بعضنا أقسم أنّني أشعر أنّني أحلق في السماء.

نظر إليها آدم في غموض: أنت لعنة فريدة، أيقظتِ بداخلي عضوًا ميتًا، أصبح ينبض باسمك.

تعانقت أعينهما في نظرة حارة.

أطلقت فريدة تنهيدة طويلة: آدم، أحبك.

اتسعت عينا آدم بدهشة، لم يكن يتوقع أن عند اعتراف فريدة بتلك الكلمة البسيطة سيكون تأثيرها بتلك القوة، آدم بصوت يكاد همسًا: أعلم، ولكن سماعها منكِ شيء مختلف، كأن كل قوتي لا وزن لها أمام تلك الكلمات فريدة.

بعد لحظة صمت بين الطرفين ينظر فيها الاثنان إلى بعضهما، آدم: فريدة، لقد قضيتُ حياتي بالقوة والسيطرة، ولم أعلم أن نظرة واحدة منكِ قد تسلبني كل شيء.

أمسك بيدها برفق، وبنبرة هادئة: أنا الرجل الذي يخشاه الجميع، لكنني الآن الرجل الذي يخشى فقط ألّا أكون كافيًا لكِ.

جذبها آدم إلى حضنه بعمق حتى التحم جسداهما، وبحة خشنة تنهَّدَ بعمق: أنت تعرفين كيف تأسرينَنِي دائمًا.

انتهى اليوم الأول، وأيضا اليوم الثاني والثالث دون شيء

يذكر.

اليوم الرابع قبل انتهاء الأسبوع مساءً، توجَّهَت فريدة إلى مكتب آدم لتناديه لتناول العشاء، سمعَت صوتًا أنثويًّا يتحدث الروسية عبر جهازه اللوحي أثناء مكالمة فيديو، وقفت فريدة في زاوية بعيدة تحاول الاختباء عن نظر آدم لتستمع إلى الحديث رغم جهلها باللغة الروسية، أنهى آدم المكالمة سريعًا، وبنبرة صارمة: التّصنُّتُ لا يليق بكِ فريدة.

خرجت فريدة من مكانها في ارتباك: لم أكن أتجسس، كنت فقط أنتظر انتهاء مكالمتك لأخبرك أن العشاء جاهز.

نهض آدم من مكانه، واتجه نحو فريدة قائلاً بسخرية: حقًّا؟

أومأت برأسها بدون تعليق.

آدم بنبرة متهكمة: استخدمي لسانكِ يا فتاة، لَم نشتَقْ للعقاب، أو لا؟

فريدة في برود: لم أشتق، هيا لنذهب لتناول العشاء.

مر اليوم بهدوء تام من جانب فريدة، وهو أمر لفت انتباه آدم.

اليوم السادس...

أنهت فريدة تدريبها دون أي ضجة، قضَت باقي النهار في حالة من الشرود.

مساءً أجرت فريدة مكالمة هاتفية بنبرة جادة: هل أنت مستعد؟

أمير: أنا مستعد، لكن هل أنتِ واثقة مما ستفعلينه؟ آدم من الشخصيات التي لا يمكن التعامل معها بهذه الطريقة؟

فريدة في غضب: ولماذا؟! هل يجب أن أجلس مكتوفة الأيدي وأنا أعلم أنه يخونني؟

أمير في محاولة تهدئتها: وكيف تأكدتِّ من خياتنه لكِ فريدة؟ قد تكون مجرد مكالمة هاتفية عابرة.

فريدة اشتد غضبها: أنا متأكدة مما أقول أمير، أنا ذاهبة بكل الأحوال، لكن إذا كنتَ تريد التراجع فلا بأس.

أمير: اهدئي يا صديقتي، أنا معكِ في كل وضع، لكنني قلق عليكِ فقط.

فريدة: لا تقلق بشأني، أمهلنى عشرين دقيقة وسأكون أمام الفندق لأصطحبك.

تحرّكَت فريدة من القصر بحذر شديد حيث كان الحرس منتشرين في كل زواية من ممرات القصر، استطاعَت الخروج دون أن يلاحظها أحد باستخدام سيارة كانت مخصّصة لها للخروج لاستنشاق الهواء، وصلَت فريدة إلى زواية الشارع المقابل للفندق، أنفاسها كانت متلاحقة ويداها تقبضان على

المقود بشدة في توتر واضح، بينما كانت تراقب بحذر باب الفندق وقلبها يخفق بعنف في صدرها، وكأن الوقت قد تباطأ وكل ثانية تمر كأنها دهر.

خرج أمير من باب الفندق بخطوات متسارعة نحو سيارتها، فتح الباب الأمامي وجلس بجانبها: أرى على وجهكِ التوتر والقلق، هل تريدين أن أقود؟

فريدة بنبرة جادة: لا.

دون تردد ضغطَت على دواسة الوقود؛ فانطلقت السيارة بقوة، كانت تنتقل بين الشوارع بسرعة، عيناها مركزتان على الطريق، بينما داخلها يئن وكأن عاصفة على وشك القدوم.

أمير: اهدئي قليلاً فريدة، أراكِ تستبقين الأحداث، فنحن ما زلنا نجهل كيف سيكون الوضع.

فريدة وعيناها مثبتتان على الطريق: نحن الآن في الطريق لمعرفة كيف هو الوضع.

أمير: هل أنتِ متأكدة من مكان مقابلتهما؟

فريدة: أجل، أعلم أن لديه عشاءً ضخمًا الليلة في نفس المطعم الذي راقبناه فيه من قبل.

أمير: إذًا لماذا تشكين فيه؟ إنه عشاء ضخم.

فريدة: أعتقد أنها نفس المرأة التي كانت معه في العشاء

السابق، والتي كان يضع يده على خصرها طوال الليلة، وهي نفس المرأة التي رأيتها معه ذلك اليوم في الملهَى عندما تبادلا القبل، هل يُجرِي الجميع مكالمة فيديو لدعوة الضيوف إلى عشاء عمل؟ ألا تجد هذا يدعو للقلق ويثير الشك كثيرًا؟

تنهدت في يأس: كنت أعلم أن هذا لن ينتهي بالخير.

أمير في سخرية: وهل تتفاجئين بذلك؟ لقد أخبرتُكِ من قبل فريدة، أنتِ في علاقة مع زعيم مافيا، كيف كنتِ تظنِّين أنّ العلاقة ستنتهي بإنجاب صبيّ وفتاة؟

نظرت إليه فريدة بغضب حاد.

أمير: حسنًا حسنًا، أعلم أن هذا ليس الوقت المناس لمناقشة هذه المواضيع، لنُنْهِ عملَنا الليلة ونتحدث لاحقًا.

وصلت فريدة إلى المطعم، أوقفت السيارة لتنزل منها، أمير أمسك بمعصمها قبل أن تتحرك.

أمير: هل أنتِ متأكدة يا فريدة؟ فالنتائج ستكون وخيمة.

فريدة سحبَت يدها بسرعة، وبنبرة حازمة: هيا أمير.. انزل.

أمير باستنكار: أتمنى أن لا تنتهي هذه الليلة بكارثة.

دخلا فريدة وأمير المطعم معًا، كانت فريدة تبحث بعينيها عن طاولة آدم، لكنها لم تجده، فجلست مع أمير في طاولة بأحد زوايا المطعم.

أمير: ألم يصل آدم بعد؟

فريدة: لا، أنا متأكدة أنه في العشاء الآن.

فريدة ترفع يديها إلى رأسها وأصابعها تتشابك في شعرها، بينما خيم عليها اليأس: يبدو أنني أخطأتُ المكان.

بعد لحظات تجمّدَت فريدة في مكانها وكأن الزمن توقف حين وقعت عيناها على آدم خارجًا من الحمام بصحبة تلك المرأة التي كانت تشكّ فيها، كانت تضع يدها على كتفه وتضحك ضحكات مرتفعة، حتى وصلا إلى الطاولة التي يجتمع عليها الضيوف.

شعرت فريدة وكأنّ سكينًا حادًّا اخترق قلبها، كانت الصدمة واضحة على ملامحها، ووجها فقَدَ لونه تمامًا، ظلَّت تحدق إليهما بذهول وهي تضغط على حقيبتها بقوة، محاولة كبح مشاعرها.

أمير في توتر ينظر إلى الخلف ليرى سبب صدمة فريدة: ما الأمر؟!

آدم يلمح فريدة؛ فتتغيّر ملامحه إلى صدمة، وحدَّق فيها بنظرات مكهفرة تحمل غضب مكبوت يلاحظه أمير.

نهض أمير من مكانه في قلق يسحب فريدة من معصمها: هيا فريدة لنذهب من هنا.

اقترب آدم منهما بخطوات سريعة حتى تقلَّصَت المسافة

بينهما، انفجر آدم بصوت خافت لكنه مشحون بالغضب: كيف تجرأتِ على الظهور هنا؟

فريدة في غضب: ماذا؟! أظهوري هنا أزعج لحظاتك الحميمة ؟

آدم بنبرة حادة: ألم أُخبركِ من قبل أن لا تغادري المنزل دون إذني؟

فريدة تنظر إليه باشمئزاز، وتتجه نحو أمير محاولة الابتعاد عن آدم، تجذب أمير من يده: هيا لنذهب.

آدم يمسك ذراعها بقوة ويسحبها نحوه، وبنبرة عميقة حادة وكأن صوته يخرج من أعماق صدره: المسِيه مجدّدًا وسيفقد حياته.

أمير يحاول تحرير يد فريدة من قبضة آدم، وبغضب: ماذا تظن نفسك فاعل؟ اتركها.

آدم عيناه تقدحان بشرار الغضب المكتوم، نظراته حادة كالسكين، يضغط على كلماته ببطء: اقترب منها وستفقد ذراعك.

فريدة: اهدأ أمير، انتظرني قليلاً بالخارج.

أمير: لن أذهب إلى أي مكان يا فريدة.

فريدة تتألم وتتنفس بصعوبة بسبب ضغطِه على يدها

بقبضته القوية، لكنها تحاول ألّا تُظهِر ضعفها أمامه.

آدم يهمس في أذنها بغضب مكتوم: كيف تجرئين على الظهور هنا دون إخباري؟ ألم أحذركِ فريدة؟ وأين قلادتكِ بحق الجحيم؟

فريدة في سخرية: لماذا؟ هل لأنكَ وضعتَ بها جهاز تتبّعٍ لتعرف مكاني؟ هل تستخدمها لتتمكَّن من خيانتي كما تشاء؟

فجأة لوى آدم ذراعها خلف ظهرها بحركة حادة سريعة وعيناه لا تفارقان عينيها: أتريدين أن أقبّلكِ في العلن الآن ليعرف الجميع أنك امرأتي؟

فريدة بصوت متحشرج لكنها تحاول التماسك، وتقهقه بسخرية: حقًّا؟ امرأتك! يبدو أنك تمتلك العديد من السيدات سيد آدم، فأيضًا تلك الواقفة هناك الملتصقة بكَ دائمًا، قبَّلتَها من قبل في العلن.

آدم يكز على أسنانه بغضب، وبنبرة باردة: ألم أخبركِ من قبل أن لا تسألي عن أي شيء يخص حياتي؟

فريدة تحاول استجماع شجاعتها، وتبتسم بهدوء وتقترب منه، تهمس في أذنه: إذًا لا تسألني عن أي شيء يخصني أو يخص حياتي.

تسحب يدها من قبضته وتبتعد، أمير يتبعها بقلق.

أمير: فريدة، انتظري.

فريدة: أرجوكَ أمير، أنا آسفة لإقحامك في كل هذا، لكنني أحتاج إلى البقاء وحدي قليلاً.

أمير في تردّد: حسنًا، هل أنتِ بخير؟

فريدة بلطف: سأكون بخير، لا تقلق.

تتجه إلى سيارتها تقودها بجنون ودموعها تنهمر على وجنتيها، هاتفها يرن دون انقطاع، حتى تتلقى رسالة، آدم: ترجّلي من السيارة، والآن.

تتجاهل فريدة الرسالة وتواصل القيادة، لا تعلم إلى أين هي ذاهبة، لكن فجأة تظهر سيارة آدم البيضاء، يناورُ بين السيارات الأخرى، وبحركة مفاجأة ينحرف آدم بسيارته ليقطع الطريق أمامها، تضطرّ فريدة إلى التوقف بعنف، صوت سيارتها يصرخ على الأسفلت بينما تترنح السيارة قليلاً قبل أن تستقر، يخرج آدم من سيارته بسرعة، عيناه تُنذِر عن ثوران بركان ونظراته مشتعلة بالغضب، بخطوات واسعة يتقدم نحوها، تحاول فريدة استيعاب ما يحدث، يداها ترتجفان على عجلة القيادة وعيناها متسعتان من الصدمة، قبل أن تتمكن من التفكير أو الحركة فتح آدم باب سيارتها بقوة، ملامحة مشدودة وعروق وجهه بارزة من قوة غضبه.

أمسك بذراعها وسحبها خارج السيارة بعنف، بنبرة عنيفة تحدَّث من بين أسنانه وهو يقرب وجهه من وجهها: هل تظنّين أنك تستطيعين الهروب منّي؟ هل نسيتِ من أكون يا فتاة؟

حاولت فريدة التراجع للخلف، لكن شعورًا غريبًا كان يسيطر عليها، خليط من الخوف والجرأة، وجدَت نفسها محاصرة بين قبضته القوية وجسد السيارة البارد خلفها.

أمسك آدم بذقنها بين يديه بقوة وعنف، أصابعه تصغط على وجهها بغضب: لماذا لا تتحدثين؟

حاولت فريدة تحريك رأسها قليلاً، لكن قبضته الحديدية منعتها، اجتذبَها آدم من معصمها بعنف ودفعها نحو سيارته، وبنبرة عميقة: اصعدي الآن.

صعدت فريدة مرعوبة، بينما آدم في قمة غضبه ضغط على دواسة الوقود بعنف، زأر محرك سيارته في الشوارع كوحش جامح حتى وصلا إلى القصر.

نزلت فريدة من السيارة ودفعت الباب بقوة، متجهة إلى غرفتها، بعد لحظات دخل آدم الغرفة، وأصبح غضبه واضحًا أكثر من ذي قبل، أمسك بشعرها بعنف وجرها نحوه: أتعتقدين أنكِ ستنجين من هذا الآن؟

فريدة في صدمة: اتركني أيها المختل.

شد آدم شعرها بقوة أكبر: خالفتِ أوامري فريدة.

صفعها بقوة فسقطت على الأرض، امتلأت عينا فريدة بالدموع، وبنبرة منكسرة: أنت حقًّا شخص حقير، لا أعرف كيف ورطتُّ نفسي معك.

آدم بصياح: الندم لن يفيدك الآن يا فتاة، كان عليكِ معرفة ما الذي تُقحِمين نفسك فيه من البداية.

فريدة بنبرة مهزوزة وصوت يملؤه البكاء: سأتركُكَ وأذهب بعيدًا إلى الأبد.

أمسك آدم بشعرها مجدّدًا بإحكام، وسحبَها منه مُقرّبًا وجهها لوجهه، وبنبرة عميقة حادة: أتعتقدين أن الأمر بهذه السهولة؟

فريدة والخوف مسيطر عليها: أرجوك توقف.

آدم بغضب أقوى كأن كلماتها أشعلَت بداخله نوع آخر من الغضب: أتوقف؟! من سيتوقّف هو قلبك، لأنني سأوقفه عن النبض الآن.

فريدة: أنت أكثر شخص وقح قابلتُه في حياتي، تخونني وتكون هذه تصرفاتك؟

ابتسم آدم بسخرية، وبنظرة مكهربة أمسك فكها بقوة: أقتلكِ في مكانك يا فريدة إذا نطقتِ كلمة أخرى، أنتِ جاهلة

لا تعلمين عن ماذا تتحدثين، لقد أفسدتِّ كل شيء بتهورك.

ارتجفت فريدة من الخوف.

آدم بنبرة صارمة: هكذا أفضل، يجب أن تخافي، الآن تحمَّلِي نتيجة تصرفاتك الغبية أيتها اللعينة.

فتح حقيبتها أخذ منها الهاتف، وبنبرة جافة: أنتِ معاقبة بالسجن في غرفتك، إياك والتجرؤ على الخروج منها.

خرج آدم وأغلق الباب خلفه بعنف.

الأيام الثلاثة الأولى..

قضت فريدة الأيام الأولى في الغرفة محبوسة دون هاتف أو وسيلة اتصال، حيث كان الحديث مع أي شخص ممنوع، كان الطعام يُترَك لها عند الباب مرتين يوميًّا، اليوم الأول ظلت فريدة غاضبة تطرق على الباب وتصرخ مطالبة خروجها من الغرفة، اليوم الثاني بدأ الغضب يتحول إلى استسلام، والشك يتسلل إلى قلبها، هل كانت مخطئة بشأن آدم وأنها حقًّا لم ترَ حقيقته المخيفة وقسوة قلبه؟! اليوم الثالث جلست على الأرض بجوار السرير، شاردة في عقارب الساعة التي تتحرك ببطء شديد، حتى سمعت قفل الباب يدور، انتفَضَت فريدة لكنها لم تتحرك من مكانها.

كان آدم واقفًا أمامها، ينظر إليها بنظرات ممزوجة من

الصرامة والقلق.

آدم بنبرة هادئة: هل تعلمتِ الدرس الآن؟

فريدة ما زالت تحدق في عقارب الساعة لم تشِح بصرها عنها، وبنبرة باردة: إذا كنتَ تظن أنني سأخضع لكَ بعد كل هذا فأنتَ لا تعرفني.

اقترب آدم منها ببطء وتنهد: فريدة، لم أكن أريد إيذاءك، لكنكِ دفعتِني لفعل ذلك، لم تتركي لي خيارًا.

فريدة بغضب مكبوت، ثم تضحك ببرود: خيار؟! هل تعتقَد حقًّا أنك بمثل هذه الألاعيب ستكسرني؟ هل يجب أن أحترم قوتك آدم الآن وأنت تستخدمها قهرًا؟

قبض آدم يده بقوة محاولاً كبح نفسه: أحذركِ فريدة، لا تلعبي بالنار.

فريدة بنظرة تحد: لقد جربتُ نارك، هل تظن أنني سأخاف بعد الآن؟ أنت مخطئ.

استدارت فريدة مبتعدة، وكأن وجوده لم يعد يعني شيئا بالنسبة لها.

اشتعل وجه آدم بلون الغضب، عروقه بارزة على رقبته ووجهه، يداه تتشنجان، لم ينطق بكلمة أخرى، استدار وخرج من الغرفة بخطوات سريعة مغلقًا الباب خلفه بعنف.

فريدة تقضي يومين آخرين على نفس الحالة.

اليوم السادس...

استيقظت فريدة على صوت المطر الغزير بالخارج، استفاقَت على شعور بشيء غريب وفزعت عندما وجدت نفسها محاصرة داخل حضنه بين ذراعي آدم، يداه ملتفتان حولها بإحكام وعيناه مغمضتان.

فريدة بسخرية: كيف أتصور أنك بجانبي مرة أخرى؟ هل أنا امرأة بلا كبرياء؟

فتح آدم عينيه ببطء، ونظر إليها بابتسامة هادئة: إذًا كنتِ تتخيلين نفسك دائمًا محاصرة داخل حضنى وبين ذراعي؟ فماذا يعني هذا؟

فركت فريدة عينيها بسرعة في ارتباك: ماذا؟ هذا ليس حلمًا؟

آدم بنبرة رجولية خشنة: سحقًا فتاتي الحساسة، أنت تذيبينني.

فريدة في فزع وارتباك، تنهض من على السرير بسرعة: ما الذي تفعله في غرفتي؟

آدم بهدوء: اشتقتُ إليكِ كثيرًا.

فريدة تضحك بسخرية: حقًّا؟ ليس كما تعتقد آدم.

آدم: وماذا أعتقد؟

فريدة: مثل كل مرة سينتهي الخلاف بعبارتك اشتقتُ إليكِ.

آدم ينهض من السرير ويقترب منها: فريدة، هذا هو إحساسي عندما أقولها، لا أقصد بها شيئًا آخر، أعلم جيّدًا أن ما حدث بيننا لن يُحلّ هكذا.

يصمت قليلاً، ثم يتابع بصوت أعمق: أعلم أن هناك تسعًا وتسعين سببًا يجعلك تكرهينني، لكن هناك سببٌ واحد قد يجعلك تغفرين لي التسعًا والتسعين سبب.

فريدة: وما هو هذا السبب آدم؟

آدم: حتى أكون مستعدًّا لإخبارك بالسبب الحقيقيّ، يمكنك اعتباره خوفي عليك الشديد، أخاف أن أفقدك، أخاف أن يحدث لك شيء سيئ وأنا أعجز عن منعه.

يتنفس بعمق: أعلم أنني أجعلك غاضبة، أجعلكِ تبكين وأجعلكِ تندمين على كل شعور شعرتِ به تجاهي، أجعلكِ تفكرين في الرحيل، أنا لستُ الأفضل، لكنني لست الخائن فريدة.

فريدة بعينين غارقتين في خيبة الأمل: آدم، كل شيء عنك يصرخ أنك رجل لا يتقيد بشيء، لا بوعود ولا بقلوب.

آدم يتنهد بعمق: فريدة اسمعيني جيّدًا.. أعلم أنك ترينني

هكذا، وأعلم أن تاريخ حياتي لا يخدمني، لكن ما بيننا ليس مجرد شيء عابر، أنا رجل يستطيع خداع العالم، لكنني أمامك عاجز تمامًا عن الخيانة.

بصوت حازم: لم أكن ذلك الرجل الذي يتوسل المغفرة أو الرحمة من أحد، حياتي دائمًا حرب ومعارك لا تنتهي، لا وقت فيها للضعف، لكن أنتِ.. أنتِ جعلتِني أشعر بشيء غريب، شيء لم أعرفه من قبل.

فريدة في توتر: آدم، هل تعتقد حقًّا أنني ساذجة لأُصدّق كلماتك بعد ما رأيته؟

آدم: أجل، يجب أن تصدقي؛ لأنني لست هذا الرجل الضعيف الذي يكذب ليُبقِي امرأة بجانبه، ما رأته عيناكِ فتاتي إنه مجرد جزء من عالم إدارة الأعمال، لا شيء يجمعني بها من عاطفة، لكن هي صديقة مقربة لي، ليس هناك أكثر من ذلك، أيضًا هي شريكة عمل ضخم في روسيا، عندما رأيتِني من قبل أقبّلُها اتفقت معها بأنني أحتاج إلى مساعدة لإبعاد شخص عزيز عني.

فريدة تدير نظرها بعيدًا عن آدم في حيرة، آدم يمسك ذقنها يعيد نظرها إليه.

آدم يقبض على يد فريدة بقوة، ثم يخفّف قبضته ببطء خشيه من أن يؤلمها، ينظر داخل عينيها بعمق: أنا لست

الشخص الذي يبرّر أفعاله يومًا، ولم أركع لأحد، لكنكِ أنتِ وحدكِ كسرتِ كل قواعدي فريدة.

فريدة تحاول سحب يدها، لكنها تشعر بالضعف أمام نظراته، وبنبرة هادئة: آدم، أخاف منك كثيرًا، هناك لحظات أشعر أنك غريب عني.

آدم بنبرة هادئة عميقة: أشعر بالندم، أتمنى لو أستطيع التحرر من ظلامي لأجلكِ أنتِ فقط، أن لا أكون رجلاً قاسيًا، لكن أعجز عن ذلك، فريدة أنتِ الوحيدة التي جعلتِني أدرك أنني لستُ بحاجة لأن أكون وحشًا طوال الوقت، ومع ذلك ما زلتُ وحشًا.

آدم يقترب منها أكثر، يرفع يدها نحو شفتيه ويقبّلها قُبلَة طويلة تعبّر عن اعتذاره، ثم يميل بوجنته يسند بها يدها: إنكِ الشخص الوحيد فريدة الذي أريد أن أكون معه، ولو تطلَّبَ الأمر العمر كله لأثبت لك ذلك سأفعل.

فريدة تتنهّد بعمق في ارتباك، تضع يديها على جبينها في توتر، آدم يمدّ يديه بلطف، يسحب يدها من على جبينها وابتسم بخفة، كانت يده دافئة على يدها، فريدة ما زالت غارقة في حيرتها والصمت يسود بينهما.

آدم بنبرته الرجولية: ملِكَتي.

فريدة تلتقي عيناها بعينيه، وتنهّدَت بعمق أكثر، هزَّت رأسها بهزيمة: كيف يمكنني مقاومة تلك النظرة أو الابتسامة أو الرائحة؟ ستكون وسامتك نقطة ضعفي دائمًا آدم.

آدم يضحك بلطف: جيد أن وسامتي لها فائدة.

آدم يحتضن فريدة بقوة حتى تلتحم أجسادهما معًا، ويسند ذقنه على رأسها ويستنشق رائحتها بعمق: اللعنة فريدة! اشتقتُ إليكِ بشدة، كأنني لم أستطع التنفس طوال تلك الأيام.

فريدة بنبرة رقيقة: أنا أيضًا اشتقتُ إليكَ كثيرًا، رغم غضبي منك وجزء كبير من قلبي يكرهك، لكن هناك ذلك الجزء الصغير الذي ينادي باسمك، هو أيضًا مَن هزم ذلك الجزء الأكبر، أكثر ما كنتُ أحتاج إليه كان حضنك لأحتمي فيه منك ومن قسوتك.

آدم: حسنًا لنعقد اتفاقًا، إذا كنتِ يومًا معاقبة خائفة، يمكنكِ إخباري.. سأخفيكِ بداخلي أحميك منّي، سأكون معكِ أخفّف عنك أحتضنك كما تشائين.

فريدة تقهقه بصوت عالٍ: كان عليكَ إخباري بأنك ستُنهي العقاب.

آدم في مواساة: لا يمكنني إنهاء العقاب، لكن يمكنني مشاركتكِ إياه.

فريدة: حسنًا.

آدم يخرج هاتف فريدة من جيبه: حان الوقت لتحصلي على هاتفك.

فريدة تخطفه من يده: أخيرًا، لقد اشتقتُ إليكَ عزيزي.

آدم بتذمر: لهفتكِ للهاتف أكثر من لهفتك لي، يبدو أن اشتياقك له أكبر.

فريدة في سخرية: ربما لأنّكَ مَن أبعدني عنك.

آدم: الآن أريد أن أعطيكِ شيئًا آخر.

نظر آدم إليها بجدية واهتمام، ثم أخرج مسدّسًا صغيرًا من جيبه الآخر ووضعه بلطف في يدها الأخرى: أمسكي فريدة، هذا من أجل سلامتك.

وبنبرة أكثر حزمًا: احتفظي به معكِ دائمًا، إذا شعرتِ بأي خطر أو بحاجة إلى الحماية سيكون بجانبك.

فريدة في صدمة وتعجب: ما هذا آدم؟ لا يمكنني حمل هذا الشيء، ولا أعرف كيف أستخدمه، لماذا تعطيه لي؟

آدم: بالطبع يمكنك حمله فريدة، فهو مصمم خصّيصًا لك، حيث تم صنعه ليكون مثاليًّا ليدك الصغيرة، الزناد سلس ليكون سهل الاستخدام دون الإخلال بالأمان، فوهته قصيرة جدًّا ليكون خفيفًا وسهل الحمل، وصغير الحجم بما يكفي لتخفيه

داخل حقيبتك أو تحت ملابسك، أما بالنسبة بالجزء الخاص باستخدامه فهذا جزء من تدريباتك القادمة.

فريدة: أنا لا أفهم، لماذا أحتاج إلى حمل مسدس وتعلم استخدامه؟

آدم: فتاتي، ما يظهر دائمًا على وجه الشخص ليس دائمًا ما يخفيه قلبه؛ لذلك عليكِ تعلم حماية نفسك والدفاع عنها.

فريدة أومأت برأسها كجواب، وما زالت عاجزة عن فهم السبب الحقيقي.

آدم: هيا افتحي هاتفك.

فريدة: يحتاج إلى الطعام أولاً؛ لذا سأضعه يشحن قليلاً.

آدم يبتسم بخفة: حسنًا، لن أذهب إلى العمل اليوم، سأبقى بجوارك.

فريدة تبتسم في سعادة: يسعدني ذلك.

آدم: هيا استعدي لتناول الإفطار.

يغادر آدم الغرفة.

فريدة وضعت الهاتف للشحن وذهبت للاستحمام، أثناء خروجها من الحمام سمعَت صوت رنين الهاتف المتواصل.

فريدة في حماس: مرحبًا صديقتي.

ليلى في ذعر: فريدة، هل أنتِ بخير؟

فريدة: أجل، ماذا عنك؟

ليلى في تحسر: أنا بخير فريدة، ما حدث لا علاقة له بكِ، أتوسل إليكِ لا تلومي نفسك؛ فأنا أعرفكِ خير معرفة صديقتي.

فريدة في قلق: وما الذي حدث؟

ليلى: عن موت أمير.

فريدة في صدمة غير منتبهة بنبرة عادية: موت أمير ماذا؟!

ليلى في صدمة: ألم تغلقي هاتفكِ طوال هذه الفترة بسبب موت أمير؟

فريدة بنبرة متعجبة: عن أي أمير تتحدثين ليلى؟ وماذا حدث؟!

ليلى بصوت باكٍ: ماذا بكِ فريدة؟! ألم تعلمي عن موت أمير؟ لقد قُتِل.

فريدة بسخرية: هل جُننتِ ليلى؟ ما هذا الهراء؟ هاتفي كان مغلقًا لأنني كنت مُعاقبَة، هل تتحدثين عن أمير خاصتنا؟ إن كان الأمر كذلك لماذا هناك أطنان من الرسائل المرسلة منه؟ سأتحقّق منها الآن، يكفي مزاحًا سيئًا وسخيفًا مثلكِ.

ليلى تبكي بحرقة وبصوت عالٍ: أنا آسفة فريدة، أعلم جيّدًا كم كنت تحبين أمير، أتمنى أن أكون بجوارك الآن صديقتي.

فريدة تنفجر بصوت مخنوق: ليلى، أمير لا يمكن أن يكون قد

مات.

أغلقت الهاتف وفتحت رسائل أمير في توتر، كانت تعرف أن ما ستسمعه قد يحطم الأمل المتبقّي داخلها، لكنّ جزءًا منها كان متمسّكًا بخيط رفيع يربطها بأمير مهما كان مؤلمًا، بيدين مرتعشتين فتحت الرسائل الصوتية المرسلة منه، بدأ جسدها يرتجف وهي تضغط على أول رسالة، أمير بنبرة قلقة: فريدة هل أنتِ بخير؟ حاولتُ الاتصال بك كثيرًا لكن هاتفك كان مغلقًا، أنا الآن أتجول في شارع صغير لكن هناك من يراقبني.

الرسالة الثانية، أمير بصوت لاهث مضطرب من شدة الإرهاق: ركضتُّ كثيرًا كي أضيعهم، لكن الأمور خرجَت عن السيطرة، إنهم خلفي الآن.

الرسالة الثالثة، بصوت يزداد ارتجافًا وحزنًا: إنهم يقتربون مني وأنا خائف قليلاً، حسنا فريدة إذا لم أنجُ من هذا، لم أكن أريد أن أتركِكِ وحدَكِ، لكنهم لا يمنحونني فرصة، أعتذر لكِ عن كل شيء، لا تحزني أختي الكبيرة على فراقي، أتمنى...

وقبل إنهاء أمير جملته سمعَت فريدة طلقًا ناريًّا وتتوقف الرسالة.

ظلَّت فريدة صامتة للحظات، ثم أطلقت صرخة مزلزلة وكأن قلبها انشطر، أمسكَت رأسها بيديها وشعرها يتطاير بعنف وهي

تهز رأسها بعصبية: لاا!! هذا مستحيل! أمير لا يمكن أن يكون قد مات.

تصرخ بأعلى صوتها، تجلس على ركبتها وتضرب الأرض بيديها بعنف، كان البكاء يختلط بصرخاتها ودموعها تسيل على وجهها بغزارة.

آدم كان جالسًا في مكتبه، عندما وصل صراخ فريدة إلى كل أرجاء القصر حتى مكتبه مما جعله يقفز من مقعده بغريزة لا إرادية، اندفع نحو غرفتها بخطوات سريعة، ووجهُه متجهم ونظراته مشتعلة بالقلق، عندما فتح الباب وجد فريدة على الأرض منكمشة على نفسها ووجها غارق في الدموع وترتجف بعنف.

اقترب آدم منها بخطوات متردّدة، وحاول أن يضع يده على كتفها، بصوت أجش ممتلئ بالقلق، محاولاً السيطرة على توتره: فريدة، ماذا يحدث؟

فريدة تدفع يده بعيدًا بغضب لم تُعِرْه انتباهًا، واستمر بكاؤها بصوت مشروخ: ابتعد عني لا تلمسني، كان يمكن إنقاذ أمير لو أن الهاتف كان معي، تبًّا لك ولتصرفاتك اللعينة.

اقترب آدم مجدّدًا وجلس على ركبتيه بجانبها، لم يقل شيئًا، فقط كان ينظر إليها يحاول أن يلتقط أنفاسه.

فريدة بصوت مختنق وعيناها تحدقان فيه بنظرة مليئة بالكراهية: لقد كنت تعلم؟

آدم يحاول إيجاد الكلمات، وبنبرة ثابتة لكن صوته يخرج خافتًا: فريدة لم أكن أريد أن أزيد ألمك، كنت أحاول حمايتك.

قبل أن يكمل كلماته قاطعته فريدة بصرخة غاضبة: تحميني؟! تحميني من ماذا؟! أريد أن أعلم آدم هل تحميني من الحقيقة؟ أنتَ لم تفعل شيئًا سوى أنك خنتني وكذبتَ عليّ.

كانت يداها ترتعشان وشعرت كأن الأرض تدور بها، تقدَّمَت نحوه بخطوات غاضبة وضربت صدره بقبضتها، وبصوت مختنق بين الدموع والصرخات: كيف تجرؤ على إخفاء موت صديقي عنّي؟

ظل آدم ثابتًا لا يتحرك ولا يحاول إيقافها، فقط ينظر في عينيها لا يعرف ماذا يقول أو يفعل.

فريدة بصوت ضعيف منهك بالكاد يُسمَع: أنتَ لست سوى وحش آدم، هذه العلاقة تدمرني وترهق روحي، لا أستطيع، لا أستطيع أن أكمل فيها.

كان وجه آدم متجهّمًا، وقف بطول قامته كتمثال منحوت من صخر، ملامحه باردة قاسية كعادته، لكن نظرته تعكس شيئًا غامضًا، جسده متصلب وكأنه يقاتل نفسه ليُخرِج كلمات

لم يتخيل يومًا أنه سيقولها، حدق في الأرض للحظات، ثم رفع نظره ببطء ليواجه عينَي فريدة.

زفر بعمق وكأن الهواء أصبح ثقيلاً في رئتيه، وبنبرة خافتة مبحوحة: سُحقًا فريدة!

بصوت خشن يخرج من أعماقه: ألا ترين سبب تصرّفي بحمق أنني واقع في حبك بجنون؟!

حين سمعت فريدة كلماته تجمَّدَت في مكانها وكأن الزمن توقف للحظة، اتسعت عيناها في صدمة: ماذا؟ أتخبرني بهذا الآن؟

اقتربت منه مرة أخرى، ثم انهارت أمامه وانهالت دموعها دون توقف: أنت شخص سيئ، لماذا تفعل هذا بي؟ أتدري كم من الوقت انتظرتُ سماع تلك الكلمات منك؟

كانت تضربه بلا هوادة، ومع كل ضربة كانت شهقاتها ترتفع: أيها الأنانيّ كيف تجرؤ على أن تخبرني الآن؟

رغم دموعها وصراخها، لم يتحرك آدم ولم يحاول إيقافها، وقف ثابتًا يتلقَّى ضرباتها، كانت المسافة بينهما أوسع من مجرد بضع خطوات.

أمسك آدم بيديها وثبتَهُما على صدره لتشعر بنبضات قلبه العنيفة تحت أناملها المرتعشة، بيده الأخرى بدأ يجوب

ببطء على وجهها، ومرَّر إبهامه برفق على خديها يمسح دموعها الحارقة التي لم تتوقَّف عن السقوط.

آدم بصوت مبحوح، نفَسُه يصطدم بنفسها: فريدة، أنا لم أتعلم أبدًا كيف أحب، لم أتعلم كيف أعتني بشخص دون أن أدمره، لكن أنتِ جعلتِ عالمي ينهار، جعلتِني أشعر بالرعب، لا أعلم ماذا أفعل، كل ما أريده هو حمايتك من أي شيء بأي طريقة.

فجأة احتضن آدم فريدة بقوّة كأنه يحاول أن يمتص كل وجعها داخله، ضمَّها إلى صدره بقسوة محتجزًا جسدها بين ذراعيه حتى لا تهرب، فريدة كانت تحاول المقاومة، تضربه بقبضتيها الضعيفتين على كتفيه وصدره تصرخ من أعماقها: اتركني آدم.

لكن قبضته كانت كالفولاذ لا تترك لها مجالاً للهرب، آدم بنبرة عميقة خافتة: أعلم فريدة أنني لم أكن استحق حبك، لكنني الآن أدرك أنني لا أستطيع العيش بدونه، أحبّكِ وهذا الشعور يدمرني، لكن إذا كان هذا العقاب الذي أستحقه فليكن، لكن لن تبتعدي عني.

شعرت فريدة بحرارة أنفاسه المتقطعة تلهب عنقها وصدره القاسي يرتجف ضد جسدها، بدأت تنهار تدريجيًّا بين ذراعيه،

وكأن حضنَه أصبح جدارًا يحميها من الانهيار التام: أنا حقًّا لا أستطيع بدونكَ آدم، حبك يفقدني عقلي، لكن بدونه أختنق.

بعد مرور خمسة شهور...

كانت فريدة في غرفتها في القصر تحضّر حقائبها، رن هاتفها بمكالمة فيديو، بدأت المكالمة لتظهر ليلى أمام الكاميرا وهي تقفز بحماس مثل طفلة صغيرة، وبصوت مفعم بالفرح: لا أصدق أنكِ عائدة أخيرًا، فريدة.. ثمانية أشهر كاملة لم أرَكِ، هل تدركين كم اشتقتُ إليك؟

فريدة بابتسامة هادئة: أنا لا أصدق أيضًا أنني سأعود، فلنشكر يوسف، إقامة زفافه ودعوته لنا، لا تعلمين يا ليلى كم اشتقتُ إليكِ أيضًا.

ليلى تتنهد تنهيدة طويلة: لدينا مليون شيء لنفعله ونقوله، سنتجول في كل الأمكان التي نحبها ونعوّض كل ما فاتنا.

فريدة تنهَّدَت في يأس: حسنًا، لكن لا أريدك أن تتوقعي الكثير، أنا ما زِلتُ أحتاج إلى الكثير من الوقت.

ليلى بصوت هادئ: فريدة، لن أكذب عليكِ، لقد كانت هذه الفترة صعبة عليّ، وأعلم أيضًا أنها كانت صعبة جدًّا عليكِ، لكن يجب أن نتعايش، هذه هي الحياة صديقتي، إذا كان أمير موجودًا لكان سيريدنا أن نستمتع بحياتنا.

انهارت دموع فريدة بصمت، كانت تحاول الحفاظ على هدوئها، يداها ترتجفان وهي تمسح دموعها بصعوبة، الكلمات لا تأتي بسهولة، وبنبرة مبحوحة تغلبها الشهقات: لا أريد أن أصدق، كل يوم كنت أخبر نفسي أن هذا مجرد كابوس وسأستيقظ لأجده هنا، لا أستطيع مسامحة نفسي ليلى وأنا أعلم أنه كان بإمكاني إنقاذه ولم أفعل.

ليلى بصوت حازم: وكيف كنتِ ستنقذينه؟ حتى ولو كنتِ تحملين هاتفك، ماذا كنت ستفعلين فريدة؟ هناك أمور خارج إرادتنا متروكة للقدر، حتى لو أردنا التدخل فلن نستطيع، لذا لا تلومي نفسك على شيء لم يكن بيديك، يكفي أن تحزني على فراقه فقط.

أنهت فريدة مكالمة الفيديو وأكملت حزم حقائبها.

فريدة تستعد للرحيل، تسأل عن آدم لتعلم أنه في مكتبه منذ ساعات ولم يخرج.

طرقت فريدة الباب ودخلت، كان المكتب مظلمًا لا يتخلله أي ضوء والمكان غارق في السكون، كان آدم جالسًا على الأريكة، وهجٌ خافتٌ يتراقص من طرف سيجارته المشتعلة يضيء وجهه المتجهم، أنفاسه عميقة ومتقطعة، وعيناه تحدّقان في الفراغ أمامه، دخان السجائر يتصاعد ببطء يلتف حوله كضباب

كثيف.

فريدة في دهشة: ما هذا المنظر؟ لم أرَه منذ زمن.

آدم يحدق فيها بعينيه السوداويتين، وبنبرة جامدة: هذا لأنكِ لستِ هنا.

فريدة في تعجب: ما هذا؟!

تنظر حولها يمينًا ويسارًا: إذًا أين أنا؟ ألستُ في قصر السيد آدم؟

نهض آدم من مكانه واقترب منها: أولاً هذا قصر السيدة فريدة، ثانيًا هل تمزحين بكل بساطة وأنتِ على وشك مغادرتي وتركي؟ أفراقي هيّنٌ لكِ هكذا؟

ابتسمت فريدة بحنان، واقتربت منه أكثر حتى شعرَت بدفء أنفاسه المتقطعة على وجهها، أمسكَتْه بوجهه بين يديها برفق ونظرَت داخل عينيه، وأخذت تمسح بأصابعها خطوط الألم التي حفرتها الأيام على ملامحه: كيف تظلمني بهذه الكلمات أيها القاسي؟ أنا أحترق لفراقك، لكنني سأغيبُ لشهر واحد فقط وليس للأبد.

آدم ويقطبُ حاجبيه يضغط بأنامله حول ذقنها: لا، بل لثلاثة أسابيع فقط.

فريدة في تذمر: آدم، لقد تحدثنا في هذا الأمر.

آدم: أنتِ طلبتِ وأنا رفضتُّ.

فريدة: لماذا ترفض؟ لقد بقيتُ بعيدة عن عملي لثمانية أشهر ولا أعلم عنه شيئًا، لم أقابل أصدقائي طوال هذه المدة.

آدم اشتدَّت قبضته حول ذقنها: وماذا عني؟

فريدة في دهشة: ماذا عنكَ؟

آدم: لقد فرقتِ بيني وبين وحدتي، والآن تريدين إصلاح العلاقة بيننا؟ كيف هذا؟! كيف سأعتاد ألا أجد صندوق الطعام الذي أذهب به إلى العمل يوميًّا؟ كيف سأتناول وجباتي كلها وحيدًا على الطاولة، كيف سأعمل في مكتبي وأنا أعلم أنكِ لن تدخلي في أي وقت لتفعلي شيئًا مُسلّيًا يخرجني من ملل العمل؟ كيف سأعود إلى المنزل ولا أُحضِر الزهور لامرأتي؟ والأهم كيف سأنام ليلاً وأنتِ لستِ بين ذراعيّ؟ وكيف سأستيقظ ووجهك ليس أول ما أراه؟ علاقتي بالوحدة محكوم عليها بالإعدام وأنتِ السبب فريدة.

ظهرت ابتسامة سعادة على شفاه فريدة: حسنًا، بدون هذه الدراما، سأغيب لثلاثة أسابيع فقط، لكن هذا وضع مؤقت حتى نرتّب أمورنا؛ فأنا لن أترك عملي يا رجلي.

أراح آدم جبهته على جبينها، وبنبرة هادئة: موافق، والآن اقتربي أيتها الشقية دعيني أودّعكِ بطريقة لائقة.

اجتذبها آدم ناحيته واحتضنها بقوة حتى تلاشت المسافة بين جسديهما، أعدم المسافة بين شفتيهما، بينما أنفاسه الساخنة تداعب شفتيها، مرر يده على طول ذراعيها بينما يرمقها بشغف، وبيده الأخرى مسَّدَ على طول شعرها برفق، وبنبرة هامسة: فريدة، لا أستطيع تصديق أنك ستغيبين عن أنظاري، ظننتُ أنّني أقوى من هذا، لكن سأشتاق إليك بطريقة لا أستطيع وصفها فتاتي، لا تطيلي الغياب لا نريد عقابك، أو نريد؟

ابتسمت فريدة بسخرية، وهتفت بنبرة عالية: لا نريد سيدي.

آدم يبتسم بلين: حسنًا، وقتُكِ الأكبر يكون ملكي أنا، وإذا نسيتِ هذه القاعدة فاعلمي أن عطلتكِ انتهت وستعودين على الفور.

فريدة: حسنًا، رجلي اللطيف.

آدم: هيا اذهبي الآن قبل أن أغير رأيي.

غادرت فريدة مع حراسه على متن طائرته الخاصة، أثناء طريقها إلى القصر الذي ستُقيم فيه كانت فريدة شاردة، تتأمل الشوارع من زجاج نافذة السيارة، حيث اشتاقَت لتلك الشوارع، قطَعَ شرودها صوت هاتفها يرن.

ليلى في حماس: صديقتي العزيزة، أنا مستعدة للتوجه إلى منزلكِ الآن.

فريدة: حسنًا، دقائق وأصل إلى القصر.

ليلى: أنا في انتظارك.

تصل فريدة إلى القصر، تمر فترة قصيرة حتى تصل ليلى، تدخل الاثنتان في عناق طويل، ثم تجلسان لتبادل الأحاديث حول أمورهما، ينتهي الحديث باتفاقهما على الخروج في اليوم التالي للتسوق من أجل زفاف يوسف.

اليوم التالي...

تبدأ الصديقتان يومهما بالتسوق، ثم تناول الغداء ومقابلة الأصدقاء، يمضي اليوم سريعًا، تعود فريدة إلى القصر مرهقة بشدة، تبعث برسالة إلى آدم: رجلي اللطيف، أتمنى أن تكون بخير اليوم، قضيتُ يومي مع أصدقائي، أعلم أنّني انتهكتُ القاعدة الجديدة، لكن حقًّا لم يكن لديّ وقت اليوم؛ لذا لا تغضب، سأعوّضكَ غدًا، اشتقتُ إليك كثيرًا كثيرًا، لا تنسَ تناول جميع وجباتك، سأذهب إلى النوم الآن، طابت ليلتك.

منتصف الليل...

يُسمَع طرق على باب غرفة فريدة، تستيقظ والنعاس يغلبها، تفتح باب الغرفة، تُصدَم وتتجمّد في مكانها، فركَت عينيها

تحاول أن تفِيقَ، كان صاحب الهيبة بصدره المصقول ومظهره الفاتن واقفًا أمامها.

فريدة في تعجب مصحوب بدهشة: آدم! ماذا يحدث؟ لماذا أنت هنا؟!

آدم يقترب خطوة نحوها، رفع يده ثم وضعها على خدها بلطف، ضحك ضحكة مظلمة: لأنك لعنة وبحق، أدركتُ أنني لا أستطيع الابتعاد عنكِ، ليس بعد الآن وبعد كل ما مررنا به فريدتي، لم أستطع النوم أو تناول الطعام، ولا نريد التحدث عن عدم التزامك بالقوانين.

فريدة تجذبه إلى حضنها: أيها المزعج أنت وقوانينك، اشتقتُ إليك.

آدم يحتضنها بقوة شديدة، لمست شفتاه أذنها، وبهمس: إذًا نحن شركاء في نفس المعاناة، لا أعلم ماذا فعلتِ بعقلي، أو ما هو السحر الذي أسرتني به لأتحرر منه!

فريدة: سحر الحب رجُلي، إنه أقوى من أي شيء.

آدم أمسك وجهها بيديه وجذبها نحوه بعنف شديد لا يخلو من الشوق، انحنَى برأسه نحو عنقها وانزلق بشفتيه عليه، بدأ بطبع قبلات متفرقة شرسة رطبة ممتصًّا عنقها الناعم بقوة، أنفاسه الساخنة تصدم جلدها بحرارة، كانت كل قبلة أعمق مما

قبلها لتترك أثرًا دافئًا.

فريدة أطلقَت أنفاسًا متقطعة، لم تستطع مقاومة تلك اللمسات العنيفة، شهقاتها تتصاعد مع كل أثر تتركه قبلاته، فيما تتشابك أنفاسهما معًا.

آدم بصوت رجولي خشن: لن أسمحَ لكِ بالابتعاد مجدّدًا، لا أصدقاء، لا عمل، لا شيء، أنا فقط، أنتِ لي فريدة.. لي وحدي.

فريدة بصوت مرهق من أثر قبلات آدم: إذًا لا تسمح بابتعادي آدم.

قبضَت فريدة على ياقة قميصه وجذبته نحوها بشوق جارف، اندفعَت بشفتيها نحو شفتيه بعنف، كانت القبلة أشبه بعراك بينهما، أنفاسهما تتشابك وكأنّ كُلاًّ منهما يحاول سرقة الهواء من الآخر، شعرت فريدة بحرارة شفتي آدم القاسية والمتعطشة التي التهمَتْ شفتيها بشغف، كان هناك دفء ينبعثُ من شفتيهما وكأنها تحترق من الشوق بنيران تتوهّج بينهما، امتلأ صدر فريدة بأنفاس آدم الحارة التي انطلقَت كأنها تيار يذيب كل المسافات.

بعد تلك القبلة العنيفة التي أشعلَت الرغبة بينهما توقف آدم فجأة وكأن أنفاسه قد نفدت، أسند جبينه على جبين فريدة وعيناه مغلقتان، يحاول استجماع نفَسِه، فريدة ترسم

على وجهها ابتسامة عريضة.

آدم ما زال مغمض العينين وهو يلتقط أنفاسه: لماذا تضحكين؟

فريدة تبتسم بسعادة: لا شيء.

فتح آدم عينيه ليحدق في وجهها، كانت فريدة تنظر إليه بشغف، جفونها متدليّة بخمول وقلبها مسحور لهذا الرجل، أسيرة له كأنه يحملها إلى عوالم أخرى.

آدم عقد حاجبه، وابتسم برقة: إذًا لماذا تنظرين إليّ بهذه الطريقة؟

فريدة في شرود: أنا فقط سعيدة، لم أتوقع أن تشتاق إليّ بهذه الطريقة؟

آدم: هذا صحيح، حتى أنا لم أتوقّع أن أشتاق إليكِ بهذا الشكل، كان يجب أن أعرف من اليوم الأول الذي رأيتُكِ فيه أنك شخص خطير.

فريدة بابتسامة ماكرة: يا إلهي! هذا اتهام قاس، أنا لستُ أخطر منك.

آدم بنبرة دافئة: حقًّا؟! إذًا أخبريني لماذا لا أتحمل غيابك؟ جمالُكِ اللعين الذي يسلب أنفاسي؟ ابتسامتك التي تحمل سحرًا لا يُقاوَم؟ رائحتك التي تأسرني؟ صوتك الذي يبعث السكينة داخلي؟ إن النعيم الحقيقي بداخلك فريدة.

مسحت فريدة على ساعديه بحنان صعودًا وهبوطًا: أنتَ من يجعلني أحلّق في النعيم آدم.

يمر الأسبوع وفريدة تستغل وقتها بلقاء الأصدقاء، وزيارة الجريدة، بينما آدم يقرر قضاء كل لحظة ممكنة معها، يستمتعان ببعضهما في كل لحظة كأن الزمن يقف احترامها لهذا الشغف الذي يربطهما.

يوم زفاف يوسف..

استعدَّت فريدة بإطلالة مذهلة، ارتدَت فستانًا طويلاً باللون الأزرق العميق، ضيّقًا من الأعلى يبزر تفاصيل قامتها الرشيقة، الأكمام الطويلة الشفّافة من قماش التول الفاخر زادتها أناقة، مزين بتطريز ناعم من الخيوط الفضية على الجزء العلويّ من الفستان، الذي زُيِّن بأزهار صغيرة متناثرة حول منطقة الصدر، أكملَت فريدة إطلالتها بحذاء بكعب عال فضيّ، حقيبة صغيرة من الساتان المتلألئ مع أقراط ماسية، شعرُها كان مرفوعًا بتسريحة أنيقة مع خصلات تنساب برقة على وجهها.

توجَّهَت فريدة إلى مكتب آدم وهي تتذمر: ما هذا آدم؟ ألم تستعدّ بعد؟

كان آدم مشغولاً بالأوراق أمامه، لكنه رفع بصره نحوها عندما سمع صوتها تفحَّصَها بعينيه من الأعلى إلى الأسفل، ثم نهض من

مكانه وسار نحوها بخطوات رنانة وبصره مثبت عليها، وبنبرة حادة: اللعنة! واللعنة على جمالك!

ابتسمت فريدة في سعادة، ولفت حول نفسها في إعجاب: إذًا ما رأيك؟

آدم يبتسم بغيظ: أرى أن هناك بعض الوجوه ستتحطم اليوم.

نظرت فريدة إليه في حدة، واقتربت منه حتى صارت أنفاسها تتقاطع مع أنفاسه، حدّقَت في عينيه مباشرة، وبنبرة هادئة: حقًّا؟! ولمَ هذا؟!

اقترب آدم منها أكثر بنظرة مكهربة وصوت خشن: لأنني لا أتحمّل فكرة أن ينظر أحد إلى ما هو لي، وإلى امرأتي، لذا تذكري دائمًا.. أنا لا أشارك ما أملك ولا أسمح لأحد بالاقتراب مما هو لي؛ لذلك هناك بعض القواعد التي ستلتزمين بها حتى لا يخسر أحد حياته بسببك اليوم.

آدم بنبرة جادة: ممنوع الضحك بصوت عالٍ، ممنوع التحدث مع الرجال الآخرين في الزفاف إلا لإلقاء التحية فقط، ممنوع التجمعات المشتركة، ممنوع...

قاطعت فريدة حديثه قبل أن يكمل: لماذا؟! ألا تنوي القدوم معي؟

اعتلت الدهشة ملامح آدم: أتريدينني أن آتي معك؟

فريدة: نعم، اعتقدتُّ أنك ستأتي.

ازدات دهشة آدم وهو ينظر إليها: وأنا اعتقدتُّ أنكِ لن ترغبي في مجيئي.

فريدة في تعجب: لماذا؟!

نظر إليها آدم بعينين ثاقبتين، وضغط على فكيه فصار صوته أكثر خشونة: لأنني أشعر بالإذلال أمامكِ فريدة، إنها المرة الأولى التي أشعر فيها أنني لستُ جيّدًا بما يكفي، سأذهب معكِ إلى الزفاف، ولكن عندما يسألك الناس عنّي وعن وظيفتي بماذا ستجيبين؟

فريدة أحاطت وجه آدم بكفيها، وابتسمت برقة: أنتَ عالمي آدم، لا يهمني شيء آخر، لا يهمني رأي الناس ولا يهمني عملك، أنتَ منحتني مشاعر لم أتخيلها يومًا، وصنعتَ معي ذكريات لم يكن عقلي ليصدقها، كيف لي أن أفكر بتلك الطريقة؟

تأمل آدم وجه فريدة بعينين ناعستين، وكأن كلماتها حملته إلى عالم آخر.

فريدة بابتسامة مشجعة: هيّا، إن كنت ستأتي معي فاذهب واستعد، نحن متأخران بالفعل.

نهض آدم وتوجّه للاستعداد، مر الوقت وخرجا معًا في

طريقهما إلى الزفاف.

فى السيارة...

جلست فريدة بجانب آدم في المقعد الخلفي، بينما كان السائق والحارس الشخصي في المقدمة.

آدم: فريدة.

فريدة: أجل؟

آدم: لماذا لم تحاولي تغييري وتجعليني شخصًا صالحًا؟

فريدة تبتسم برفق: لأنّني أحببتُكَ كما أنت بكل ما فيك، كيف يمكنني أن أغيّر شيئًا؟ أليس هذا جزء منك؟ وأنا أحب كل الأجزاء آدم.

ابتسم آدم بلطف: كنتِ على حق، أنت مناسبة للخطوة التالية.

فريدة في تعجب: عن أي خطوة تتحدث؟

اقترب آدم منها، نظر إليها بمكر، ثم نقر على أنفها بخفة قبل أن يعتدل في جلوسه: لا تكوني متسرعة يا فتاة.

وصل آدم وفريدة إلى القاعة، وكان حضورهما معًا خلّابًا، لم تستطع الأنظار مقاومة متابعة خطاهما وهما يسيران كأنهما النجمين الرئيسيَّين للزفاف، آدم كان شامخًا بهيبته وبدلته الداكنة الفاخرة التي أبرزت جسده الرياضي، ظهرَت وسامته إلى حد استثنائيّ، بشرته البرونزية وعيناه السوداوتين المشعتان

بالثقة وشعره الأسود المُصفّف بعناية، كان مظهره يخطف أنظار جميع المدعوين.

لف آدم ذراعه حول ذراعها، كانت فريدة مستندة قليلاً على ذراعه، تشعر بالفخر والحماس وهي بجانبه.

آدم بصوت خافت: كل شيء على ما يرام.

فريدة تبتسم: كثيرًا.

جلس الاثنان على الطاولة المخصصة للأصدقاء بجوار ليلى وزوجها.

اقتربت ليلى من فريدة، وهمست في أذنها بمزاح: لماذا أحضرتِه معكِ؟ أتحاولين إثارة غيرتنا أيتها الحمقاء؟

فريدة تضحك بهمس: إنه حبيبي أيتها الحقودة، كيف تسمحين لنفسكِ؟ زوجكِ أيضًا يجلس بجانبكِ على الطرف الآخر.

ليلى تضحك بسخرية: أعلم ذلك، لكنه وسيم جدًّا فريدة، ألا ترين كيف تنظر إليه باقي نساء الزفاف؟

فريدة تبتسم في فخر: أرى ذلك، ولكنّني أيضًا مثيرة ولا تُنكرِي ذلك.

ليلى تضحك في سخرية واضحة: طبعًا طبعًا.

تضحك الصديقتان بصخب؛ فيلتفت باقي الجالسين على

الطاولة إليهما.

آدم يميل برأسه يهمس في أذن فريدة: سحقًا فريدة! ألم نتحدث بشأن ضحكك بصوت عالٍ؟

فريدة في سخرية: أليسَت تلك قاعدة تُطبَّق فقط عندما لا تكون معي؟

آدم يكز على أسنانه بنبرة صارمة: لا، هذه القاعدة تُطبَّق دائمًا في حالة إذا كنّا لا نريد إفساد الزفاف، أنا لا أتحمل أن ينظر أحد إلى زوجتي؛ لذا عليك ألا تكوني مصدر جذب إضافي، يكفي مظهرك اليوم.

فريدة في صدمة شعرت وكأن تلك الكلمة اصطدمت بقلبها مباشرة، اتسعَت عيناها بدهشة، ثم رفعت حاجبيها وهي تحدّق فيه كما لو كانت تحاول استيعاب ما قاله، وجنتاها أخذتا لونًا ورديًّا، وبدا أنها حُبِسَت بين صدمة سماع كلمة زوجتي للمرة الأولي، نبض قلبها الذي تسارع فجأة، تركت أصابعها التي كانت تستند على الطاولة تتحرك بعفوية.

آدم كان يراقب رد فعلها، ارتسمَت على وجهه ابتسامة جانبية، لكنّ عينيه الداكنتين لم تتركها، وكأنهما تحاولان قراءة أفكارها، كان وجهه جامدًا، لكنّ شيئًا في ارتباكها ودهشتها جعله يلين، تلاشت الحدة في نظراته، اقترب منها قليلاً، صوت أنفاسه كان

أعمق وظهرت ملامحه جانبًا ناعمًا كان أول مرة تراه فريدة، وبنبرة هادئة لكن خشنة: أردتُّ أن أرى كيف ستستقبلينها، وردّكِ؟ اللعنة أفضل ما توقعت.

نظرت فريدة إلى عينيه الداكنتين التي كانتا تشعان وبشرود تهمهم: ماذا؟!

آدم يبتسم بلطف: أنتِ ماذا؟

يقطع حديثهما أصدقاء فريدة وهم يرحبون به، يمرّ الوقت في الزفاف والجميع سعيد بوقته، دخل العقيد شريف إلى القاعة برفقة مجموعة من أصدقائه.

يقف شريف في مكانه بصدمة عندما يرى فريدة بجانب آدم، فريدة تلاحظ دهشته، لكن ما يزيد دهشتها هو نظرة آدم لشريف.

بعد فترة يستأذن آدم للذهاب إلى الحمام، لكنه تأخر، شعرَت فريدة بالقلق ونهضَت من مكانها للبحث عنه.

اقتربَت بخطوات سريعة عندما رأت آدم يقف وجهًا لوجه مع شريف، كان آدم ممسكًا بياقة قميص شريف بعنف، بينما شريف يقبض على ذراع آدم، أصواتهما كانت حادة لكنها غير مفهومة.

فريدة في توتر: ما الذي يحدث هنا؟!

فك آدم قبضته عن شريف، بينما أنزل شريف يده، لكن التوتر كان واضحًا في الجو وكأن معركة صامتة تدور بينهما، تقدَّم شريف خطوة نحو آدم بوجه مشدود، ورفع يده أمام وجهه مشيرًا بأصبعه بتهديد واضح ونبرة هادئة: إياكَ أن تظن أنّني سأصمت، سأخرب كل شيء.

ظل آدم واقفًا بثبات لم يتحرك، نظر إلى شريف نظرة جامدة لا تخلو من التحدي بنفس النبرة الهادئة: جرّب إذا كنت تستطيع.

كان شريف يتحرك باتجاه القاعة حين أوقفته فريدة في قلق: شريف، ما الذي يدور بينك وبين آدم؟ هل أنت بخير؟

حاول شريف السيطرة على غضبه في جدية: فريدة انتبهي جيّدًا، هناك أسرار لا تعرفينها، ولا أريدكِ أن تقتربي منه أكثر.

ثم اختفى شريف عن ناظرها.

نظرت فريدة بغضب ممتزج بالتوتر: أيمكنكَ أن تفسّر لي ما الذي يحدث هنا؟

آدم بنظرات متكهربة: عمّ كنتما تتحدثان؟

فريدة: لا شيء، فقط سألته عما يدور بينكما.

آدم: أعتقد أن الزفاف قد شارف على نهايته، هيا اجمعي أشياءك لنغادر.

فريدة: حسنًا، لكن دعني أودع أصدقائي أولاً.

أومأ آدم برأسه موافقًا.

غادر آدم وفريدة إلى السيارة، حيث ساد بينهما صمت فترة طويل، حمحمَت فريدة قبل أن تتحدث بخفوت: أيمكنكَ على الأقل أن تخبرني عما حدث بينك وبين شريف؟

خرج آدم من شروده وابتسم لها، ثم أحاط بقبضته ذقنها برفق، وبنبرة هادئة: لا شيء فريدتي، شريف مثل كثيرين يخاف عليكِ مني.

أمسك آدم بيدها برفق ورفعها نحو شفتيه، قبلهما بدفء، ثم تنهد بعمق: لا يعلمون أن حياتي بلا معنى من دونك، وأنّني لا أستطيع الاستمرار وأنتِ لستِ هنا، فريدة لن أسمح لأي شيء أن يفرقنا، تذكّري ذلك.

مالت فريدة برأسها على كتفه، ونظرت في عينيه: وهذا ما أريده منكَ آدم، لا تسمح لأي شيء أن يفرقنا.

نظر إليها في تردّد، وبنبرة جادة: فريدة هناك ما يزعجني.

رفعت فريدة رأسها من على كتفه، وأنصتَت له باهتمام.

ظل آدم محدّقًا بها في ثبات، وبنبرة تملك: أنا لم أفرض سيطرتي الكاملة عليكِ بعد، فأنا لم أسيطر عليكِ رسميًّا فريدة.

فريدة في تعجب: ماذا تقصد؟

آدم: أقصد أنني أريد طفلاً داخل أحشائك، هل تتزوجينني؟

اتسعت عينا فريدة في صدمة، ووضعت يدها على فمها محاولة استيعاب ما سمعَتْه، كانت مشاعرها تتلاطم بين الفرح والدهشة والارتباك، نظرت إلى عينيه تبحث عن أثرٍ للمزاح، لكنها لم تجد سوى الجدية، حاولت أن تتحدث، لكن الكلمات أبت الخروج من فمها وكأنها نسيَت كيف تتكلم، بعد لحظات من الصمت المشحون بالذهول بدأت الدموع تتجمع في عينيها، ثم انهمرت على وجنتيها، لم تستطع السيطرة على مشاعرها؛ فسحبته إليها واحتضنته بقوة تغمره بذراعيها وهي تهمس بصوت مرتعش: نعم آدم نعم، أريد ذلك، أريد أن أكون معك للأبد.

احتضنها آدم بقسوة، وضغط على جسدها ليقربها منه، كان قلبه ينبض بسرعة تكاد تُسمع، وشعر بدفء دموعها وهي تنساب على رقبته؛ فتسللت ابتسامة رقيقة على شفتيه، وبنبرة هادئة: اللعنة عليكِ أيتها المرأة الباكية، لم أعرف الحب إلا فيكِ.

ثم رفع يده ليمسح دموعها برفق، ومال قليلاً ليهمس في أذنها بنبرة عميقة: لم أكن أعلم يومًا أنني قد أقابل امرأة تغيّر اعتقاداتي حتى قابلتُكِ، منذ أن رأيتك أول مرة في الفستان

الأبيض المزيّن بالورود كنتِ أشبه بملاكٍ يدعوني للخروج من الجحيم، رؤيتكِ تجمعين أجزاء كاميرتك المكسورة من على الأرض وتتمتمِين بغضب على من أسقطها، سُحقًا لتلك الذكرى، لقد رسخَت داخل عقلي ولم أستطع نسيانها، لقد جعلتني أبتسم دون وعي، وابتسمتُ مرارًا وتكررًا كلّما تذكرتُها.

نظر إليها بعينيه العميقتين، وأكمل بصوت خافت: ثم قابلتُكِ المرة الثانية، وكم كرهتُ تلك المرة، اقتربتُ منك واستنشقتُ رائحتك، وكم تمنّيتُ استنشاق كل إنش من جسدك وأضع أناملي تتحسس حرارته، ثم أخيرًا المرة التي أعلن فيها قلبي تمرده، كانت الثالثة عندما رأيتُكِ تبكين، كان الأمر أشبه بإعصار يضرب داخلي، قلبي حاول التحرر من قفص العقل الذي حجزتُه فيه لسنوات، كل ما أردته في هذه اللحظة هو أن أمسح دموعكِ وأحبسك داخلي أعوضك عن أنّني السبب في ألمك، ثم جاءت اللحظة التي شعرتُ فيها بمرارة الغيرة وألمها يوم رأيتُكِ ترقصين في الملهى بفستانك القصير، يا إلهي! مظهرك الفاتن الفاحش قادني إلى الجنون، تمنيتُ اختطافكِ يومها وترك علامات ملكيّتي على جسدك لعل ذلك يخفّف من غضبي، أردتُّ معاقبتكِ بكل الطرق سواء المسموح بها أو غير المسموح بها، كرهتُ هذا الإحساس وندمت على قبولي حضوركم إلى ذلك المكان، ثم المرة

التي شعرتُ فيها بالخوف الشديد شعرتُ بالتهديد فريدة، تلك اللحظة أردتُّ إبعادك بشتَّى الطرق عني، إنها المرة التي أدركتُ فيها أنني واقع في حبك، أدركتُ أنكِ أصبحت نقطة ضعفي، كانت تلك أيضًا المرة التي خيّبتُ فيها أملك اتجاهي، عندما استيقظتُ وأنا أعلم جيّدًا كيف كانت ابتسامتك مشرقة تشع بالأمل معتقدة أن كل شيء أصبح على ما يرام، لكنكِ صُدِمتِ بخيانتي ورجالي يضربونك، كنتُ في السيارة أراقبكُ وأنظر إليكِ ودموعك تسيل من عينيك وتتألمين بصمت، لو تعلمين يا فريدة كما تألمتُ وقتها؟ وكم كرهتُ نفسي؟ وكم ندمتُ على هذه اللحظة؟ لقد أخبرتُكِ من قبل أنني شعرت بالعجز للمرة الثانية، أتريدين أن تعرفي متى كانت الأولى؟

نظرت فريدة إليه بذهول ودموعها تغمر عينيها بسبب اعتراف آدم بمشاعره اتجاهها لأول مرة، وبنبرة هادئة: أجل، آدم.. أتمنى أن تفتح لي قلبك دائمًا كما تفعل الآن، هذا يجعلني أشعر كم نحن قريبان من بعض.

آدم قبَّلَ جبينها بحنان: طالما كنّا قريبَين مَلِكَتي، لا يهم كم أبغض التحدث عن شيء متعلق بالماضي؛ فهذا يشعرني بالغضب الشديد، لكن هذا تأثيرك عليّ، والذي لا يعجبني وأتمنى التخلص منه، لكنّني أيضًا لا أريد ذلك ويعجبني كثيرًا.

صمت آدم قليلاً، وبنبرة خشنة تغلف أنفاسه الغاضبة: المرة الأولى التي شعرتُ فيها بالعجز كانت بسبب شقيقتي، لم أستطع حمايتها، ولو كانت ما زالت حية لكانت الآن في عمرك، أيضًا كانت ستحبّكِ كثيرًا؛ فهي لطيفة للغاية على عكسي تمامًا، كانت كل ما أملك بعد وفاة والدي وأنا بعمر العشرين، كان إمبراطورية لأحكمها وشقيقتي لأرعاها، كانت طفلة صغيرة في ذلك الوقت، مرَّت السنين ورأيتها تكبر أمام عيني لتتحول علاقتي بها إلى علاقة أب بابنته، ثم جاءت تلك الملعونة قبل خمسة سنوات.. فتاة فرنسية أصبحَت صديقتها المقربة لمدة عام ونصف، بدَت تلك الفتاة شخصًا موثوقًا به، لكن في النهاية لم تكن سوى قاتلة مأجورة مُكلَّفة بقتل شقيقتي وشخصين آخرين، تلك العلاقة التي جمعتها بشقيقتي والضحيتين الآخرين كانت جزءًا من خطتها لتنفذ جريمتها بسهولة دون إثارة الشكوك، سنة ونصف يا فريدة زيَّفَت مشاعرها تجاه الجميع بما فيهم أنا وشقيقتي، في الأخير كلّ سلطتي ونفوذي وقوتي لم أستطع حمايتها، لم أستطع حمايتها من الموت أو من الخيانة.

ازدادت نبرة آدم غضبًا وصوته صار مهزوزًا وهو يحاول التماسك.

ظلت فريدة صامتة للحظة تحاول استيعاب ما سمِعَتْه، ثم

مدَّت يدها بحنان ولمست كتفه، وبنبرة دافئة رقيقة: آدم، أعلم كم كان هذا صعبًا، أعلم أيضًا أنكَ تحمَّلتَ هذا الحزن بمفردك طوال هذه السنوات، لكنكَ لستَ بمفردك بعد الآن.

رفعَت يدها لتلمس ذقنه، ودفعته للنظر إليها، كانت عيناها ممتلئتَين بالتعاطف ودموع خفيفة تتلألأ على أطراف رموشها، لكنها رفضَت أن تبكي أرادت أن تكون قوية من أجل آدم، بنبرة ناعمة: لم يكن أيّ من هذا خطأك، آدم إنه القدر، مهما بالغت في حماية مَن تحبهم سيأتي يومٌ يتدخل فيه القدر ليفسد كل خطواتك، نحن ليس لدينا قوة أمام القدر، ولا يمكننا السيطرة عليه بنفوذنا؛ لذلك يكفي حتى الآن أن تلوم نفسك، أعلم جيّدًا أن تصديق هذا الكلام يبدو أصعب من قوله، وفقدان شخص عزيز على قلبك يجعلك غير مقتنع بأيٍّ من هذا، إنها قوة الحزن فقط ما تسيطر عليك؛ فأنا عشتُ هذا الإحساس العديد من المرات، ولكن...

أمسكت فريدة يده بقوة: لن أقول إن الحزن سيختفي، ولن أطلب منك أن تنسَى، لكنني هنا سأكون دائمًا هنا لتخفيف ألمك ومشاركتك إياه مهما كان عميقًا، حسنًا؟

دفن آدم وجهه في حضنها بقوة، وبنبرة خشنة تحمل مزيجًا من الألم والراحة: حسنًا.

بعد مرور الوقت والاثنان على نفس الوضع، عاد آدم إلى طبيعته، وبنبرة جادة: فريدة، أريد أن يكون الزفاف بعد شهر.

فريدة في صدمة: ماذا؟ آدم هل تمزح؟! كيف يمكن ذلك؟!

آدم في ثقة: وما المانع فتاتي؟ كل شيء سيكون تحت خدمتك، لا تقلقي.

فريدة بتذمر: لكن هذا قريب جدًّا، كيف يمكنني؟!

قاطعها آدم في صرامة: يكفي اعتراضات يا فتاة، أخبرتُكِ لا داعي للقلق.

تنهدت فريدة في يأس: حسنًا.

ساد الصمت بينهما لبعض الوقت، ثم قالت فريدة مترددة: آدم، لم تخبرني عن والدتك، أين هي؟

تغيّرت ملامح آدم إلى الغضب، ونظر إليها بصمت لبضع ثوان مشحونة بالتوتر ووجهه متجهم، وبنبرة باردة: يكفي هذا القدر من الأسئلة لليوم يا فتاتي، حسنًا؟

لاحظت فريدة شعور آدم بعدم الارتياح عند طرح هذا الموضوع، فآثرت الصمت وأومأت برأسها موافقة دون تعليق.

بعد ثلاثة أسابيع قبل الزفاف...

كان آدم يذهب إلى صقلية لمتابعة أعماله ويعود كل يومين أو ثلاثة ليقضي الوقت مع فريدة التي كانت منهمكة في التحضير

للزفاف بمساعدة صديقتها ليلى.

يوم تجربة فستان الزفاف...

كانت فريدة في السيارة مع الحراس، تحمل هاتفها لإجراء مكالمة بنبرة هادئة: هل انتهيتِ من الاستعداد؟

ليلى: أجل أيتها المزعجة.

فريدة: حسنًا، دقائق وسأمر لاصطحابك، وبالمناسبة لماذا أنا مزعجة؟ أنا حقًّا صديقة مخلصة، وفى يوم كهذا ما زلتُ أمرّ عليك وأصطحبك.

ضحكت ليلى بصوت عالٍ: وماذا في ذلك؟ هل أنتِ من تقودين السيارة يا حمقاء؟

فريدة في تذمر: لن أشغل بالي بكِ الآن؛ فمزاجي لا يسمح.

ليلى بنبرة رقيقة: حسنًا حسنًا اهدئي فقط.

بعد دقائق وصلت فريدة إلى ليلى واصطحبتها، فريدة وليلى في السيارة..

ليلى: ماذا بكِ؟ ما كل هذا التوتر؟

فريدة في قلق: لا أعلم أنا متوترة للغاية، أخشَى أن يكون الفستان غير مناسب لي، ولم يعد هناك وقت كاف على الزفاف لتغييره.

ليلى: فريدة هل أنتِ مجنونة؟ ستتزوّجين من رجل ثريّ

مستعد لأن يشتري العالم من أجلك، إذا لم يكن الفستان كما توقعتُه أو حدث أي خطأ فاعلمي أن آدم سيحضر لكِ أكثر قطعة مميزة ونادرة في هذا العالم، حتى لو كان ذلك قبل الزفاف بدقيقة واحدة، أنا أعلم جيّدًا كم هو يتمنى سعادتك.

شعرت فريدة بالاطمئنان من كلام ليلى، وابتسمت بثقة: أتعلمين؟ أنت محقة.

ليلى في فخر: أعلم أنّني محقة، أنا دائمًا محقة يا فتاة.

فريدة تضحك في سخرية: فتاة! هل أصبحتِ تقولين لي فتاة الآن؟

ليلى متظاهرة بالصدمة وتضع يدها على فمها: آه، آسفة، نسيت أن هذه الكلمة خاصة بسيد آدم.

انفجر الاثنتان بالضحك بصوت عالٍ، وصلتا إلى صالة العرض الخاصة بالفستان، واستقبلتهما موظفة الاستقبال بابتسامة وأرشدتهما إلى المكان المخصص للانتظار، فريدة وليلى تجلسان على الأريكة.

ليلى: أما زال آدم في صقلية؟

فريدة هممهمَت كجواب.

بعد فترة قصيرة عادَت موظفة الاستقبال لتصطحب فريدة إلى غرفة القياس لتجربة الفستان، دخلت فريدة غرفة القياس

مع عدة موظفات لمساعدتها، وبعد دقائق خرجت ترتدي الفستان.

وقفت فريدة أمام مرآة ضخمة تبتسم بخجل، بينما اقتربت ليلى منها ونظرَت إليها بإعجاب وابتسامة واسعة ترتسم على وجهها، وبنبرة حماس: يا إلهي! فريدة.

كان فستان الزفاف الذي اختارَته فريدة قطعة استثنائية تشعّ بلمسات من الرقيّ والكلاسيكية، تصميمه بسيط، لكن تفاصيله تفيض جمالاً، مصمّمٌ لإبراز أنوثتها دون مبالغة، الجزء العلوي صُمِّم بتصميم قصة الكورسيه مع فتحة رقبة على شكل قلب، كان الصدر مزيّنًا بتطريزات دقيقة من اللؤلؤ والكريستال، مما أضفَى عليه بريقًا أنيقًا دون إفراط، الأكمام طويلة وشفافة مصنوعة من الدانتيل الفاخر الذي يغطّي الذراعين بخفة، أما التنّورة فكانت ساحرة بكل معنى الكلمة مصنوعة من عدة طبقات من التول الناعم الذي ينهمر بنعومة إلى الأرض، كانت مزودة بذيل طويل ينساب خلفها مطرّزًا بزخارف نباتية دقيقة، التفاصيل الخلفية للفستان لم تكن أقل جمالاً؛ فقد زيّنَت بخط رفيع من الأزرار المغطاة بالقماش، يمتدّ من منتصف الظهر وصولاً إلى الخصر.

نظرَت فريدة إلى المرآة تتأمل نفسها بثقة: إذًا ما رأيك؟

أطلقَت ليلى ضحكة صغيرة ممزوجة بالدموع، ثم تقدَّمَت بسرعة لتعانق فريدة بحرارة، ابتعدَت عنها قليلاً لتتفحصها من رأسها حتى أخمص قدميها، ودموع الفرح تملأ عينيها، انسابت دمعة من عينها، أزالتها بأناملها بسرعة، وبنبرة متأثرة: تبًّا! لقد أصبحتُ حساسة هذه الأيام بسببك، أتمزحين؟ فريدة أنتِ مذهلة، أقسم أنّني لم أرَ شيئًا بهذا الجمال في حياتي، تبدين كأميرة حقيقية.

رفعت فريدة رأسها وعيناها تلمعان بسعادة: هل تعتقدين أنه الفستان المناسب؟

ابتسمَت ليلى بصدق، وأمسكت بيدي فريدة بقوة، وبنبرة إعجاب: مناسب؟! إنه ليس فقط مناسبًا، إنه فستان الأحلام فريدة، إنه الفستان الذي سيجعل آدم عاجزًا عن الكلام عندما يراكِ، أنتِ جميلة بطريقة لا توصف.

فجأة قاطع حديثهما صوت رجولي من الخلف: تجهلين حقيقة مشاعري ليلى عند رؤيتي لها بفستان الزفاف، فكيف يمكنكِ وصف إحساسي بتلك الكلمات البسيطة والضعيفة؟

استدارت فريدة وليلى بصدمة نحو مصدر الصوت لتجدا صاحب الهيبة يقف هناك متّكئًا على الجدار خلفه بثقة وجاذبية لا تُقاوَم، رافعًا ساقه اليسرى بثبات واضعًا قدمه

على الجدار، بينما كانت يده اليمنى مستريحة في جيبه واليد الأخرى تمسك بسيجارة غير مشتعلة بين أصابعه الطويلة، كان يرتدي قميصًا أسود مفتوحًا عند الياقة، يكشف عن لمحةٍ من صدره الممشوق مع بنطال داكن يتناسب تمامًا مع ملامحه الرجولية، عيناه الداكنتان تلمعان ببريقٍ حاد، وشعره الأسود كان فوضويًّا بطريقة أنيقة.

فريدة تجمّدَت في مكانها بنبرة ذهول: آدم، ماذا تفعل هنا؟!

آدم لم يردّ فورًا، بل ظل يتأملها للحظات، ثم بدأ بالاقترب منها بخطوات بطيئة وعيناه مثبتتان عليها وكأنه يحاول حفظ كل تفاصيل تلك اللحظة، اقترب أكثر وانحنَى قليلاً نحوها، وهمس بصوت ملأه الإعجاب بالقرب من أذنها: كيف يمكنني تفويت هذه اللحظة ملِكَتي؟

ثم بنبرة أعلى أضاف بابتسامة جانبية: أتيتُ لتوضيح الأكاذيب التي تُلقِيها صديقتك بخصوص رأيي عن الفستان.

ليلى باندفاع: آدم، لا يمكنكَ رؤية العروس بفستان الزفاف الآن، هذا فأل سيئ؛ فلتذهب.

آدم ينظر إليها بنظرات حادة، فتشعر ليلى بالارتباك، وتضيف بتوتر: أو يمكنكِ البقاء فلقد رأيته، ماذا يمكن أن يحدث؟

فريدة تبتسم بخفة على خوف ليلى من آدم.

آدم موجّهًا حديثه إلى ليلى: أنتِ مخطئة ليلى، فأنا دائمًا أعجز عن الكلام عند رؤية فريدة، لكن تأثير الفستان مختلف، رؤيتها به جعلتني أشعر بالفخر أنها هذه هي امرأتي، وكأنّني وقعتُ في حبها من جديد، كما لو كانت المرة الأولى التي أراها فيها.

يمد آدم يده ويلامس وجه فريدة برفق، متحسّسًا وجنتها التي احمرَّت خجلاً: أنت أجمل شيء رأيته في حياتي، كنتُ أعلم أنك ستكونين جميلة، لكن هذا يفوق كل خيالي.

فريدة تبتسم في خجل: لهذا السبب أنت الشخص الوحيد القادر على إسعادي.

تضيف وهي تدير وجهها بخجل: هل أعجبك؟

آدم يبتسم بلطف ويمسك بذقنها برقة ليعيد وجهها إليه: عيناك عليّ، وحتى بعد انتهائك من الحديث يعجبني ما أراه بداخلهما.

وبنبرة عميقة: فريدة، أنتِ أكثر جمالاً مما كنت أتصور أن تكون امرأتي يومًا بهذا الجمال، هذا الفستان، هذا اليوم، وكل شيء حولك، لا تتخيلي كم أنتِ رائعة.

ثم يقترب منها بحذر، وقام برفع يده ليحرك خصلات شعرها المبعثرة برقة قائلاً بهمس: لم أتوقع أن تجعليني أحبك أكثر، لكنكِ فعلتِ.

ليلى تحمحم لتقطع لحظتهما الحميمة، وتقترب نحوهما.

ليلى في سخرية: آدم، أيمكنني أن أعرّفكَ على زوجي لتعلمه كيف يقول لي مثل هذا الكلام؟

آدم وفريدة يضحكان على كلام ليلى.

ليلى بابتسامة: حقًّا أنا لا أمزح، أنت تشبه بطلاً هاربًا من إحدى الروايات الرومانسية.

فريدة في رقة: هذا ما أقوله له دائمًا، لكنه يظن أنني أجامله، أنت بطلي الخيالي آدم.

آدم يبتسم بلطف: أنا لستُ هاربًا ليلى، ثم إن فريدة تستحق الأفضل.

ليلى: نعم أنت محق، فريدة تستحق الأفضل.

فريدة تمسك يده بلين: وأنت الأفضل دائمًا آدم.

آدم يحدق لحظات في عينَي فريدة: فتاتي، سأذهب الآن؛ فأنا لديّ اجتماع هام للغاية بعد عشر ساعات في صقلية.

يقترب منها يقبّل جبينها بعاطفة، ثم يستأذن ويرحل.

فريدة وليلى تنظران إلى آدم وهو يبتعد بخطوات ثابتة.

ليلى تبتسم بمكر: أحتاج أن أعرف ما الذي فعلتِه لتحولي زعيم مافيا بلا قلب لا يعرف العاطفة إلى شخصية أسطورية لا نسمع عنها إلا في الخيال؟!

فريدة: هل تصدّقيني إذا قلتُ إنني لا أعلم كيف تحوَّل إلى هذا الشخص؟

ليلى في سخرية: أصدقك؛ فأنتِ صديقتي منذ زمن وأعلم أنك لستِ بهذا الذكاء.

فريدة تضربها على ذراعها بمزاح: أيتها العجوز الغبية!

ليلى ترد لها الضربة برفق: أنا عجوز أيتها الحمقاء؟!

ينتهي اليوم بسعادة للجميع.

اليوم التالي...

تستيقظ فريدة في حماس، تبدأ يومها بتناول الإفطار وتجهّز نفسها لإنجاز بعض الأمور المتعلقة بقاعة الزفاف، أثناء ذلك تصل رسالة إلى هاتفها.

العقيد شريف: فريدة، نحتاج إلى التحدث اليوم بشكل طارئ، لكن لا تخبري آدم عن مقابلتك لي.

فريدة ترد بسرعة: ما الذي يحدث شريف؟ حتى الآن لم أجد تفسيرًا مُقنعًا لحدة النقاش الذي دار بينكما يوم رأيتكما.

العقيد شريف: عندما نتقابل سأخبركِ بكل شيء.

فريدة: حسنًا، هل نتقابل في المقهى المعتاد؟

العقيد شريف: لا، سأرسل لكِ موقعًا آخر، استعدي وتحركي.

تترك فريدة الهاتف وتبدأ في الاستعداد، تخبر الحراس عند

خروجها من القصر أنها ستقود السيارة بنفسها وتطلب منهم متابعتها بسيارة أخرى.

تفتح فريدة الموقع المرسل على هاتفها وتبدأ القيادة وفقًا للإرشادات، وهي في طريقها تحدث نفسها: أعلم أنك ستغضب آدم، لكن هناك الكثير الذي أحتاج إلى معرفته، وأنت لا تساعدني في الوصول إلى الحقيقة.

وصلت فريدة إلى المكان المحدد، أوقفَت السيارة وترجّلَت منها، بينما تبعها الحراس الشخصيون بالسيارة الأخرى.

توجّهَت فريدة إلى أحد الحراس: فلتنتظروني بالخارج، أنا لن أتأخر.

كان المبنى يبدو كمرآب سيارات مهجور أو مستودعًا قديمًا مهملاً، تتناثر فيه آثار الطلاء المتشقق ولافتة مهترئة تزين مدخله.

فريدة تمسك هاتفها وتتحدث: شريف أنا بالخارج، ما هذا المكان؟

العقيد شريف: حسنًا، سأخرج لاصطحابك، ستفهمين كل شيء بعد قليل فريدة، لا تتسرعي.

لحظات وظهر العقيد شريف يتقدم نحوها، بمجرد اجتيازهما البوابة ظهر عالم آخر ما كان يبدو كمرآب بسيط مليء بالأدوات

والآلات القديمة، اتضح أنه يخفي مدخلاً سريًّا يؤدي إلى الأعماق، عند دخولهما من المدخل كان المكان عبارة عن مركز عمليات عالي التقنية، مزود بشاشات كبيرة تعرض خرائط ثلاثية الأبعاد وأجهزة اتصال فائقة السرعة، كان العملاء يتنقّلون بين طاولات العمل المجهزة بالحواسيب وأجهزة التحليل الصوتي والبصري، استمر شريف وفريدة في النزول إلى الطابق الثاني حيث كان عبارة عن مختبر متكامل لتصنيع الأجهزة بكل أنواعها من الصغيرة إلى الكبيرة، ثم نزلا إلى الطابق الثالث الذي كان عبارة عن مجموعة من المكاتب الشخصية.

استقر الاثنان داخل مكتب فخم، كان الديكور فيه يعكس طراز العصر الفيكتوري، بدا المكتب مهيبًا، مزيّنًا بنقوش دقيقة وطاولة خشبية سوداء ضخمة، وزجاجات مشروب باهظة الثمن على رفوف أنيقة، الأريكة الجلدية السوداء إلى جانب الإضاءة الخافتة جعلَت اللون الأسود هو اللون الطاغي على المكتب.

بدأت ملامح فريدة تتغيّر، توقفت للحظات تنظر إلى كل شيء حولها، شاشات المراقبة.. المعدات المتطورة، بدا وجهها مشوبًا بعلامات الصدمة، وبنبرة مرتبكة: هذا المكتب يبدو مألوفًا، كأنني رأيته من قبل.

العقيد شريف بنبرة هادئة: بالطبع قد تكونين رأيت شيئًا مشابهًا له من قبل، فهو يخص نفس الشخص الذي ستتزوجينه.

وقفت فريدة متجمدة تحاول استيعاب كلام العقيد شريف، ثم نطقَت بصوت مهزوز وكلمات متقطعة: ما الذي تقصده؟

العقيد شريف: هل تعرفين ما هذا المكان فريدة؟ لا يسمح بدخول أي شخص إليه إلا الأعضاء، لكنني أردتُّكِ أن تري الحقيقة بعينك.

فريدة تنفجر غضبًا: لا أعرف ما هذا المكان يا شريف، لكن لا أصدق أنّ شخصًا وثقتُ فيه مثلك كان جزءًا من هذا الشيء الغامض ولم يخبرني عنه.

وبنبرة صارمة: لذا أرجوك توقف عن التحدث بالألغاز وأخبرني لماذا أحضرتني إلى هنا؟ وما علاقة هذا المكان بآدم؟

العقيد شريف: هذا مبنى سريّ للعمليات الخاصة، وهذا مكتب يخص عميلاً مزدوجًا يخدم في الظل بصفته زعيم مافيا.

فريدة في صدمة: اللعنة! ماذا تقول؟!

العقيد شريف: لكن هذا ليس السبب الذي أحضرتُكِ من أجله فريدة، أعلم أن موعد زفافك قد تم تحديده، وهناك بعض الأمور التي يجب عليك أن تعرفيها.

فريدة في سخرية ممزوجة بالذهول: حقًّا؟! هل تعلم أيضًا

أن زفافي بعد أربعة أيام وقد فات الآوان، تحدث شريف ولا تختبر صبري.

العقيد شريف بنبرة جادة: في البداية يجب أن أخبركِ عن المهمة التي جمعَتْكِ بآدم، لقد أُرسلْتِ إلى صقلية مع فريقك للإيقاع بزعيم مافيا من خلال جمع المعلومات اللازمة عنه، ولكن الحقيقة أن هذا كان مجرد تمويه؛ فالسبب الحقيقى هو أنتِ.

فريدة في دهشة: أنا؟! كيف ذلك؟!

العقيد شريف: لا أعرف إن كان قد أخبرَكِ آدم عن أخته، قبل خمس سنوات قُتِلَت شقيقته مع شابين آخرين على يد قاتلة مأجورة.

فريدة: أعلم ذلك.

العقيد شريف: الجميع يعلم بهذه الحادثة فريدة، لكن ما لا يعرفه إلا القليلون هو أن القاتلة المأجورة كانت تشبهك تمامًا، كأنكما أختان توأم.

فريدة والصدمة تزيد على وجهها: ماذا؟!

العقيد شريف: آدم تمكَّنَ من القبض على تلك القاتلة، لكنه لم يستطع الوصول إلى الشخص الذي وظفها من البداية، الهدف من وجودك في صقلية كان جعل ذلك الشخص يعتقد أنكِ هي وأنكِ ما زلتِ على قيد الحياة، وبهذه الطريقة سيحاول

مواجهتك، وعندها نتمكن من الإيقاع به.

فريدة تصمت في صدمة، تحاول أن تتحدث، لكن الكلمات تأبى الخروج، بعد لحظات تهمس باستياء: إذًا بما أنكم قررتم التضحية بروح واحدة وهو أنا، لماذا أرسلتم معي الفريق وعرضتُّم حياتهم للخطر؟

العقيد شريف: هذا كان ضروريًّا لتجنب إثارة الشكوك، وجود الفريق بجانبكِ أظهر أنكِ على استعداد للقيام بمهمة جديدة مزوَّدة بمعداتك وفريقك الخاص، صاحب الخطة ومَن اختاركِ لهذه المهمة كان آدم نفسه، لكن الأمور تعقَّدَت أكثر مما توقعنا بسبب عائلات الضحايا الآخرين، لم يصدّقُوا أنكِ لستِ هي القاتلة، وهذا بسبب التشابه الكبير بينكما كما أخبرتُكِ، وما حدث بعد ذلك أدَّى إلى اندلاع ما يسمى بحرب المافيا، آدم تدخَّلَ لحمايتك وخسر الكثير، لكنه ارتكب الأسوأ كي ينجيك، وهو التضحية بشخص بريء بدلاً عنكِ.

فريدة كانت تقف في منتصف المكتب، كلمات شريف تصطدم بعقلها، شعرت فجأة بطنين خافت في أذنيها وكأن الغرفة تضيق من حولها، وضعَت يدها على رأسها محاولة استجماع نفسها، لكن الإحساس بالدوار كان يزداد، خطواتها أصبحَت غير متزنة، كادَت أن تفقد توازنها لولا أنها مدت يدها

سريعًا لتستند على سطح المكتب القريب.

العقيد شريف يتقدم نحوها بقلق: فريدة، هل أنتِ بخير؟

فريدة بصوت متقطع: توقف، أنا أحتاج إلى لحظة.

قالتها وهى تسحب كرسي المكتب ببطء لتجلس عليه متشبثة بحافته وكأنها تخشى أن تسقط.

العقيد شريف: هل تريدين مني أن أكمل؟

فريدة بأنفاس متقطعة حاولت رفع رأسها لتواجه شريف، لكنّ عينيها كانتا مثقلتين وكأنهما ترفضان التركيز على أي شيء، بدت وكأنها ستنهار قبل أن تغلق عينيها وتأخذ نفسًا عميقًا، تحاول بصعوبة السيطرة على جسدها، همسَت بصوت ضعيف: الضحية التي تتحدث عنها هل كان أمير؟

العقيد شريف بحزن أومأ برأسه دون أن ينبس ببنت شفة.

فريدة كانت يدها ترتعش وعيناها بدتا شاحبتين، بينما شفتاها ترتجفان وهي تهمس بصوت بالكاد يسمع: مستحيل مستحيل، آدم هو مَن قتل أمير؟

العقيد شريف: لم يكن هناك خيار آخر فريدة، أفهم أن الأمر صعب عليكِ، لكن الوضع كان أعقد مما يمكنكِ تخيله، لو لم يُنفّذ تلك الخطوة لكانت العواقب وخيمة عليكِ.

فريدة بصوت مرتجف يحمل غضبًا مكبوتًا: خيار؟! هل

تقول إنه لم يكن لديه خيار؟! وما ذنب أمير من كل هذه اللعبة؟! لماذا يخسر حياته بينما أنتما الاثنان تعيشان وكأنّ شيئًا لم يحدث؟!

تتوقف للحظة ثم ترفع صوتها بنبرة متهدجة: لماذا تخبرني بذلك الآن شريف؟ هل تريد أن تريح ضميرك؟ أم تحاول أن تثبت أن آدم سيئ وأنت أفضل منه؟ هناك سؤال واحد فقط، كيف كان يمكنكَ أن تنظر في عيني وتخبرني أنك تُكنّ لي المشاعر وأنت أرسلتني إلى الموت وخنت ثقتي؟ كيف كنتَ تبتسم ببساطة لي؟!

العقيد شريف بصوت هادئ وبنبرة دفاعية: هذا هو العمل فريدة، كانت نصيحتك لي دائمًا أن أفصل بين العمل والحياة الشخصية، أيضًا منذ اليوم الأول الذي التقيتِ فيه بآدم وأنتِ محميَّة بكل الطرق الممكنة، كل كلمة تنطقين بها وكل خطوة تخطينها كانت مراقبة بعناية؛ لذلك بدا أنه لا يوجد خطر حقيقي على حياتك.

فريدة بنظرة مليئة بالخذلان تضحك بسخرية وغضب: الفصل بين العمل والحياة الشخصية! جيد وأين هي الحياة الشخصية؟ أتعلم؟ أنت لا تقل سوءًا عن آدم يا شريف، بل أرى أنك أكثر شرًّا منه، هل تظنون أن حياة الناس لعبة؟ لقد

أقحمتموني في شيء لا علم لي به حتى، ودمرتم حياتي، دمرتم كل شيء أؤمن به.

دون أن تنتظر ردًّا، استدارت وغادرت الغرفة بخطوات ثقيلة تجر خلفها ألمها، لا تعرف كيف ستواجه آدم!

آدم كان في مكتبه بصقلية، انتهى للتو من اجتماع وأمسك بهاتفه ليتصفّحه، فتح تطبيق تعقب موقع فريدة ليطمئن على سلامتها، لكن ما رآه جعله يحدق في الشاشة بصدمة، همس بغضب وقلق: سُحقًا فريدة! لماذا ذهبتِ إلى هناك؟

فريدة خرجت من المبنى، دموعها تسيل على وجهها تائهة لا تعلم على ماذا تحزن؟! هل على موت أمير وهي السبب به؟! أم على خيانة آدم لها؟ أم على حياتها اللعبة في أيدي الآخرين؟! رن هاتفها، نظرت إلى اسم المتصل وابتسمت بسخرية، لكنها لم تُجِب، ثم استمر الرنين مجددًا فأغلقت الهاتف، توجَّهَت إلى سيارتها وقادت السيارة نحو القصر، تجولت فيه بخطوات متثاقلة، عندما وصلت إلى غرفتها دفعت الباب بيد مرتجفة وأغلقته خلفها بصوت مكتوم، استندَت على الباب للحظة، ظهرها يلامسه ورأسها مائل للخلف، أنفاسها متسارعة تحاول السيطرة عليها، كان صدرها يعلو ويهبط في اضطراب، أغمضَت عينيها بقوة لكن دموعها خانتها وانسابت دون إذن تاركة أثرها

على خديها.

بخطوات ثقيلة ابتعدت عن الباب وتوجهت نحو السرير، جلست على حافته يداها متشابكتان في حجرها وأصابعها تضغط على بعضها بشدة وكأنها تحاول كبح الانهيار، نظرَت إلى الأرض لفترة طويلة وكأنها تبحث عن مخرج أو حلٍّ يشعرها بالأمان.

همست لنفسها بصوت مبحوح: كيف حدث هذا؟ ما الخطأ الذي ارتكبتُه كي تكون حياتي لعبة للآخرين؟

فجأة دفنت وجهها في كفيها وانفجرت في بكاء مكتوم، وصوت شهقاتها ملأ الغرفة بصوت نواح: أنا السبب، أنا السبب في موتِه، لو لم يكن صديقي.. لو لم أكُن جزءًا من حياته، لكان الآن على قيد الحياة.

فريدة تحركت نحو المنضدة ببطء، وفتحت هاتفها لتستمع إلى الرسائل الصوتية التي أرسلها أمير قبل موته، كان صوتها المنتحب ينزف ألمًا عميقًا لم يكن مجرد بكاءً عاديًّا، بل أنينًا خافتًا ينبع من أعماق قلبها، كان صوتها مبحوحًا مقطوعًا بين شهقات متقطعة وكلمات غير مكتملة، بين كل شهقة وأخرى خرجت منها همهمة مرتجفة محاولة بائسة لاستجماع شتات نفسها، عندما نطقَت كان صوتها خافتًا ومكسورًا: أمير، آسفة،

لم أقصد.

اختنق صوتها سريعًا، وتحول إلى نحيب مكتوم كأنها تحاول كتم صرخة تهدّد بالانفجار، كان البكاء يجعل أنفاسها متقطعة وتكافح للحصول على الهواء، أحيانًا كانت تطلق همهمة حزينة طويلة مشحونة بالألم، همست وكأنها تحدّث أحدًا غائبًا: لماذا؟ لماذا يحدث هذا؟ لقد انتظرتُ عمرًا فوق عمر لأجد الحب، ولماذا يكون آدم هو من أعاد الإحساس إلى قلبي؟! لكنه الآن من دمرني.

بدموعها، أكملت بصوت مبحوح: فقط لو كنت أستطيع استرجاع الوقت، لو فقط استطعتُ حمايتكَ بدلاً من أن أكون السبب في موتك.

كانت عيناها قد تورَّمَت من كثرة البكاء وملامحها شاحبة، ظلت تنظر إلى خاتم الخطوبة في يدها، تلمَّستهُ بيدها المرتجفة، وهمست بصوت مبحوح: كيف فعلتَ هذا آدم؟ كنت سأقف بجانبك في أي وضع، كنت سأغفر لك أي شيء، لكن هذا؟ كيف لي أن أعيش مع هذه الحقيقة؟ لقد أحببتُكَ أنت الرجل الذي قضيتُ معه لحظات تبدو وكأنها مثالية، ذكريات خيالية ملأت قلبي بالحب، الآن تحوَّلَت تلك المشاعر إلى خناجر تطعن قلبي بلا رحمة.

بعد نوبات متكررة من البكاء، استسلمت فريدة للإرهاق الشديد ونامت في مكانها على الأريكة بجوار المنضدة.

بعد ساعات طويلة من الليل فريدة ما زالت على حالها، فُتِح باب الغرفة ببطء، دخل آدم بخطوات حذرة وسط الصمت الذي يملأ المكان، هناك بجوار المنضدة كانت فريدة مستلقية على الأريكة ملامحها تحمل آثار ليلة طويلة من البكاء، عيناها متورمتان ووجنتاها تحملان خطوطًا من آثار الدموع التي جفَّت، وشفتاها مزمومتان، وكأنها تحاول مقاومة الألم حتى وهي فاقدة الوعي.

على المنضدة بجانبها لاحظ آدم مجموعة من المناديل المكرمشة، تقدَّمَ ببطء عيناه تمتلآن بالحسرة والحزن والندم، لم يستطع منع نفسه من التحديق فيها متأمّلاً متألّمًا من حالتها المرهقة الحزينة، ثم جلس على حافة الأريكة وألقى نظرة طويلة على وجهها الشاحب، وتنهّدَ بعمق وهمس: آه فتاتي، ما هذه الحالة التي وصلتِ إليها؟

مد آدم يده نحو وجهها الشاحب ببطء وأصابعه تلامس خدها المتورم من كثرة البكاء، لكن بمجرد أن لامست أنامله بشرتها الباردة فتحت عينيها فجأة في ذعر، جلست بسرعة متراجعة إلى الخلف على الأريكة، وبصوت مرتعش: ماذا تريد؟

تراجع آدم خطوة للخلف وعلامات الصدمة واليأس ترتسم على وجهه، وبنبرة هادئة: لقد جئتُ للاطمئنان عليكِ، هل أنتِ خائفة مني فريدة؟

فريدة: أجل، أنا خائفة.

آدم: فريدة، أنا آدم رجُلك.

فريدة بنبرة ساخرة ممتزجة بالغضب: عن أيّ آدم تتحدث؟ هل آدم زعيم المافيا؟ أم آدم العميل المزدوج؟ أم آدم قاتل أمير؟

آدم: فقط أنا آدم الذي يحبك.

فريدة بنبرة تحسر: تحبّني؟ ما هو الحب في نظركَ آدم؟ لقد كنتُ أنام في حضنك وأنت تخدعني، أهذا هو الحب؟ كنتَ أنتَ الشخص الذي يخبرني دائمًا ألّا اثق بأحد غيرك، لكنك وحدك من خنتني.

تلتقط أنفاسها للحظة، ثم تتابع بصوت حزين: طوال هذا الوقت معك لم أنظر إليكَ أبدًا كقاتل، حتى اليوم لم أستطع رؤيتك سوى قاتل.. آدم قاتل.

نظرت إليه في ألم: رأيتُ ذلك الخط الذهبيّ الجديد في وشمك ولم أجرؤ على سؤالك عنه حتى لا أتسبب لك بألم أو خجل، لم أكن أعلم أنه يخص عزيزي أمير.

تتقدم خطوة نحوه بعينين مغرورقتين بالدموع: هل ضميرك

مرتاح آدم عند تألمك لوضع وشم على ظهرك؟ هل تشعر بالسلام وأنت تضعهم بجوارك ليذكرك بهم؟ أتعتقد أن جميع الموتَى كل هؤلاء الضحايا سيغفرون لك فعلتك فقط بسبب هذا الوشم؟

آدم: توقفي.

فريدة تصرخ في وجهه: لن أتوقف آدم، كما أخبرتني سابقًا أنت شخص بلا قلب.

بصوت مثقل بالوجع: ذكّرني آدم ألا أسامحك طوال حياتي إذا نسيتُ يومًا وسامحتك.

آدم بثقل في كلامه: حسنًا، لن أظهر مرة أخرى في حياتك، لكن لن أخرج من حياتك.

كانت كلمات آدم كسياط تنهال على قلب فريدة، كأنها تحمل ألم كل لحظة عاشتها معه وكل صراع داخلي واجهته بسببه، شعرَت وكأنها تقف على حافة هاوية، مشاعرها مضطربة بين الغضب والحب والحزن الذي يثقل صدرها كجبل لا يزاح.

آدم: ستظلين تحت حمايتي، وتحت قوانيني، أتعتقدين أنه يمكنك التخلص مني فريدة؟ أنا مثل الدماء التي تسري في عروقك، لا يمكنك رؤيتها لكنك تشعرين بها، سيذهب كلٌّ منا في طريقه، لكن ما زالت القوانين موجودة، في الأخير ستظلِّين

مِلْكي للأبد، أرأيتِني يومًا أتخلَّى عن شيء أملكه؟

فريدة بصوت يُخفِي صرخة مكتومة: أجل، فأنا مثل قصرك، مثل سياراتك، مثل كل هذه الأشياء التي تخلَّيتَ عنها.

آدم يبتسم بتحسر: لقد تخليتُ عنهم جميعًا من أجلك فريدة.

شعرت فريدة وكأنها تسير على حد السيف، تحاول التمسك بقناع القوة والصلابة بينما يتآكل قلبها من الكلمات التي تعلم أنها حقيقة، تصرخ بألم: اللعنة عليك وعلى قوانينك، أنا لستُ مِلكًا لك آدم.

انفجر آدم بصوت عال ومليء باليأس: أنتِ من تمتلكينني فريدة، أنا من ينتمي إليك، أنتِ من قتل الوحش بداخلي وجعلتِني مُرحّبًا بالحياة، أنا من لا أستطيع، بدونك فريدة كنت عجوزًا لا يستطيع المشي، ثم أتيتِ أنتِ وجعلتني طفلاً ما زال يتعلم السير، وعندما خطوتُ أول خطواتي تركتِني وغادرتِ، أنت ستذهبين وتعودين إلى حياتك وستتخطينني كأي شخصين يفترقان، لم أعلم عن متعة الحياة شيئًا إلا بكِ فريدة، أنتِ سوف تغادرين حيث تذهبين إلى عملك تقضي وقتك مع أصدقائك، وتعيشين حياتك كما كانت من قبل، أما أنا فاللعنة عليّ، صحيح؟

تصمت فريدة بضع لحظات تشعر بثقل أنفاسها الذي لا

يمكن تحمله، فجأة اندفعت نحوه بخطوات سريعة وغاضبة، وقفت أمامه وجهًا لوجه، تهمس بصوت هادئ: أعود إلى حياتي وأتخطاك وكأن شيئًا لم يحدث، ها؟

رفعت يدها بعنف وضربته في صدره بقبضتها الصغيرة، بينما تصرخ بصوتٍ عالٍ: أيها الوقح الأناني، أنا واقعة في حبك أيها المغفل قاسي القلب، أحب الطريقة التي تبدو عليها، الطريقة التي تتحدث بها، الطريقة التي تمشي بها، أحب شعرَكَ.. عينيك.. فمك.. أنفك.. جسدك، كل تفصيلة خاصة بك أحبها.

ضربته مرة أخرى ويدها كانت ترتعش وصوتها انكسر مع الدموع التي غلبَتها، وبصوت مبحوح مليء بالألم: هيا أخبرني كيف يمكنني أن أعود إلى حياتي وكأن شيئًا لم يحدث؟!

وتصرخ بصوت أعلى: هيا أخبرني.

مد آدم يده ببطء، أمسك بمعصمها الذي كانت تضربه به، قبضته كانت قوية، لكنها في الوقت ذاته حانية يحاول كبح الألم الذي يشعر به من رؤية حالتها، جذب يدها نحوه بلطف، وعندما حاولت المقاومة جذبها دفعة واحدة، فقدَت فريدة توازنها وسقطَت في حضنه، احتواها آدم بين ذراعيه بإحكام، كانت رأسها مدفونة في صدره، بينما صوت بكائها الحادّ يعلو وشهقتها، كل ما يسمع كلماتها خَرجَت متقطعة: أكرهكَ

لأنك جعلتني أحبك بهذا الشكل، أكرهكَ لأنك أصبحتَ كل شيء في حياتي والآن عليك الرحيل، أكرهك لأنني عاجزة عن كرهك، أكرهك لأنني أحبك.

بدأ آدم يمسد على شعرها ببطء، أصابعه تنساب بين خصلاته الناعمة يحاول تهدئتها، كانت كل شهقة منها تمزقه من الداخل، أنفاسها المضطربة ودموعها التي بلَّلَت قميصه، تمتم بصوت منخفض يكاد لا يُسمَع لكنه مملوء بالرجاء: اهدئي فتاتي أرجوكِ، اكرهيني كما تشائين؛ فأنا لا أستحقك.

فريدة كانت تقاوم العناق بضعف: لماذا فعلتَ هذا بي؟ لماذا كنتَ مثاليًّا في حبكِ لي؟ كنتُ أثق بك، أحبك.

آدم وكأنه لا يملك سوى حضنه ليحميها منه، شدَّها أكثر إليه وكأنّ ذراعيه هما الملاذ الوحيد لها، همس بصوت متهدّج بينما وجهه يلامس شعرها: أنا آسف ملكتي، سأقبل أي عقاب يرضيك حتى يخفّف عنك ألمك.

فريدة حاولت الابتعاد عن حضن آدم مجدّدًا، دفعت بكفَّيها على صدره محاولة الإفلات، لكنه أمسكها بقوة وسحبها إليه مرة أخرى، وبنبرة هادئة: اهدئي أولاً ثم سأدعك.

فريدة التي بدا وكأنها تقاوم كل الأحاسيس المتناقضة داخلها، أخذت نفسًا عميقًا وهي تجلس متصلبة بين ذراعيه، كانت

اللحظات تمر ببطء وثقل، وبنبرة أكثر هدوءًا لكنها مليئة بالجمود: حسنا، لقد هدأتُ، دعني.

تردد آدم للحظة قبل أن يفلت يديه من حولها، كأنه يحرّرها من قيدها الذي كان يحاول جاهدًا أن يحافظ عليه، تراجعَت فريدة ببطء وحدَّقَت في آدم بعيون مليئة بالخذلان.

فريدة بنبرة جامدة: الشيء الوحيد الذي أريده هو ألّا أراك أبدًا طوال حياتي.

صمتَ آدم للحظات، الكلمات ضربته كطعنة في صدره، رفع عينيه نحوها واليأس مخيّم على وجهه، وبنبرة حزينة تحمل الثبات: حسنًا لكِ هذا، لكن عليكِ الالتزام بالقوانين التي سنتفق عليها الآن، وإذا أردتِّ رؤيتي من جديد فعليكِ مخالفتها.

فريدة التي شعرَت أن أي مقاومة الآن ستكون بلا جدوى، أومأت برأسها بالموافقة في صمت.

جلس الاثنان على الأريكة، حيث بدأ آدم في التحدث بنبرة جادة: أولاً لا يمكنك خلع تلك القلادة في أي وقت، يجب أن ترتديها دائمًا، ثانيًا الأشياء التي منحتُها لكِ ستظل لكِ تستخدميها طوال حياتك، منها هذا القصر والسيارات والحرس الشخصي.

فريدة في غضب وبنبرة اعتراضية: لن أقبل هذا الشرط، لقد وافقتُ على قبول قصر صقلية فقط، لن أقبل هذا القصر أيضًا.

آدم رفع حاجبيه قليلاً، ونبرته أصبحت أكثر حدة، لكنه ظل محافظًا على هدوئه: هذا شرط غير قابل للتفاوض فريدة.

فريدة صرخت بغضب: لست موافقة آدم.

ابتسم آدم بمرارة وكأنه يتوقّع رد فعلها، وبهدوء مصحوب بسخرية: أفهم من هذا أنكِ ما زلتِ تريدين رؤيتي؟

فريدة في ارتباك وبنبرة غاضبة: لا، لا أريد رؤيتك مرة أخرى.

آدم الذي كان يراقبها بعيونه التي تعكس الألم لم يقُل شيئًا، فقط نظر إليها وكأنه يريد أن يحفظ كل تفصيلة عن ملامحها قبل أن يتركها، ثم تنهد بهدوء: حسنًا من تلك اللحظة هذا القصر ملكك، وهو المكان الذي ستستقرِّين فيه بعد مغادرتي طوال حياتك.

تنهَّدَت فريدة بضيق وقلة صبر وقد بدأ عليها الاستسلام: حسنًا، أكمل قوانينك.

آدم: ستظلِّين تتصرفين في حياتك كأنني ما زلتُ موجودًا.

فريدة في تعجب: بخصوص ماذا؟

آدم: بخصوص كل شيء، ملابسك غير الملفتة، صوتك المنخفض، مواعيد دخولك وخروجك إلى المنزل، وعلاقاتك

المحدودة بالذكور.

فريدة اشتعلت غضبًا، وردت بانفعال: آدم أتفهم ما تقوله؟ نحن نضع قوانين هنا لانفصالنا إلى الأبد، وليس كأنّكَ ذهاب في رحلة عمل طويلة، كلٌّ منا سيمضي في حياته، وقد نتعرف على أشخاص جدد، وربما شريك آخر.

شحب وجه آدم للحظة، وتردد قبل أن يتكلم بنبرة ارتباك: ليس عليكِ قول ذلك بتلك الطريقة، أفهم أننا ننفصل وسأتركك، لكن لا تعتقدي أنه يمكنكِ أن تكوني مع شخص آخر غيري، اعلمي أن ذلك سيكون يوم موتك، سأقتلك.

تراجعت فريدة إلى الخلف في ذهول وقد اتسعت عيناها وهي تحدق به غير مصدقة: آدم، لقد وعدتَّني أنك لن تؤذيني.

آدم كان صوته أشد قتامة: أجل، لقد وعدتُّكِ ألا أؤذيك طالما أنا أتنفس، لكن بُعدكِ عني يعني توقف تنفسي؛ لذا لا تلومي رجلاً ميتًا.

شعرت فريدة بمرارة تخترق صدرها، وفي خيبة أمل تتسلّل إلى صوتها: أنت رجل لا يرحم.

آدم بنبرة مكسورة كانت أول مرة تسمعها فريدة: أنا رجل لا يرحم، لذا عليكِ كرهي فريدة.

ابتسمت فريدة في حزن: لا تقلق.

تنهد آدم بعمق وكأنه يحاول جمع شتات نفسه: حسنًا، أعتقد أن كل شيء أصبح واضحًا الآن، سأغادر إذًا.

ابتلعت فريدة ريقها في توتر، ثم همست بهدوء: حسنًا.

نهض آدم من مكانه، خطا نحو الباب، لكنه توقف للحظة وأدار رأسه لينظر إليها، صوته يحمل شيئًا من الرجاء: ألن تحتضنيني لآخر مرة؟

فريدة بنبرة جافة: لا.

ابتسم آدم بهدوء، لكن حزنه كان واضحًا في عينيه، ثم أكمل طريقه نحو الباب.

وقبل أن يخطو خطوة واحدة خارج الغرفة، نهضت فريدة بسرعة من مكانها، ركضت نحوه وحاوطت خصره بذراعيها المرتعشتين بكل قوتها، توقف آدم في مكانه، أمسك بذراعيها على معدته، شعرَت فريدة بالدموع تلسع عينيها، دفنَت وجهها في ظهره، همسَت بصوت متحشرج: سأشتاق إليكَ كثيرًا.

شدد آدم قبضته على ذراعيها يكاد يسحقهما وكأنه يخشى أن تفلت منه، كان صوتُه مختنقًا وهو يحاول أن يتمالك نفسه: هل تبكين مَلِكَتي؟

احتضنَته فريدة بشكل أقوى.

آدم تنهد بعمق: لقد اعتدتُّ رؤيتَكَ في مجال نظري وفي

متناول يدي، الآن سيختفي كل هذا، وذلك سيئ.. سيئ جدًّا.

فريدة فصلت ذراعيها عن خصره ببطء وأمسكت بذراعيه، تدير جسدَه لتنظر في عينيه مباشرة نحوها، وردت بصوت خافت: لا تقلق سأشاركك نفس الشعور.

آدم لم يتمالك نفسه، لف ذراعيه حولها ضامًّا جسدها إليه بقوة، ودفن وجهه في شعرها متنهدًا بعمق، فريدة أحاطت رقبته برفق، آدم كانت تنفسُّه ثقيلاً وكلماته تخرج بصعوبة: سأشتاق إليكِ يا هوائي الذي أتنفسه، أعلم أنكِ ستبكين كثيرًا، لكن تذكّري جيدًا مع كل دمعة تنزل من عينيك سيحترق قلبي.

ضمها إلى صدره بحرارة حتى كأنهما أصبحا جسدًا واحدًا: كيف يفترض بي ترككِ وأنتِ تتشبثين بي هكذا؟ أنتِ تُصعّبين الأمور عليّ فتاتي.

رفعت فريدة رأسها قليلاً تبتلع دموعها وتبدأ في الانفصال عنه، وبصوت ضعيف: حسنًا، أنا بخير الآن.

فصل آدم ذراعيه عن خصرها، ثم لاطف خدَّها بأنامله، همس وهو ينظر في عينيها: لا تتردّدي في الاتصال بي إذا احتجتِ شيئًا، رسالة واحدة تكفي وسآتي إليكِ مهما كان السبب سخيفًا مهما كان الوقت متأخّرًا، مهما كنتُ مشغولاً، حتى لو كنتُ في آخر العالم سآتي.

فجأة دون سابق إنذار سحبها من خصرها بقوة يجتذبها نحوه بخشونة، يقرّب وجهه من وجهها حتى تحتك شفتاه بشفتيها، تنفَّس بعمق وكأنه يحاول حفظ رائحتها داخله للأبد.

ثم التقط شفتيها بين شفتيه مسدلاً جفنيه بحزن كمن يودّع أغلى ما لديه، فريدة استجابَت له بتناغم، حرَّكَت شفتيها بتناغم مع شفتيه برقة، أنامل آدم داعبَتْ رقبتها برفق، ثم تخلَّلَت إلى شعرها من الجانبين، أظافره احتكت بفروة رأسها بخفة يجذبها إليه، يقربها أكثر ليصبحا متلاحمَين تمامًا، تعمق آدم في تقبيلها، يمتص شفتيها بتعطش وشراسة، يداه قيّدَتا جسدها بجسده مانعًا أي محاولة للابتعاد، عندما اختنقا كلاهما من قلة الهواء فصل آدم القبلة ببطء، وضع جبينه على جبينها، زفيره القويّ الدافئ يلفح شفتيها، وهمس ضد شفتيها بخشونة: لتعلمي شيئًا، كانت حياتي عبارة عن سلك شائك، سقطَتْ أشواكه عندما عانقتُكِ لأول مرة، ذراعاك كانتا منزلي الذي أحتمي به، لم أخَفْ في حياتي كلها إلا من خسارتك، أنتِ من مهدتِّ طريقي الوعر، كنتِ الخريطة التي قادتني إلى الهدوء، أنا لستُ مجرد رجل يحبك، أنا رجل مهووس بكِ.

تأملها بعينيه المليئتين بالشوق، وكأنها المرة الأولى التي يراها فيها رغم أنه يحفظ كل تفاصيل وجهها عن ظهر قلب، بدا كأنّ

اللحظة كانت تتطلَّب توثيقًا أخيرًا لكل شيء.

فريدة نظرت إليه بالمثل، عيناها تمتلئان بالشغف والحزن في آن واحد.

آدم ابتسم بصعوبة، ثم استدار وغادر.

بعد مرور سنتين..

أكثر شيء علمتني إياه الحياة، وكان له الفضل الأكبر، هو تحويل ألمي إلى قوة، كلما كان ألمي عظيمًا كانت قوتي أعظم.

لقد كانت نتيجة الألم مُرضِية، ولكن أنا ما زلتُ أتألم بشدة، أتألم وكأنه اليوم الأول لم يمضِ، لم يتغيّر مقدار الألم مع الوقت أو مع النجاح.

كانت القاعة تعج بالأضواء اللامعة والوجوه المشرقة، أصوات التصفيق ملأت الأرجاء كأنها سيمفونية تحتفل بنجاح طال انتظاره، في مقدمة القاعة وقفَت فريدة على المسرح ترتدي فستانًا أسود بسيطًا لكنه أنيق، وشعرها المصفف بانسيابية يحيط بوجهها الذي ازدادَت ملامحه نضجًا وجمالاً، عيناها البراقتان رغم هدوئهما تحملان لمحة من الحزن العميق الذي أصبح جزءًا لا يتجزأ منها، كانت الكاميرات موجّهة نحو المنصة الرئيسية، حيث جلسَت فريدة بابتسامة هادئة على طاولة تحاول التماسك وسط الأجواء المشحونة بالإثارة، كانت طاولتُها مزيجًا من كتبها المكدسة وأكواب القهوة، وحولها جمهور من الصحفيِّين يتسابقون لإلقاء الأسئلة.

صحفي: سيدتي، روايتُكِ كانت مليئة بالمشاعر الحقيقية بشكل لا يُصدّق، كأنك تعيشين كل لحظة بنفسك، السؤال الذي يرواد الجميع هنا، هل ما كُتِبَ في الرواية مستوحَى من حقيقة عشتِها؟

عم الصمت القاعة للحظات وأعين الجميع تركَّزَت عليها، ارتفعت ابتسامة على شفتَي فريدة، كانت ابتسامة تحمل مزيجًا من الحنين والتحدّي، نظرَت بعيدًا نحو زاوية القاعة وكأن عينيها تبحثان بشكل لا إراديّ عن وجه مألوف.. وجه تمنَّت أن يكون معها ليشاركها نجاحها، لكنها لم تجده، شعرت بغصَّة خفيفة في حلقها وسرعان ما أخفتها ابتسامتها المثالية، تلك الابتسامة التي أصبحَت بارعة في ارتدائها أمام العالم، وضعَت يدها على الميكرفون، تنهَّدَت قليلاً ثم نظرت مباشرة إلى الصحفيّ الذي ألقى السؤال.

فريدة بنبرة جادة: هل هناك قصص خيالية تحمل هذا الكمّ من الصدق في الحقيقة؟ وهل هناك حقيقة تكون مثاليّة وكأنها خيال؟

بدت الإجابة وكأنها لغز، تبادل الصحفيون نظرات الدهشة وكأنهم يحاولون فك شيفرة كلماتها.

ابتسم الصحفي: الحقيقة لا أعتقد ذلك.

ابتسمت فريدة برقة إلى الجميع، وضعت يدها على السلسلة التي لم تخلعها منذ عامين، وبنبرة لطيفة: كل قصة تحمل شيئًا من كاتبها حتى لو كانت خيالية، فالكتابة ليست مجرد كلمات، إنها حياة تُعاش بكل تفاصيلها.

ثم التفتَتْ إلى الجمهور وعيناها تلمعان بالحنين: لذا دعونا نترك للرواية حقها في أن تبقى لُغزًا؛ لأن بعض الحكايات أجمل عندما لا تحاول فك طلاسمها.

بعد انتهاء الحفل عادت فريدة إلى القصر، وجدَت نفسها وحيدة في شرفتها المطلة على الحديقة الكبيرة، نظرَت إلى الفراغ وهي تمسك بنسخة من كتابها، عيناها توقَّفتا عند الصفحة الأخيرة، حيث كان الإهداء مكتوب بخط يدها.. إلى من جعلني أرى العالم بعيون جديدة، وإلى مَن علَّمني أن الحزن يولّد القوة، شكرًا لأنك كنت، حتى وإن لم تعد.

تنهَّدَت وهربت دموعها من عينيها، وبرغم النجاح الذي تتحدث عنه العناوين كان قلبها يهمس بشيء مختلف، كانت تعلم أنّ هذا اليوم مهما بدا عظيمًا لن يكون كاملاً أبدًا؛ لأنه فقط لم يكن هنا، حدَّقَت فريدة في السماء وصوت بكاؤها يعلو بحزن يأكل قلبها، همسَت لنفسها وسط شهقاتها: لقد وعدتُّ نفسي ألّا أفتقدكِ، لكنني أكذب، أيضًا أنا أفتقد أمير، وما زلتُ

أتذكر كل تفصيلة خاصة به، لم يمحُ الوقت أي ذكرى؛ لذلك سأظل محبوسة في تلك الحلقة اللعينة إلى الأبد.

بينما كانت غارقة في حزنها قطع صوت هاتفها الصمت، نظرت إلى الشاشة بتردّد قبل أن ترى اسم صديقتها المقربة، مسحت دموعها سريعًا، وضعت الهاتف على مكبر الصوت أمامها على الطاولة، وبنبرة لطيفة: مرحبًا صديقتي.

ليلى: فريدة، كنت أودّ الاتصال بكِ منذ انتهاء المؤتمر، لكن حقًّا العمل مُهلِك، كيف كان يومك؟ أخبريني كل شيء.

فريدة تنهّدَت: كان جيدًا، الجميع كان متحمّسًا.. الصحافة.. القراء.. الجميع، أنا آسفة جدًا يا ليلى، لأنني أترك عليك كل مسؤوليات الجريدة، أعلم أن هذا شيء صعب تحمله بمفردك.

ليلى في تذمر: أكره كثيرًا تلك الأوقات التي تصبحين فيها حسّاسة هكذا، إنه العمل صديقتي، ليس لكِ يد في شيء؛ فهذه وظيفتي أنا مديرة الجريدة ولا تحتاجين مساعدتي فقط لأننا أصدقاء، الآن أخبريني كيف حالك حقًّا؟

فريدة: لا شيء جديد، قررت أخذ إجازة وقضاء بعض الوقت بمفردي، أشعر بإرهاق كبير بسبب ضغط تلك الأيام الأخيرة مع الكتاب.

ليلى في حماس: هذا رائع، أنتِ حقًّا تحتاجين إلى تصفية

ذهنك، هل قررتِ وجهتَكِ؟

فريدة: نعم، سأذهب إلى صقليّة، لم أزُرْ القصر هناك منذ غادرته قبل عامين.

ليلى في ذهول: صقلية؟ هل تمزحين؟! وما شأنُكِ بالقصر الآن؟ هل هذه مجرد حجة للذهاب؟

فريدة بنبرة جادة: ولماذا أستخدم القصر حجة؟ في النهاية أصبح القصر مِلْكي أيضًا، أنا أحب ذلك المكان كثيرًا.

ليلى بنبرة جادة مماثلة: ربما لأن القصر لا يهمك بقدر ما تتظاهرين، لقد كان مُغلقًا منذ رحيلك، ولم تفكري يومًا في زيارته، فريدة هذا المكان مليء بالذكريات التي تحاولين الهروب منها، والعودة إليه لن تفعل سوى إعادة فتح الجراح القديمة.

فريدة: أعلم، لكنّني بحاجة إلى مواجهة تلك الذكريات، لن أظلّ هاربة إلى الأبد، وأعتقد أنّني الآن أصبحتُ قادرة على فعل ذلك.

ليلى: حقًّا؟ هل أصبحتِ قادرة الآن؟ فريدة، لقد مر عامان بالفعل وما زلتِ تعيشين وفق قوانينه وكأنه ما زال موجودًا في حياتك، متى ستتحرّرين من تلك الجروح؟

فريدة تلزم الصمت وتنظر حولها، ثم تتنهد بعمق: الأمر ليس سهلاً ليلى، أنا أحب آدم.. أحبه بشدة، لم نصنع جروحًا،

بل كانت ذكريات أسطورية فقط، هذا الجرح اللعين الذي تسبَّبَ في موت أمير كان الغرض منه حمايتي؛ لذا حتى في هذا أنا السبب.

ليلى بنبرة هادئة صارمة: يكفي فريدة يكفي، توقّفي عن لوم نفسك في كل شيء عزيزتي، لا يجب عليكِ التحكم في كل الأمور السيئة التي تحدث من حولك لإنقاذ الآخرين حُبًّا في الله، أحبّي نفسكِ قليلاً، أنا لا أقول إن نسيان آدم أمر سهل، أعلم جيّدًا كم هو صعب حقًّا، آدم كان يستحق الحب، لكن عليك المحاولة لتخطيه، فريدة ليس مُقدّرًا لكما أن تكونا معًا، أنتِ امرأة قوية وناجحة، الجميع يراك هكذا، لكن داخلك مليء بالحزن، لقد حان الوقت للتحرر من ذلك الحب، على الأرجح هو قد تجاوز الأمر، ربما الآن لديه شخص آخر في حياته يقضي معها أوقاتًا سعيدة.

فريدة تصمت تفكر في كلام ليلى، وبنبرة مرتبكة: يبدو أنكِ على حق، على الأغلب قد تخطاني آدم؛ فهو لم يحاول الظهور في حياتي طوال هذه المدة، حسنًا سأفكر في كلامك.

ليلى: فكّرِي جيّدًا فريدة، الحياة أمامك مليئة بالفرص، لكن عليكِ أن تكوني مستعدة لاحتضانها.

فريدة بنبرة رقيقة: شكرًا على وجودك بجانبي دائمًا.

ليلى: أنا هنا دائمًا من أجلكِ عزيزتي.

أنهت فريدة المكالمة وعادت إلى التفكير في كلمات ليلى وسط عتمة الليل.

آدم في قصره الجديد...

يجلس آدم على كرسيّه الجلدي الفخم خلف مكتبه الكبير، الغرفة مضاءة بشكل خافت يعكس طابعها المهيب، أمامه شاشة ضخمة تعرض بثًّا مباشرًا من شرفة فريدة حيث كانت تتحدث مع ليلى عبر الهاتف.

يميل بجسده إلى الأمام، ذقنه تستند إلى يده وعيناه تركزان على صورة فريدة.

آدم يتذمر بصوت منخفض: أنتِ دائمًا هكذا ليلى، تُلقِين الأكاذيب عنّي على لسانك، كيف يمكنكِ أن تتجرئي على اتهامي بشيء كهذا؟ امرأة أخرى؟! سخيف!

تتحول ملامح وجهه من الغضب إلى الحزن، ويعيد تركيزه على صورة فريدة وهي جالسة على الشرفة تتنهد بيأس وتنظر إلى الأفق البعيد، آدم بنبرة حزينة: امرأتي عشيقتي، كل ما أحبه في هذه الحياة هو أنتِ، كيف يمكنني نسيانك؟

ينهض آدم من كرسيه ببطء، يضع يديه في جيبه ويتقدم نحو الشاشة، وكأنه يحاول الاقتراب من صورتها، يقف هناك

للحظات يحدّق فيها بصمت، وكأنما يتحدث إليها عبر المسافة التي تفصل بينهما.

آدم بصوت خافت: لا تستمعي لتلك الكاذبة، لقد أخبرتُكِ أنا مهووس بك، أنتِ في دمي وفي أنفاسي، كيف يمكننى نسيانك؟ أنا معكِ في كل نفَسٍ تتنَفَّسِينه، في كل خطوة تخطينها، أنا معك، فقط أنتظر الوقت المناسب.. الوقت الذي ستشفى فيه جراحك وستعودين إليّ.

بعد مرور أسبوع...

في صقلية تصل فريدة إلى القصر، بدا القصر كأنه جسد بلا روح، مرّ يومان، فريدة كانت خلالهما حبيسة غرفتها تخشى الخروج ومواجهة ألم الذكريات، في نهاية اليوم الثاني تجرّأت أخيرًا ونزلت، توجّهَت بخطوات متردّدة نحو مكتب آدم، وكأنها تخشى مواجهة المكان الذي يحتفظ بأثره، كان الهواء داخل الغرفة، يحمل رائحة عطره المميز، تقدّمَت ببطء نحو الكرسيّ الجلديّ الكبير، الكرسي الذي طالما جلس عليه مهيبًا وواثقًا، لمَسَتْهُ بأناملها وكأنها تلامس أطياف الذكريات، جلسَت عليه ببطء ظهرها يستند إلى الكرسي الذي بدا وكأنه يحتَفِظ بحرارة جسده، مرَرَّت أصابعها برفق فوق سطح المكتب، تستعيد في ذهنها اللحظات التي جمعتها به.. ضحكاته الصاخبة، نظراته

الحادة، وكلماته التي كانت تخترق أعماق قلبها.

تنهَّدَت بعمق وهمسَت: ها أنا اليوم هنا آدم، حاولتُ أن أنساك وأُصبِح أكثر قوة، وكانت خطوتي الأولى كتابة كتابٍ خياليّ وجدتُّ فيه نفسي أحبك من جديد.

ابتسمَت بحزن: أنت الشخص الوحيد القادر على إنهاء جروحي، وأيضًا الشخص الوحيد الذي سيذكرني بها، أنت الحلم الوحيد الذي أتمناه والكابوس الوحيد الذي أخشاه.

تنهدت مرة أخرى، وقالت حزم: لقد أبقيتُكَ بداخلي طويلاً، الآن حان وقت التخلّي عنك.

خلعت القلادة التي لم تفارق عنقها لعامين وأكثر، ونظرت إليها بحزن، بينما ترقرقت دموع خفيّة على وجنتيها، فتحت خزانة المكتب، وضعَت القلادة داخلها، وأغلقت الباب ببطء.

بعد كل تلك المشاعر العاصفة ذهبَت إلى غرفتها لتنام.

يجلس آدم في مكتبه وسط الظلام، مشعلاً سيجارة تصنع سحابة دخان تحيط به.

آدم بنبرة عميقة: لقد أنقذتُكِ من الجميع امرأتي، لكنني لم أستطع إنقاذك مني، لكن هذه ليست النهاية، لقد خُلِقنا لنكمل بعضنا؛ لذا لا يمكن للآخر أن يرحل عن الثاني.

في صباح التالي..

استيقظَت فريدة من نومها، علامات الذعر تسيطر عليها عندما نظرت إلى عنقها وتلمسَّته، شهقَت بشدة، وجدَت القلادة التي وضعتها في الخزانة قد عادت إلى مكانها.

النهاية